غير مرخصة للطباعة

المحور الثالث

الفقه وأصوله
(فقه السلوك والأخلاق)

٨٣

الصبر والشكر والخوف والرجاء

نسخة إلكترونية

الإمام يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٢].

﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [النساء: ١٤٧].

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [لقمان: ٣١].

﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ۞ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤ ـ ٧٦].

﴿ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر: ٧].

﴿ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [الشورى: ٣٣].

QaradawiBooks.com

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن صهيب قال: قال رسول الله ﷺ: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر، فكان خيرًا له**». رواه مسلم.

عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يدعو يقول: «**ربِّ أعني ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكر لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويَسِّر الهدى لي، وانصرني على من بغى عليَّ، ربِّ اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مِطواعًا، لك مُخْبِتًا، إليك أوَّاهًا مُنيبًا**». رواه الترمذي.

عن معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ أخذ بيده يومًا ثم قال: «**يا معاذ إنِّي لأحبك**». فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، وأنا أحبك. قال: «**أوصيك يا معاذ، لا تدعنَّ في دبر كل صلاة أن تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**». رواه أحمد.

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنة، تعين أحدكم على أمر الآخرة**». رواه ابن ماجه.

غير مرخصة للطباعة
نسخة

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وهيَّأ الناس ليخرجهم ببعثته من الظلمات إلى النور، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

وصلِّ اللهم على آله وأصحابه الذين ﴿ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓۙ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وعلى من اتبع سبيلهم، واهتدَوْا بهدي نبيهم، وجاهد في سبيله إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذا جزء من الأجزاء التي كتبتها في «فقه السلوك»، الذي نسير معه في «الطريق إلى الله»، حتى نهتدي به هداية تامَّة توصلنا إلى الجنة، دار الرحمة، التي تنتهي بالمؤمنين إلى النعيم والرضوان الأبقى والأسمى. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۞ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ٩، ١٠].

QaradawiBooks.com

وهذا الكتاب سنخصصه لمنزلتين أو مقامين من أهم ما يُعنى به حزب الله ورجاله الصادقون، الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وقد أبرزنا في كتبنا السابقة حياة فئة من بارزيهم ومن أفكارهم، حتى لا يظن بعض أننا نريد بالحديث عن التصوف ومعارفه وسلوكياته ورجاله: أننا ندعو إلى فكر جامد، وتصور خامد، وحياة كئيبة، وحضارة غائبة، ودنيا هاربة، وأمة قاصرة، غابت عن دنيا الناس، ومعترك العالم، ودعوات أصحاب المفاهيم الكبرى التي تريد أن تغزو العالم بما لديها من أطروحات عالمية، اشتراكية أو شيوعية أو رأسمالية، وإلى ما لديها من فلسفات مثالية أو واقعية، نتدافع ونتغالب، كفلسفة الداعين إلى ترك الدين والفكرة الدينية، فنحن الآن في عصر الماديين أو الطبيعيين، من أتباع داروين، أو من يدّعون على داروين أنه ملحد.

وهناك من دعوا إلى فكرة الفيلسوف النفسي فرويد، أو فكرة الفيلسوف الاجتماعي دوركايم، أو فكرة الفيلسوف المادي أو الاقتصادي ماركس، أو فكرة الفيلسوف الأب للرأسمالية آدم سميث، أو الفيلسوف الداعي إلى التطور سبنسر، أو الفيلسوف الداعي إلى الوجودية سارتر، وكلهم ينظرون إلى الحياة والعالم والإنسان من زاوية واحدة، هي الزاوية المادية الضيقة، التي تجعلهم يغمضون أعينهم عن العالم الكبير والفسيح من حولهم، وعن أيمانهم وشمائلهم، ومن فوقهم، وهم لا يرون إلَّا شيئًا قليلًا منه، وصدق القرآن إذ يقول: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣].

نحن ندعو إلى التصوف الحقيقي، الذي يحاول أن يخرج الإنسان من ظلمات الكثافة المادية الطاغية التي تخنق الإنسان في ساحاته

QaradawiBooks.com

الحضارية، وتنقذه من مآسي المادة، ومن ضيق الدنيا، ومن آصار شياطينها الذين يريدون تزيينها للناس بما في أيديهم من غوايات وأساطير.

إنني في هذه السلسلة من الكتب الدينية الإسلامية، أدعو قومي، وشباب قومي، وأدعو أبناء العالم معهم، إلى العودة إلى الله، إلى رحاب الله، إلى الربانية الهادية التي تنادي الناس من كل اتجاه دعوة خالصة، لا ينقذ العالم من شرور الصراع الدائر والدائم إلَّا الاستجابة لها: ارجعوا إلى ربكم ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

في هذا الكتاب نتحدث عن منزلتين أو مقامين أو عنصرين من العناصر الأساسية في سلوك الإنسان المؤمن الذي يبتغي مرضاة الله، وقد نوَّه بهما القرآن، ونوَّهتْ بهما السُّنَّة، ونوَّه بهما الصحابة ومن اتبعهم بإحسان من خيرة أبناء الأمة المحمدية وعلمائها وأبطالها ورجالها ونسائها، ممَّن أثنى الله عليهم في كتابه، وأثنى عليهم رسوله في حديثه، وأثنى عليهم صفوة الأمة في مختلف أجيالها.

هذان العنصران هما: الشكر والصبر، أو الصبر والشكر، وقد توقفنا بعض الوقت لنبحث أيهما أحق بالسبق، وتشاورت مع إخواني فاختلفوا، ثم نظرت فيما فعل القوم، فوجدت أكثرهم جعل الصبر مقدَّمًا على الشكر، وإن وجدنا حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الذي رواه الإمام مسلم في «صحيحه» يقدم الشكر على الصبر، كما رواه مسلم مرفوعًا: «**عجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ, إنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلاَّ لِلْمُؤْمِنِ, إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ, فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ, صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ**»(١).

(١) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولا شــك أنَّ النعم التي تغمر الإنســان منذ ولادته نِعَم لا تُعَدّ ولا تُحصَى، ولكنَّها محملة منذ اللحظة الأولى بآفات الدنيا وأكدارها، كما عبَّر عن ذلك ابن الرومي في شعره:

لِمَا تُؤذن الدنيا به من صروفها   يكون بكاءُ الطفل ساعةَ يُولدُ
وإلَّا فما يبكيه منهــا، وإنَّها   لأرحَبُ ممَّا كان فيه وأرغدُ[(١)]

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢].

وهذا ما جعل الأكثرين يقدمون الصبر على الشــكر، على خلاف ما فعل أبو القاسم القشيري في رسالته، ففي الجزء الأول تكلم عن الشــكر، وبعده اليقين ثم جاء بعده بالصبر. ولكــنَّ الإمام أبا طالب المكي صاحب كتاب «قوت القلــوب» الذي قالوا: إنَّ الإمام الغزالي قد نســج على منواله في كثير مــن الأمور في كتابــه الإحياء، يبدأ بالصبر، ثم ينتهي بالشكر.

وكذلك فعل الإمام أبو حامــد الغزالي في كتابه «إحياء علوم الدين» الذي ضم العنصرين في عشر واحد من أعشار كتابه الذي جمع الأربعين عشرًا، ولكنَّه قدم الصبر على الشكر.

وكذلك الإمام الهروي في رسالة «منازل السائرين إلى مقامات إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين» الذي شرحه الإمام ابن القيم في كتابه الكبير «مدارج السالكين»، ولا بدَّ للشارح أن يســير وراء (الماتن) الذي يشرح كتابه، الذي قدَّم الصبر على الشكر.

---

(١) انظر: ديوانه (٣٧٤/١) شرح أحمد حسن بسج، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

وقد راعى هؤلاء في تقديمهم الصبر على الشكر اهتمام القرآن العظيم بالصبر كما بينَّاه في كتابنا الذي نشرناه قديمًا في تفسيرنا الموضوعي خاصًّا بـ «الصبر في القرآن».

ثم هناك ملحظ آخر يلحظه كل من قرأ القرآن بتأمُّل حيث يجد الصبر مقدَّمًا على الشكر.

فقد ذكر القرآن الكريم أربع مرات في سوره المكية اقتران الصبر بالشكر، وقدَّم الصبر على الشكر في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥] فقدم «صبّار» على «شكور» وكلاهما من صيغ المبالغة. ولعل في هذا دلالة على تقديم الصبر على الشكر. وقال تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال ﷻ في سورة لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٣١].

وقال تعالى في سورة سبأ وهو يتحدث عن قصة سبأ وما كان لهم من نِعَم الله التي لم يحافظوا عليها بالشكر: ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩].

وقال تعالى في سورة الشورى: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٣].

QaradawiBooks.com

فهذه الآيات كلها في القرآن المكي الذي بدأ بوضع القواعد اللازمة لبناء الإيمان قبل العمل، ولبناء الفكر والحركة، ولبناء الأصول وما يترتب عليها من فروع، والعقائد وما يُبنى عليها من أعمال وأخلاق ومعاملات، فقدمت في هذه الآيات الأربع الصبر على الشكر، والقرآن لا يقدم شيئًا على شيء إلَّا لحكمة، ولا يصيغ الكلمات اعتباطًا حيثما اتفق الأمر، فهو كلام رب العالمين، تحدَّى به أمة العرب، أمة الشعراء الفحول والأدباء الكبار.

وقد تحدثنا في هذا الكتاب عن الصبر والشكر وتعريف كل منها، وأقسامه ودرجاته، ومكانته عند الله تعالى، وعند العاملين في المسلك الإيماني التربوي العميق، وما يثمره في أنفس الأفراد، وفي ضمير الأمة، وفي مسيرة الحياة، فلا يظن بعض الناس أن هذا النوع من الثقافة التي تتصل بالدين وبالأخلاق وبالتربية، إنَّما هي أوقات تضيع في حلقات مفرغة لا يدرى أين طرفاها.

بل هي والله في قلب الموضوع، في أساس المشروع، وكل ما عداه إما ضائع تمامًا لا تستفيد منه الأمة، وإما هو من الترف الحالم الذي لا تحتاج إليه الأمم في حالة البناء والشروع. ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

الفقير إليه تعالى

يوسف القرضاوي

* * *

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

تمهيد

ما زلنا نتابع كتابتنا، ونَشْحَذُ أقلامنا، سائرين في هذا الاتجاه الرباني، حول «تيسير فقه السلوك إلى الله»، مستمرِّين في حديثنا عن أعمال القلوب، عن العبادات القلبية أو الباطنة التي يَغْفُلها الكثير من الناس، ولا يهتمون إلَّا بالعبادات الظاهرة، ويقفون عندها.

كتبتُ عن الحياة الربَّانية والعلم، وعن النيَّة والإخلاص، وعن التوكل، وعن التوبة، وعن الزهد والورع، وعن المراقبة والمحاسبة، وكلها من مقامات الدين، ومن أبواب الإيمان واليقين.

ونكتب اليوم عن الشكر والصبر.

عن شكر الله تبارك وتعالى على نِعَمِه، والصبر على بلائه.

الصبر والشكر:

من مقامات الدين العالية، التي جاء بفضلها وبيان مكانتها القرآن الكريم، والسُّنَّة النبوية، وأجمع على أهميتها الدينية الصحابة رضي الله عنهم، ومن اتَّبعهم بإحسان، وسار على ذلك المسلمون بشتَّى مذاهبهم ونوازعهم، مشرقيين ومغربيين، في أزهى عصورهم وفي أدناها، من هذه المقامات: مقام الصبر ومقام الشكر.

QaradawiBooks.com

ولذلك اهتمَّ بهما رجال السلوك والتربية، ورجال التصوُّف والأخلاق، من هذه الأمة، وكتبوا عنها، وفصَّلوا ما لها من أدلة وحقائق، وفضائل وأركان، وأفاضوا في منازلها الدينية، ومقاماتها المرضيَّة.

واعتبر المتصوفة ورجال التربية الإيمانية ـ أو الروحية ـ كلًّا من هاتين المنزلتين (الصبر والشكر): شطرًا للإيمان، معتمدين على حديثٍ رواه بعض رواة الحديث ورجالِه في كتبهم بسنده، وإن لم يبلُغْ درجة الصحة أو الحسن عند المحدِّثين الكبار، الذين يهتمون بالجرح والتعديل، ويشترطون لتصحيح الحديث: أن يكون مرويًّا بسنده من غير انقطاع في سلسلة الإسناد من أوله إلى آخره، وأن يكون السند كله من الرواة المقبولين، المعروفين بالعدالة والضبط عند علماء الحديث الثقات العارفين بالرجال، والعالمين بالحديث، من رجال ونساء، وأن تكون سلسلة السند موصولة من أولها إلى آخرها من غير انقطاع في أي حلقة من الحلقات، وأن يكون الحديث خاليًا من الشذوذ والعلة، ويكون نصه سليمًا مقبولًا من الناحية الدينية، ولا يرفضه العقل ولا العلم ولا الواقع ولا التاريخ، ولا الدين، متمشِّيًا مع منطق الإسلام وقواعده، فما كان كذلك من الأحاديث المرويَّة، فهو صحيح مقبول محمود لدى أهل العلم المشهود لهم.

وهنا في هذا الموضع ورد حديثٌ تَوقَّفَ في تصحيحه أو في تحسينه الأئمةُ العلماءُ.

فقد رووا حديث: «الإيمان نصفان: نصف صَبْرٌ، ونصف شُكْرٌ»(١).

(١) رواه القضاعي في مسند الشهاب (١٥٩)، والبيهقي في الشعب (٩٢٦٤)، والديلمي في مسند الفردوس (٣٧٨)، وقال المناوي في فيض القدير (٣١٠٦): فيه يزيد الرقاشي، قال الذهبي وغيره: متروك. وقال الألباني في الضعيفة (٦٢٥): ضعيف جدًّا. عن أنس.

QaradawiBooks.com

أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس وغيره، من رواية يزيد الرَّقَاشي عن أنس، ويزيدُ ضعيف.

وروَوْا أيضًا حديث: «**الصبر نصف الإيمان**»[1]، رواه أبو نعيم والخطيب، وضعَّفوه من حديث ابن مسعود.

وهناك حديث جابر رضي الله عنه: سئل النبي ﷺ عن الإيمان؟ فقال: «**الإيمان: الصبر والسماحة**». أخرجه الطبراني في مكارم الأخلاق، وابن حبان في الضعفاء[2]. وفيه يوسف بن محمد بن المنكَدِر ضعيف، ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده[3].

وبعضهم قبل مثل هذه الأحاديث الضعيفة؛ لأنها في فضائل الأعمال، وليست في الأحكام أو في الحلال والحرام، وإن كان الأئمة الكبار لم يُفرِّقوا بين الأحكام وغيرها، مثل ابن المديني والبخاري. وبعضهم قوَّى الأحاديث بعضها ببعض.

ونحن نرى أن اهتمام القرآن، وعناية الرسول ﷺ والصحابة رضي الله عنهم بهذين الركنين في التربية والسلوك الإسلامي، والتشديد في شأن كلٍّ

(١) رواه مرفوعًا: أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٤/٥)، والخطيب في تاريخ بغداد (٣٠٢/١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٢٦٥) وقال عقبه: المحفوظ عن ابن مسعود من قوله غير مرفوع. ورواه موقوفًا: الطبراني (١٠٤/٩)، والحاكم في التفسير (٤٤٦/٢)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٥١٤٧): رواه الطبراني في الكبير ورواته رواة الصحيح وهو موقوف وقد رفعه بعضهم. عن ابن مسعود.

(٢) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق (٣١)، وابن حبان في المجروحين (١٢٣٥)، وأبو يعلى (١٢٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٨): رواه أبو يعلى، وفيه يوسف بن محمد بن المنكدر، وهو متروك. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٢٧٩٥).

(٣) رواه الطبراني (٤٩/١٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩١٦٥): فيه بكر بن خنيس، وهو ضعيف.

QaradawiBooks.com

منهما، واعتبارهما ركنين مهمَّين لكل مسلم ومسلمة، تُغنينا عن مفردات الأحاديث التي لا تصل إلى مرتبة القبول.

وقد ذكر الإمام ابن القيم عند حديثه عن كل من الصبر والشكر في كتابه «مدارج السالكين شرح منازل السائرين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»: أنه نصف الإيمان، وإن لم يذكر الحديث الذي ينُصُّ على ذلك، كأنما ينظر إلى مدلول الآيات، وما في مجموع الأحاديث من معانٍ يؤخذ منها هذا المعنى الكبير[١].

وقد وجه الإمام ابن القيم هذا التنصيف للإيمان فكان ممَّا قال في ذلك: «الإيمان اسم لمجموع القول والعمل والنية، وهي ترجع إلى شطرين: فعل وترك. فالفعل هو العمل بطاعة الله، وهو حقيقة الشكر، والترك هو الصبر عن المعصية، والدين كله في هذين الشيئين: فعل المأمور، وترك المحظور»[٢].

اقتران الصبر بالشكر:

والإيمان ـ كما رُوِيَ في بعض الأحاديث نصفان ـ نصف شكر، ونصف صبر[٣].

فالصبر: هو العنصر المُكمِّل للشكر، فالحياة: نعماء وبأساء، أو سرَّاء وضرَّاء، فالنَّعماء والسرَّاء تُقابَل بالشكر، والبأساء والضراء تقابَل بالصبر.

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١٥١/٢)، منزلة الصبر، (٢٣٢/٢)، منزلة الشكر، تحقيق محمد المعتصم بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم صـ ١٠٨، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ٣، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

(٣) سبق تخريجه صـ١٥.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث الصحيح: «**عجبًا لأمر المؤمن! إنَّ أمره كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابه سرَّاء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر، فكان خيرًا له**»(١).

ولذلك قرن القرآن بين الأمرين: الصبر والشكر، في أربع آيات من آياته حينما قال: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣].

لا ينتفع بآيات الله: الكونية المبثوثة في هذا الكون، والتاريخية التي يراها الإنسان في أيام الله سبحانه وتعالى؛ إلَّا كل صبَّار شكور، أي كل مؤمن أصبح كل من الصبر والشكر خُلقًا راسخًا فيه.

لا بدَّ من الشكر، ولا بدَّ من الصبر.

دلالة صيغتَي المبالغة في قوله سبحانه: ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾:

وصبَّار وشكور صيغتا مبالغة ـ كما يقول أهل اللغة ـ فهناك رجل آكل ورجل أكَّال وأكول، الآكل يأكل مرَّة، أو مرات معتادة، والأكَّال والأكول الكثير الأكل أكثر من المعتاد، والصَّبَّار الكثير الصَّبر، والشَّكور الكثير الشكر، فليس صبره مرَّة، أو شكره مرَّة وانتهى الأمر، بل لكي يكون صبورًا أو صبَّارًا لا بدَّ أن يكون الصبر خُلُقًا له، وأن يكون الشكر خُلُقًا له، فهو دائمُ الصَّبر دائمُ الشكر.

سِرُّ تَقْديم الصَّبْر على الشكر:

لكن لماذا قدَّم الصبر على الشكر؟ مع أنَّ نِعَم الله سابغة، وهي أول ما يلمسه الإنسان من الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا

(١) سبق تخريجه صـ٩.

QaradawiBooks.com

فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

القرآن يريد أن يُوطِّن المسلم نفسه على تحمُّل البلاء؛ لأنَّ البلاء بالمرصاد للإنسان بصفته إنسانًا، يعني بمُجرَّد كونه إنسانًا أصبح مهيَّئًا لنزول البلاء به: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ﴾ [الإنسان: ٢]، فحياتُه قائمةٌ على الابتلاء.

وبصفته من أهل هذه الدنيا، فالدنيا دار ابتلاء من أوَّلها إلى آخرها، كما قال عليٌّ رضي الله عنه: ماذا أصف لك من دار مَنْ صحَّ فيها سَقِم، ومَنْ أمِن فيها نَدِم، ومَنْ افتقر فيها حَزِن، ومَنْ استغنى فيها افتتن، في حلالها الحساب، وفي حرامها العقاب، ومتشابهها العتاب(١).

وكما قال الشاعر أبو الحسن التهامي يصف الدنيا:

جُبلت على كَدَرٍ وأنت تريدها ... صفوًا من الآلام والأكدارِ
ومُكلِّف الأيام ضدَّ طباعها ... مُتطلِّب في الماء جذوةَ نارِ(٢)

هذه أيَّام الدنيا، ليست سعادةً مستمرةً، أو صفاءً مستمرًّا، فصفاؤها مَشُوب بالكدر، وسعادتها مَشُوبة بالشقاء، وسرورها مَشُوب بالحزن، وهذه طبيعة الدنيا. وهذا سرُّ تقديم الصَّبَّار على الشَّكور.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (٣/٢٠٨)، نشر دار المعرفة، بيروت.
(٢) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعاملي (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

أيهما أفضل الصبر أم الشكر:

من المباحث التي تدخل هنا ما بحثه العلماء قديمًا حول الإجابة عن هذا السؤال: أيهما أفضل وأكثر أجرًا: الغِنَى مع الشكر أم الفقر مع الصبر؟ وبعبارة أخرى: الغني الشاكر أم الفقير الصابر؟

وقد تفاوتت الإجابة على السؤال ما بين مرجِّح للأول، ومرجِّح للآخر.

والذي يترجَّح لي من خلال التدبر في النصوص والمقارنة بينها: أن الغنى مع الشكر هو الأولى، والأفضل، وليس هو بالشيء الهيِّن، كما قد يُظَن. فقد قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. والأفضل يكون دائمًا قليلًا، وقال تعالى على لسان إبليس لعنه الله: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

وقد كان رسول الله ﷺ يسأل الله الغنى، ويتعوذ بالله من الفقر.

قال عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ، إنِّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى**»[(١)].

«**اللهمَّ، إني أعوذ بك من الفقر، والقلَّة، والذِّلَّة، وأعوذ بك من أن أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ**»[(٢)].

«**اللهمَّ، إني أعوذ بك من الفقر، والكفر، والفسوق، والشقاق، والنفاق**»[(٣)].

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢١)، وأحمد (٣٦٩٢)، عن عبد الله بن مسعود.

(٢) رواه أحمد (٨٠٥٣) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (١٥٤٤)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٠)، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٤٢)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الطبراني في الصغير (٣١٦)، والحاكم في الدعاء (٥٣٠/١) وصححه على شرط الشيخين، والبيهقي في الدعوات الكبير (٣٤٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١٧٢): رجال الطبراني رجال الصحيح. عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

«**اللهمَّ، إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع**»(١).

وقال لسعد: «**إن الله يحبُّ العبد التقي الغني الخفي**»(٢).

وقال لعمرو بن العاص: «**يا عمرو؛ نعم المال الصالح للمرء الصالح**»(٣).

ودلَّ حديث: «**ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلَى...**»، على أنَّ الأغنياء إذا شكروا نعمة الله، وقاموا بحقها، كان لهم من فُرص الطاعات وأجزيتها ما ليس للفقراء، ولذا قال في الحديث: «**ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء**»(٤).

وقد أثنى الله تعالى على عدد من رسله الأكرمين فوصفهم بفضيلة الشكر.

مثل شيخ المرسلين نوح عليه السلام، حيث مدحه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣].

ومثل إبراهيم أبي الأنبياء وأبي المسلمين، حين مدحه بقوله: ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [النحل: ١٢١].

---

(١) رواه أبو داود في الصلاة (١٥٤٧)، والنسائي في الاستعاذة (٥٤٦٨)، وابن ماجه في الأطعمة (٣٣٥٤)، وصحَّح إسناده النووي في رياض الصالحين (١٤٨٥)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٣/٨٨)، وحسَّنه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٨٣)، عن أبي هريرة، وتتمته: «**وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة**».

(٢) رواه مسلم في الزهد (٢٩٦٥)، وأحمد (١٤٤١)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) رواه أحمد (١٧٧٦٣)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في البيوع (٢/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في تخريج مشكلة الفقر (١٩)، عن عمرو بن العاص.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٤٣)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٩٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وداود وسليمان في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

وحكى عن سليمان أنه قال بعد أن سمع كلام النملة: ﴿رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ ...﴾ [النمل: ١٩].

وحكى عن يوسف قوله: ﴿رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلۡمُلۡكِ وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِ ...﴾ [يوسف: ١٠١].

وامتنَّ على خاتم رسـله بقوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحى: ٨]، ثم قال له: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١].

وامتنَّ على أصحابه فقال: ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

* * *

غير مراجعة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

أولًا: الصبر

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

في معنى الصبر وفضله

الصبر لغة واصطلاحًا:

يقول الراغب الأصفهاني: «الصَّبْرُ: الإمساك في ضيق. يقال: صَبَرْتُ الدّابّةَ: حبستها بلا علف، وصَبَرْتُ فلانًا: خلَّفته خِلْفة لا خروج له منها»[1].

والصبر ـ أيضًا ـ حَبس النَّفْس عن الجزع. وقد صَبَر فلانٌ عند المصيبة يصبِر صَبْرًا... قال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]. قال عنترة يذكر حربًا كان فيها:

فَصَبَرتُ عارفةً لذلك حُرَّةً   تَرْسو إذا نَفْسُ الجَبان تَطَلَّع[2]

أي حبستُ نفسًا عارفة[3].

والصبر اصطلاحًا: حبسُ النفس على ما يقتضيه العقل والشرع، وعمَّا يقتضيان حبسها عنه[4].

(١) المفردات في غريب القرآن (ص. ب. ر).
(٢) انظر: شرح ديوانه للخطيب التبريزي صـ ٩٥، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م.
(٣) انظر: الصحاح مادة (ص. ب. ر).
(٤) مفردات ألفاظ القرآن مادة (ص. ب. ر).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال ابن القيم: هو خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التى بها صلاح شأنها وقوام أمرها[١].

وقال أيضًا: النفس فيها قوتان: قـوة الإقدام، وقوة الإحجام، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقدام مصروفة إلى ما ينفعه، وقوة الإحجام إمساكًا عمَّا يضرُّه[٢].

وقال الجرجاني: الصبر ترك الشـكوى من ألـم البلوى لغير الله لا إلى الله[٣].

وقيل: حبس النفس عن التسـخُّط بالمقدور، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن المعصية؛ كاللطم وشقِّ الثياب ونتف الشَّعر ونحوه[٤].

الصبر عبادة ربانيَّة:

والعبادات ليست هي الظاهرة فقط من الصَّلاة والزكاة والصيام والحج والتلاوة والذكر والتَّسـبيح والاسـتغفار والصلاة على النبي ﷺ، ولكن هناك عبادات باطنة، منهـا: الصبر لله وبالله ومع الله، وعلى أقدار الله سبحانه وتعالى، وأنا أسـمِّيها «الأخلاق الربانية»، فهناك أخلاق إنسـانيَّة عامَّة؛ كالصدق والأمانة والتعاون والنظام والعدل والإحسـان والوفاء، وهذه تشترك فيها

(١) عدة الصابرين صـ ١٦.
(٢) المصدر السابق نفسه.
(٣) التعريفات للجرجاني صـ ١٣١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
(٤) الوابل الصيـب على الكلم الطيب لابن القيم صـ ٥، نشـر دار الكتـاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

QaradawiBooks.com

الأمم دينيَّـــة كانت أم غيـــر دينيَّة، وثنيَّـــة أم غير وثنيَّة، ولكـــن ما يُميِّز المؤمنين عن غيرهم: أنَّ أخلاقهم فيها هـــذا العنصر الربَّاني، فهم حينما يوفون بالعهد: «**يوفون بعهد الله**»، وحينما يصلون الأرحام أو يُحســـنون إلى الناس يتذكَّرون أنَّهم ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾، وحينما يصبرون، يصبرون ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾.

من معاني الصبر عند أئمة التصوف:

ونقل ابن القيم كلامًـــا رائعًا عن كثير من أئمـــة التصوف في معنى الصبر وحقيقته، فقال: «سئل الجنيد عن الصبر؟ فقال: تجرُّع المرارة من غير تعبُّس.

قال ذو النون المصري: الصبر: التباعد من المخالفات، والسكون عند تجرُّع غصص البلية، وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة.

وقيل: الصبر: الوقوف مع البلاء بحسن الأدب.

وقيل: هو الفناء في البلوى، بلا ظهور شكوى.

وقيل: تعويد النفس الهجوم على المكاره.

وقيل: المقام مع البلاء بحسن الصحبة، كالمقام مع العافية.

وقال عمرو بن عثمان: هو الثبات مـــع الله، وتلقِّي بلائه بالرحْب والدَّعة[1].

وقال الخوَّاص: هو الثبات على أحكام الكتاب والسُّنَّة.

(١) أي وداعة وسكون.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال يحيى بن معاذ: صبر المحبِّين أشدُّ من صبر الزاهدين. وا عجبًا! كيف يصبرون؟ وأنشد:

والصَّبْرُ يَجْمُلُ في المَوَاطِنِ كلِّها ... إلَّا عَلَيْـكَ فإنَّـه لا يَجْمُـلُ[(١)]

وقيل: الصبر هو الاستعانة بالله.

وقيل: هو ترك الشكوى.

وقيل:

الصَّبْـرُ مثلُ اسْـمِه، مُـرٌّ مَذَاقته ... لكنْ عواقبُـه أحلى مِنَ العَسَـلِ

وقيل: الصبر أن ترضى بتلف نفسك في رضا من تحبه. كما قيل:

سأصبر كي ترضى، وأتلَف حسرةً ... وحسبي أن ترضى، ويُتلِفني صبري»[(٢)]

الصبر فضيلة دينية، وضرورة دنيوية:

الصبر ليس من الفضائل الثانويـة أو المكمِّلة، بل هو ضرورة لازمة للإنسـان ليرقى ماديًّا ومعنويًّا، ويسعد فرديًّا واجتماعيًّا، فلا ينتصر دين، ولا تنهض دنيا إلَّا بالصبر.

فالصبر ضرورة دنيوية كما هو ضرورة دينيـة، ولذلك علَّق الله على الصبر خيرات الدنيا والآخرة، فلا يستطيع الإنسان أن ينال خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة إلَّا بالصبر.

---

(١) البيت لابن شمس الخلافة، كما في الدر الفريد وبيت القصيد (١١٤/٤)، تحقيق د. كامل سلمان الجبور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ ـ ٢٠١٥م.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١٥١/٢ ـ ١٥٨). والبيت لابن عطاء الله، كما في نتائج الأفكار القدسية في شرح الرسالة القشيرية (١٥٣/٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

لا تستطيع أن تنجح في عملك ما لم تتذرع بالصبر.

لا ينجح الطالب ولا يتفـوق، إلَّا إذا صبر على مداومة الحضور والاستذكار والجد والمراجعة.

لا ينجح الزارع ما لم يصبر على الزرع ويتعهَّده ويسقه ويعزق أرضه ويُنظِّفْه من الحشائش والدود وغيره.

لا ينجح التاجر ما لم يصبر على السفر والمشقة، والتنقل بين مختلف البلاد والأجواء، يبحث وجود السلع بأعدل الأسعار.

لا ينجح إنسان في عمله الرسمي والشعبي، رئيسًا أو مرؤوسًا، إلَّا بالصبر.

قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقال عمر: وجدنا خير عيشنا بالصبر[١].

قال الشاعر:

الصبرُ مِفتاحُ ما يُرجَّى ... وكلُّ صعبٍ به يهونُ
فاصبرْ وإن طالتْ الليالي ... فرُبَّما طاوع الحَرُونُ
وربما نِيلَ باصطبارٍ ... ما قيل: هيهاتَ لا يكونُ[٢]

---

(١) رواه أحمد في الزهد (٦١٢).

(٢) الأبيات تُنسب للشافعي، كما ذكر محمد بن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد (١١٢/٤).
وقال القاضي التنوخي: وجدت هذه الأبيات بخط القاضي أبي جعفر بن البهلول التنوخي لبعض الشعراء. انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (٦٧/٥)، تحقيق عبود الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

قال شاعر آخر:

إنِّي رأيت وفي الأيام تجربة ... للصبر عاقبة محمودة الأثر
وقلَّ من جدَّ في أمر يحاوله ... واستصحب الصبر إلّا فاز بالظفر(١)

وقال آخر:

لا تيأسنَّ وإن طالتْ مطالبةٌ ... إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجًا
أخلِقْ بذي الصبرِ أن يحظى بحاجتِهِ ... ومُدمنُ القرعِ للأبوابِ أن يَلِجَا!(٢)

النصر إنَّما يُنال بالصبر، كما قال النبي ﷺ لابن عباس: «**واعلم أنَّ النصر مع الصبر**»(٣).

ولا يكون الإنسان من أهل العزم، ويستحق هذه المرتبة، إلَّا بالصبر والتقوى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

ولا تنال الجنة إلَّا بالصبر، قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]. وقال: ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [المؤمنون: ١١١]. وقال ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۞ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤ ـ ٧٦]

(١) من شعر مُحَمَّد بن بشير مولى الأزد، انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (٦٠/٥).
(٢) من شعر محمد بن يسير، انظر: المصدر السابق (٦٩/٥).
(٣) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والطبراني (١٢٣/١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٨٠٦)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

والملائكة يدخلون على المؤمنين في الجنـة من كل باب، يقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٤].

قال أبو طالب المكي: «واعلم أن الصبر سبب دخول الجنة، وسبب النجاة من النار؛ لأنه جاء في الخبر: «**حُفّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشـــهوات**»[(١)]. فيحتاج المؤمن إلى الصبر على المكاره؛ ليدخل الجنة، ويحتاج إلى الصبر عن الشهوات؛ لينجو من النار»[(٢)].

الصبر من صفات المؤمنين:

لا بدَّ من الصبر، ولهذا مدح الله الصبـــر، وأثنى عليه، وجعل جزاءه أعظم الجزاء، فقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ولذلك كانت صفة الصبر دائمًا ضمن صفات المؤمنين الممدوحين في القرآن الكريم، فقال تعالى عن أهـل التقوى: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ [آل عمـران: ١٥ ـ ١٧]، وقـال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

---

(١) رواه مسلم في صفة الجنة (٢٨٢٢)، وأحمد (١٢٥٥٩)، عن أنس بن مالك.

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب لأبي طالب المكي (٣٣٦/١)، تحقيق د. عاصم إبراهيم الكيالي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

QaradawiBooks.com

وفي وصف أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ۝ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٠ ـ ٢٢].

ووصف الله الذين هاجروا فيه من بعد ما ظلموا بالصبر، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤١، ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩]. قرن الصبر بالتوكل عليه وحده.

وقرن الله سبحانه الصبر باليقين لمن جعلهم أئمة للأمة، فقال في قوم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

فمن أراد الإمامة للمؤمنين فعليه أمران: الصبر، واليقين، الصبر في مقاومة الشهوات، واليقين في مقاومة الشبهات، وبذلك يستقيم فكره، ويستقيم سلوكه.

يقول ابن تيمية: «إنَّما تنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين»(١). مستدلًّا بالآية الكريمة: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

(١) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣/٣٥٨)، تحقيق عبد الرحمٰن بن محمد بن قاسم، نشر مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

وقال الإمام سفيان بن عُيينة: لَمَّا أَخذُوا برأس الأمر صاروا رؤساء[١].

وقرنه تعالى بالتقــوى فقال: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمـران: ١٢٥]. علّق الإمداد بالملائكة على الصبر والتقوى من المؤمنين في بدر.

إذا صبر الإنسان واتّقى نجا من كيد أعدائه، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فمن لا رأس له لا جسد له، ومن لا صبر له لا إيمان له[٢].

الصبر الممدوح هو صبر أهل الإيمان والتقوى واليقين:

قال ابن القيم: «الصبر نوعان: نوع على المقدور، كالمصائب. ونوع على المشروع.

وهذا النوع أيضًا نوعان: صبر على الأوامر، وصبر عن النواهي.

فذاك صبر على الإرادة والفعل، وهذا صبر عن الإرادة والفعل.

فأما النوع الأول من الصبر، فمشـترَك بين المؤمـن والكافر، والبرّ والفاجر، لا يُثاب عليه لمجرَّده، إن لم يقترن به إيمان واختيار.

قال النبي ﷺ، في حقّ ابنته: «**مُرها فلتصبر ولتحتسب**»[٣]. وقال تعالى:

---

(١) انظر: مدارج السالكين (١٦٠/٢).

(٢) رواه البيهقي في الشعب (٩٧١٨).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٧)، ومسلم في الجنائز (٩٢٣)، عن أسامة بن زيد. قلت: وقد استشهد ابن القيم بهذا الحديث ليدل على أن أهل الإيمان إنَّما يؤجرون على المصائب والصبر على المقدور باحتساب الأجر، خلافًا للكافر الذي لا يرجو من الله جزاءً ولا شكورًا.

QaradawiBooks.com

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ١١]، وقال تعالى: ﴿بَلَىٰٓۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فالصبر بدون الإيمان والتقوى بمنزلة قوَّة البدن الخالي عن الإيمان والتقوى، وعلى حسب اليقين بالمشروع يكون الصبر على المقدور، وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠]، فأمره أن يصبر، ولا يتشبَّه بالذين لا يقين عندهم في عدم الصبر، فإنَّهم لعدم يقينهم عُدِمَ صبرُهم وخفُّوا واستخفوا قومهم. ولو حصل لهم اليقين والحقُّ لصبروا، وما خفُّوا ولا استخفوا، فمَن قلَّ يقينه قلَّ صبره، ومن قلَّ صبره خفَّ واستخفَّ، فالموقن الصابر رزين؛ لأنَّه ذو لبٍّ وعقل. ومن لا يقين له، ولا صبر عنده، خفيف طائش، تلعب به الأهواء والشهوات، كما تلعب الرياح بالشيء الخفيف. والله المستعان»(١).

القرآن يؤكد على أهمية الصبر وفضله:

استعرض الإمام ابن القيم في كتابه «مدارج السالكين» كيف أنَّ القرآن احتفى بالصبر وأهله المُتَّصفين به، فقال: «ومن منازل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] منزلة الصبر.

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: الصبر في القرآن في نحو تسعين موضعًا.

وهو واجب بإجماع الأمة، وهو نصف الإيمان. فإنَّ الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر.

(١) التبيان في أقسام القرآن لابن القيم صـ ٨٤ ـ ٨٨، تحقيق محمد حامد الفقي، نشر دار المعرفة، بيروت.

QaradawiBooks.com

وهو مذكور في القرآن على ستة عشر نوعًا.

الأول: الأمر به، نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقوله: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥]. وقوله: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]، وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧].

الثاني: النهي عن ضده، كقوله: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]، فإنَّ تولية الأدبار: ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ [محمد: ٣٣] فإنَّ إبطالها ترك الصبر على إتمامها، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ [آل عمران: ١٣٩]، فإنَّ الوهن من عدم الصبر.

الثالث: الثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٧]، وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وهو كثير في القرآن.

الرابع: إيجابه سبحانه محبته لهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

الخامس: إيجاب معيته لهم، وهي معيَّة خاصَّة، تتضمَّن حفظهم ونصرهم وتأييدهم. ليست معيَّة عامَّة. وهي معية العلم والإحاطة. كقوله: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦] وقوله: ﴿وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

السادس: إخباره بأنَّ الصبر خيرٌ لأصحابه، كقوله: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقوله: ﴿وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [النساء: ٢٥].

QaradawiBooks.com

السابع: إيجاب الجزاء لهم بأحسن أعماله، كقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

الثامن: إيجابه سبحانه الجزاء لهم بغير حساب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

التاسع: إطلاق البُشرى لأهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥].

العاشر: ضمان النصر والمدد لهم، كقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران: ١٢٥]، ومنه قول النبي ﷺ: «**واعلم أنَّ النصر مع الصبر**»(١).

الحادي عشر: الإخبار منه تعالى بأنَّ أهل الصبر هم أهل العزائم، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣].

الثاني عشر: الإخبار أنَّه ما يلقى الأعمال الصالحة وجزاءها والحظوظ العظيمة إلَّا أهل الصبر، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، وقوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٥].

الثالث عشر: الإخبار أنَّه إنَّما ينتفع بالآيات والعبر أهل الصبر. كقوله تعالى لموسى: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥]، وقوله في أهل سبأ: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ

(١) سبق تخريجه صـ٣٠.

QaradawiBooks.com

﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [سبأ: ١٩]. وقوله في سورة الشورى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ۝ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣].

الرابع عشر: الإخبار بأنَّ الفوز المطلوب المحبوب، والنجاة من المكروه المرهوب، ودخول الجنة، إنَّما نالوه بالصبر، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

الخامس عشر: أنَّه يورث صاحبَه درجة الإمامة. سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين. ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤](١).

السادس عشر: اقترانه بمقامات الإسلام والإيمان، كما قرنه الله سبحانه باليقين وبالإيمان، والتقوى والتوكل، وبالشكر والعمل الصالح والرحمة.

ولهذا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له، كما أنَّه لا جسد لمن لا رأس له.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: خير عيش أدركناه بالصبر(٢). وأخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح أنَّه ضياء(٣)، وقال: «**من يتصبر يصبِّرْه الله**»(٤).

---

(١) سبق إيراده صـ ٣٢.

(٢) رواه ابن المبارك (٦٣٠) ووكيع (١٩٨) وأحمد (٦١٢) كلهم في كتاب (الزهد).

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٨)، عن أبي مالك الأشعري.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٤٦٩)، ومسلم (١٠٥٣)، كلاهما في الزكاة، عن أبي سعيد الخدري.

QaradawiBooks.com

وفي الحديث الصحيح: «**عجبًا لأمر المؤمــن! إنَّ أمْرَه كلَّه له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إنْ أصابتْه سرَّاءُ شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر، فكان خيرًا له**»[١].

وقال للمرأة الســوداء التي كانت تُصرع، فســألته أن يدعو لها: «**إنْ شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإنْ شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك**». فقالت: إنِّي أتكشَّف فادع الله ألَّا أتكشَّف. فدعا لها[٢].

وأمر الأنصار رضي الله عنهم بأن يصبروا على الأثــرة التي يلقونها بعده، حتى يلقوه على الحوض[٣].

وأمر عند ملاقاة العدو بالصبر، وأمر بالصبر عند المصيبة، وأخبر أنَّه إنَّما يكون عند الصدمة الأولى[٤].

وأمر ﷺ المصاب بأنفع الأمور له، وهو الصبر والاحتساب؛ فإنَّ ذلك يخفِّف مصيبتَه، ويوفِّــر أجرَه، والجزعُ والتســخُّط والتشــكي يزيد في المصيبة، ويُذهِب الأجرَ.

وأخبر ﷺ أنَّ الصبر خيرٌ كلَّه، فقال: «**ما أُعطيَ أحد عطاءً خيرًا له وأوسع من الصبر**[٥]»[٦].

---

(١) سبق تخريجه صـ٩.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٢) ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٦)، عن ابن عباس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في فرض الخمس (٣١٤٧) ومسلم في الزكاة (١٠٥٩)، عن أنس.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٢)، ومسلم (٩٢٦)، كلاهما في الجنائز، عن أنس.

(٥) سبق تخريجه صـ٣٧. عن أبي سعيد، وفيه: «**ومن يتصبر يُصبِّره الله**».

(٦) انظر: مدارج السالكين (٢/١٥١ ـ ١٥٥).

QaradawiBooks.com

حكم الصبر

ذكر الإمام ابن القيم في «المدارج» أنَّ الصبر واجب باتفاق الأمة[١].

وقال ابن رجب الحنبلي: الرضا فضل مندوب إليه مستحبٌّ، والصبر واجب على المؤمن حتم[٢].

وهذا صحيح في الجملة، لا في التفصيل، فقد أمر الله بالصبر في آيات عديدة من كتابه الكريم، والأمر في أصله يقتضي الوجوب، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ١٥٣]. وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. كما أنَّه سبحانه نهى عن ضدِّه، وذلك في مثل قوله تعالى: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]، فإنَّ تولية الأدبار ترك للصبر والمصابرة، وقوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، فإنَّ إبطالها ترك للصبر على إتمامها، وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [آل عمران: ١٣٩] فإنَّ الوهن من عدم الصبر. وقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فإنَّ الاستعجال من عدم الصبر.

والله سبحانه رتَّب عليه خيري الدنيا والآخرة، فلا يفوز الإنسان بمحبوب، ولا ينجو من مكروه إلَّا بالصبر، وما كان كذلك كان تحصيله واجبًا.

---

(١) مدارج السالكين (١٣٠/١).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٨٨/١)، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٧، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

ومع هذا نقول: إنَّ حكم الصبر إنَّما يكون بحسب المصبور عنه أو المصبور عليه. فالصبر عن المحرَّمات واجب، وتتأكد درجة وجوبه بمقدار عِظَم المحرَّم.

أما الصبر عن المكروه، أو عمَّا هو خلاف الأفضل والأمثل، فلا يصل إلى درجة الواجب، وإنَّما هو مستحب، أو خيرٌ من مقابله.

مثال ذلك: مقابلة السيئة بمثلها مشروعة في الإسلام، وأفضل منها العفو والصفح. ومن هنا لا يكون الصبر عن مقابلة السيئة بمثلها واجبًا، بل أمرًا مندوبًا إليه مرغوبًا فيه، وفي ذلك جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، ومثله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤١ ـ ٤٣].

فالصبر هنا عن المعاقبة بالمثل، وعن الانتصار بعد الظلم إنَّما هو فضيلة لا فريضة، يُحمد ويُثاب من فعلها، ولا يذمّ ولا يعاقب من تركها. فليس في القرآن ما في الإنجيل من النَّهي عن مقاومة الشر بالشر والسيِّئة بمثلها، وأمر من ضُرب على خدِّه الأيمن أن يدير للضارب خدَّه الأيسر[1]، فليس هذا بمستطاع لكل الناس، وفي كل الأحوال، وإنَّما فيه الترغيب في الصبر والصفح، ودفع السيئة بالتي هي أحسن، وهذه هي مرتبة الفضل والإحسان، مع إجازة مقابلة السيِّئة بالسيِّئة، والعدوان بالعدوان، وهذه هي مرتبة العدل، والبادي أظلم، ولكن الشرط أن يقابل الاعتداء بمثله، دون زيادة أو حيْف، في الكم أو الكيف. أما أن

(١) إنجيل لوقا (٦/٢٨، ٢٩).

QaradawiBooks.com

تكيل للمعتدي الصـاعَ صاعين، وتــردَّ له اللطمة لطمتيــن، فهذا هو العدوان الممنوع.

ولهذا أكَّد القرآنُ (المثليَّة) في هذا المقام دائمًا بمثل قوله: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ونحو ذلك ما جاء في الصبر عن زواج الإماء المؤمنات وإن رخّص القرآن فيه لمن لم يستطع الزواجَ من الحرائر المؤمنات، فقد قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِكُمۚ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذۡنِ أَهۡلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ مُحۡصَنَٰتٍ غَيۡرَ مُسَٰفِحَٰتٖ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخۡدَانٖۚ فَإِذَآ أُحۡصِنَّ فَإِنۡ أَتَيۡنَ بِفَٰحِشَةٖ فَعَلَيۡهِنَّ نِصۡفُ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ مِنَ ٱلۡعَذَابِۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ ٱلۡعَنَتَ مِنكُمۡۚ وَأَن تَصۡبِرُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النساء: ٢٥].

ومثل ذلك يقال فيما يُصبر عليه، فالصبر على الواجبات واجب، وعلى المستحبّات مستحب.

فالصبر على أداء الصلوات الخمس في أوقاتها واجب مؤكد، وفريضة لأزمة. أما الصبر على قيام الليل فهو مستحب... وهكذا.

يقول أبو طالب المكي: «الصبر فرض وفضـــل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام، فما كان أمرًا أو إيجابًا فالصبر عليه أو عنه فرض، وما كان حثًّا وندبًا، فالصبر عليه أو عنه فضل»[1].

(١) قوت القلوب (٣٣٤/١).

QaradawiBooks.com

وفصَّل ذلك الإمام الغزالـي في «الإحياء»، فقـال: «اعلم أنَّ الصبر ينقسـم باعتبار حكمه إلى فرض ونفل، ومكروه ومحـرم. فالصبر عن المحظورات فرض، وعلى المكاره نفـل، والصبر على الأذى المحظور محظور، كمن تُقطع يده، أو يد ولده، وهو يصبر عليه ساكتًا.

وكمن يقصد جريمة بشهوة محظورة، فتهيج غيرته، فيصبر عن إظهار الغيرة، ويسكت على ما يجري على أهله[1]، فهذا الصبر محرَّم.

والصبر المكروه هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع. فليكن الشرع محكّ الصبر.

فكون الصبـر نصف الإيمـان، لا ينْبني أن يخيَّل إليـك أنَّ جميعه محمود، بل المراد به أنواع من الصبر مخصوصة»[2].

فالصبر ـ إذن ـ إنَّما يُحمد إذا كان على بلاء لا يقدر الإنسـان على إزالته، أو التخلص منـه، فأما ما كان مقدورًا علـى دفعه أو رفعه فليس الصبر عليه مطلوبًا في الدين.

يقول الغزالي: «كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤْمر بالصبر عليه، فلو ترك الإنسـان الماء مـع طول العطش حتى عَظُـم تألُّمُه، فلا يُؤْمر بالصبر عليه، بل يُؤْمر بإزالة الألـم، وإنَّما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته»[3].

(١) وفي هذا الصنف جاء حديث رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ أبدًا: الدَّيُوثُ، والرَّجُلةُ من النِّساءِ، ومدمنُ الخمرِ». قالوا: يا رسولَ اللهِ، أمَّا مدمن الخمر، فقد عرفناه، فما الدَّيوثُ؟ قال: «الَّذي لا يُبالي مَن دخل على أهلِه». رواه البيهقي في الشعب (١٠٣١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٧١): صحيح لغيره. عن عمار بن ياسر.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/٦٩).

(٣) المصدر السابق (٤/١٢٧).

QaradawiBooks.com

وفي مثل هذا جاء وعيد القرآن الشديد في شأن الذين يقيمون في دار الشِّرك والحرب للإسلام ظالمي أنفسِهم، عاجزين عن إقامة فرائض دينهم، وهم قادرون على الهجرة إلى دار الإسلام. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧].

مجالات الصبر وأنواعه:

الصبر حبسُ النفس على ما تكره؛ ابتغاء مرضاة الله. كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [الرعد: ٢٢].

وما تكرهه النفس أنواع وألوان شتَّى، ولهذا تتَّسع دائرة الصبر فتشمل مجالات رحْبة أكثر ممَّا يقف عنده ـ عادةً ـ كثير من الناس إذا ذكرت كلمة «الصبر».

الغزالي يقسم الصبر إلى صبر بدني وصبر نفسي:

قسَّم الإمام الغزالي الصبر إلى: صبر بدني، وصبر نفسي، يقول الإمام الغزالي: «اعلم أنَّ الصبر ضربان:

أحدهما: ضرب بدنيٌّ، كتحمُّل المشاقِّ بالبدن، والثبات عليها. وهو إما بالفعل؛ كتعاطي الأعمال الشاقَّة، إما من العبادات أو من غيرها.

وإما بالاحتمال؛ كالصبر على الضرب الشديد، والمرض العظيم، والجراحات الهائلة».

قال الغزالي: «وذلك قد يكون محمودًا إذا وافق الشرع.

QaradawiBooks.com

ولكنَّ المحمودَ التامَّ هو الضرب الآخر، وهو الصبر النفسيُّ عن مشتهيَات الطَّبْع ومقتضيات الهوى.

غير مرخصة للطباعة

الصبر النفسي يحمل في طياته كل شعب الإيمان:

ثم هذا الضرب إنْ كان صبرًا عن شهوة البطن والفرج سُمِّي عفة.

وإن كان على احتمال مكروه، اختلفت أساميه عند الناس باختلاف المكروه الذي غلب عليه الصبر: فإن كان في مصيبة اقتصر على اسم «الصبر»، وتضادُّه حالة تسمَّى «الجزع والهلع»، وهو إطلاق داعي الهوى ليسترسل في رفع الصوت، وضرب الخدود، وشقِّ الجيوب وغيرهما.

وإن كان في احتمال الغِنَى سُمِّيَ «ضبط النفس»، وتضادُّه حالة تسمَّى «البَطَر».

وإن كان في حرب ومقاتلة سُمِّي «شجاعة»، ويضادُّه «الجبن».

وإن كان في كظم الغيظ والغضب سُمِّي «حِلمًا»، ويضادُّه «التذمُّر».

وإن كان في نائبة من نوائب الزمان مُضْجرة، سُمِّي «سَعة الصدر»، ويضادُّه «الضجر والتبرُّم، وضيق الصدر».

وإن كان في إخفاء كلام سُمِّي «كتمان السر»، وسمِّي صاحبه «كتومًا».

وإن كان عن فُضول العيش سُمِّي «زهدًا»، ويضادُّه «الحرص».

وإن كان صبرًا على قدْر يسير من الحظوظ سُمِّي «قناعة»، ويضادُّه «الشَّرَه».

فأكثر أخلاق الإيمان داخل في الصبر.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ولذلك لما سُئل عَلَيْهِ السَّلَامُ مرّةً عن الإيمان قال: «هو الصبر»[١]؛ لأنّه أكثر أعماله وأعزُّها. كما قال: «**الحج عرفة**»[٢].

وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك، وسمّى الكل صبرًا، فقال تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ «أي المصيبة» ﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾ «أي الفقر» ﴿وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ﴾ «أي المحاربة» ﴿ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فإذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلّقاتها، ومن يأخذ المعاني من الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها، من حيث رأى الأسامي مختلفة، والذي يسلك الطريق المستقيم، وينظر بنور الله تعالى يلحظ المعاني أولًا، فيطّلع على حقائقها، ثم يلاحظ الأسامي، فإنّها وضعت دالّة على المعاني. فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع. ومن يطلب الأصول من التوابع لا بدّ أن يزل»[٣].

وهذا كلام نفيس، وتحقيق جليل، ومنه نفهم كيف جعل القرآن الصبر وحده مناط الفلاح في الآخرة، ودخول الجنة، واستحقاق التحية من الملائكة، وذلك في مثل قوله تعالى في شأن الأبرار من عباده: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢].

وفي شأن عباد الرحمٰن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ﴾ أي الجنة ﴿بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٧٥].

---

(١) إشارة إلى الحديث عن عمرو بن عبسة:.. قلت: ما الإيمان؟ قال: «**الصبر والسماحة**» وقد سبق تخريجه صـ١٥.

(٢) رواه أحمد (١٨٧٧٤) وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥)، كلهم في الحج، عن عبد الرحمٰن بن يعمر.

(٣) إحياء علوم الدين (٤/٦٦، ٦٧).

QaradawiBooks.com

وفي شأن أولي الألباب من عباد الله الأخيار: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

غير مرخصة للطباعة

فالصبر هنا يحمل في طياته جملة شُعَب الإيمان وأخلاق الإسلام.

والصبر الذي نقصد الحديث إليه، ويمدحه علماء السَّيْرِ إلى الله، ونجري نحن القلم فيه في كتابنا هذا، هو الصبر النفسي، الذي يمتاز به الإنسان عن غيره من المخلوقات.

درجات الصبر عند الإمام الهروي:

قال الإمام الهروي: الصَّبْر حبس النَّفس على جزع كامن عَن الشكوى، وهو أيضًا من أصعب المنازل على العامَّة وأوحشها فِي طريق المحبَّة وأنكرها فِي طريق التوحِيد، وهو على ثلاث درجات:

١ ـ **الدرجة الأولى: الصَّبْر عَن الْمعْصِيَة**: بمطالعة الْوعيد إبقاءً على الإِيمان وحذرًا من الجزاء، وأحسن منها الصبر عن المعصية حياءً.

٢ ـ **والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة**: بالمحافظة عليها دوامًا، وبرعايتها إخلاصًا، وبتحسينها علمًا.

قلت (القرضاوي): وهاتان الدرجتان تتعلقان بكسب العبد.

٣ ـ **الدرجة الثالثة: الصبر في البلاء**: بملاحظة حُسن الجزاء، وانتظار رَوْح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن وتذكُّر سوالف النعم.

قلت (القرضاوي): وهذه الدرجة لا كسب للعبد فيها، إلَّا على صبره واحتسابه جزاء الصابرين، وقد نقل الإمام ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، أنَّه قال: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة

QaradawiBooks.com

العزيز على شأنها: أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه. فإنَّ هذه أمور جرت عليه بغير اختياره، لا كسب له فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس(١).

وفي ذلك يقول ميمون بن مهران: الصبر صبران: فالصبر على المصيبة حسن، وأفضل منه الصبر عن المعصية(٢).

ثم قال الإمام الهروي: وفي هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزلت:

﴿ٱصْبِرُواْ﴾ يعني في البلاء ﴿وَصَابِرُواْ﴾ يَعْنِي عَن الْمعْصِيَة ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠] يعني على الطَّاعة(٣).

أولًا: الصبر عن المعصية

قال ابن القيم: «ذكر له الإمام الهروي سببين وفائدتين، أما السببان:

فالخوف من لحوق الوعيد المترتِّب عليها، والحياء من الرب تبارك وتعالى أن يُستعان على معاصيه بنعمه، وأن يُبارَز بالعظائم.

وأما الفائدتان: فالإبقاء على الإيمان، والحذر من الحرام.

فأما مطالعة الوعيد، والخوف منه: فيبعث عليه قوة الإيمان بالخبر، والتصديق بمضمونه.

(١) مدارج السالكين (١٥٦/٢).

(٢) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (١٨)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٣) انظر: منازل السائرين للهروي صـ ٥٠، نشر دار الكتب العلمية، بيروت.

QaradawiBooks.com

وأما الحياء: فيبعث عليه قوة المعرفة، ومشــاهدة معاني الأسماء والصفات.

وأحسن من ذلك: أن يكون الباعث عليه وازع الحب. فيترك معصيته محبة له...

وأما الفائدتــان: فالإبقاء على الإيمان يبعث على تــرك المعصية؛ لأنَّها لا بدَّ أن تُنقصه، أو تذهب به، أو تُذهب رونقه وبهجته، أو تطفئ نوره، أو تضعف قوته، أو تنقص ثمرته. هذا أمر ضروري بين المعصية وبين الإيمان، يُعلم بالوجود والخبر والعقل، كما صحَّ عنه ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشــرب الخمر حين يشــربها وهو مؤمن، ولا يسرق حين يســرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شــرف** ـ يرفع إليــه الناس فيها أبصارهم حين ينتهبها ـ **وهو مؤمن. فإياكم إياكم، والتوبة معروضة بعد**»[1].

وأما الحذر عن الحرام، فهو الصبر عن كثير من المباح، حذرًا من أن يسوقه إلى الحرام.

ولما كان الحياء من شيم الأشــراف، وأهل الكرم والنفوس الزكية، كان صاحبه أحسن حالًا من أهل الخوف، ولأنَّ في الحياء من الله ما يدل على مراقبته وحضور القلب معه، ولأنَّ فيه من تعظيمه وإجلاله ما ليس في وازع الخوف.

فمَن وازعُهُ الخوفُ: قلبُه حاضرٌ مع العقوبة، ومَن وازعه الحياء: قلبه حاضرٌ مع الله، والخائف مراعٍ جانبَ نفســه وحمايتها، والمستحي مراعٍ جانب ربه وملاحظٌ عظمته. وكلا المقامين من مقامات أهل الإيمان.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٧٥)، ومســلم في الإيمان (٥٧)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

غير أنَّ الحياء أقرب إلى مقام الإحسان، وألصق به، إذ أنزل نفسه منزلة من كأنَّه يرى الله، فنبعت ينابيع الحياء من عين قلبه وتفجرت عيونها»(١).

يوسف الصِّدِّيق وصبره عن المعصية:

إذا لاحت لك أسباب المعصية، وتهيَّأت لك ظروفها، فألجم نفسك بلجام التقوى واصبر عنها، وقل ما قال يوسف عليه السلام حينما راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلَّقت الأبواب وقالت: هيت لك. قال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

صبر يوسف عليه السلام، حيث فُتنت به امرأة العزيز، وهي امرأة ذات منصب وجمال، وقد هيَّأت الأسباب، وغلَّقت الأبواب، وقالت: «هَيْتَ لك» بصريح العبارة، فقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَاىَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]، فردعها بكل الروادع الربانيَّة والأخلاقيَّة والعمليَّة، ومع هذا لم ترتدع، وقالت بصراحة أمام النسوة التي دعتهن إلى قصرها، فأرتهن يوسف، فلم يملكن حين رأينه فجأة إلَّا أنْ قطَّعن أيديهن بالسكاكين، التي في أيديهن، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ ۝ قَالَتۡ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمۡتُنَّنِى فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ وَلَئِن لَّمۡ يَفۡعَلۡ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسۡجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣١، ٣٢]. فاستجار بربه، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِىٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّى كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣].

لقد كانت دواعي موافقة يوسف لامرأة العزيز قوية:

---

(١) مدارج السالكين (١٦٣/٢ ـ ١٦٥)، بتصرف يسير.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

(أ) فإنه كان شابًّا، وداعية الشباب إليها قوية.

(ب) وعزبًا ليس له ما يعوِّضه ويردُّ شهوته.

(ج) وغريبًا، والغريب لا يستحي في بلد غربته ممَّا يستحي منه مَن بين أصحابه ومعارفه وأهله.

(د) ومملوكًا، والمملوك أيضًا ليس وازعه كوازع الحر.

(هـ) والمرأة جميلة، وذات منصب. وهي سيدته. وقد غاب الرقيب. وهي الداعية له إلى نفسها. والحريصة على ذلك أشدَّ الحرص.

(و) ومع ذلك توعدته إن لم يفعل بالسجن والصَّغَار.

ومع هذه الدواعي كلها صبر اختيارًا وإيثارًا لما عند الله.

لقد كان يوسف عليه السلام مخيَّرًا بين محنتين: محنة في دينه: أن يستجيب لها، وينجو من السجن، وينضم إلى أرباب العشق، ويصبح من الفاسقين، أو يرفض ويستقبل ما يأتي به القدر من نتائج، وهو ما صمَّم عليه. ولكنَّه ظل صابرًا عن المعصية، فانتصر في صبره، رضي بمحنة الدنيا على محنة الدين، ودخل في السجن ولبث فيه بضع سنين.

ما يعين على الصبر عن المعصية:

إنَّ الصبر عن المعصية يحتاج إلى أنْ يدفع الإنسان نزغات الشيطان، الذي تحدَّى آدم وذريته وقال الله تعالى: ﴿فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦ ـ ١٧]، من الجهات الأربع: من أمام ومن خلف، وعن اليمين وعن الشمال، ولا يترك لنا بابًا إلَّا دخل منه، ولا طريقًا إلَّا سلكه.

QaradawiBooks.com

والشيطان ليس وحده في معركة إغواء الإنسان، فهناك قبل الشيطان ومعه: نفس الإنسان التي بين جنبيه، التي تميل إلى اتباع الهوى، وعدم التقيد بأمر الله ونهيه، وهناك الدنيا المزينة المزخرفة التي تسكر الإنسان وتلهيه عن التيقُّظ لنفسه وشيطانه.

إبليس يُغوي والهوى شَرَكٌ له والعيش يُغري، والأماني تخدع[1]

لذا يحتاج الإنسان إلى ما يعينه على أن يجاهد نفسه وهواه وعدوَّه الشيطان، ونذكر هنا بعضًا من الأسباب التي ذكرها الإمام ابن القيم في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» التي تعين الإنسان على الصبر عن معاصي الله، ونعلق عليها بما يفتح الله علينا به.

قال رحمه الله تعالى: «الصبر عن المعصية ينشأُ من أسباب عديدة:

١ ـ علم العبد بقبح المعصية:

أحدها: علم العبد بقبحها ورذالتها ودناءَتها، وأنَّ الله إنَّما حرَّمها ونهى عنها صيانة وحماية عن الدنايا والرذائل، كما يحمي الوالد الشفيق ولده عمَّا يضُّره وهذا السبب يحمل العاقل على تركها ولو لم يعلَّق عليها وعيد بالعذاب»[2].

إنَّ التحريم في شريعة الإسلام يتبع الخبث والضرر، فالإسلام لا يحرم إلَّا كل خبيث، ولا يبيح إلَّا كل طيب، وعنوان الرسالة المحمدية عند أهل الكتاب ـ كما ذكر لنا القرآن ـ ورسولها أنَّه: ﴿**يَأْمُرُهُم**

(١) من قصيدة ابتهال، في ديواننا: نفحات ولفات صـ١٦٨، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٣٢هـ ـ ٢٠١١م.

(٢) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم صـ ٢٧٠، نشر دار السلفية، القاهرة، ط٢، ١٣٩٤هـ.

QaradawiBooks.com

بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

٢ ـ الحياء من الله:

ثاني الأسباب أو المعينات التي ذكرها الإمام ابن القيم هو: الحياءُ من الله سبحانه، فإنَّ العبد متى علم بنظر الله إليه، ومقامه عليه، وأنَّه بمرأًى منه ومسمع؛ وكان حيًّا حييًّا استحى من ربه أن يتعرَّض لمساخطه[(١)].

وقد أوصى رسول الله ﷺ بعض أصحابه فقال: «**أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك**»[(٢)].

وقال حاتم الأصم: تعهَّد نفسك في ثلاثة مواضع: إذا عملت فاذكر نظر الله إليك، وإذا تكلمت فاذكر سمع الله إليك، وإذا سكتَّ فاذكر علمَ الله فيك[(٣)].

وقد وقعت الإشارة في القرآن العظيم إلى هذا المعنى في مواضع، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ۝ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ۝ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ﴾ [ق: ١٦ ـ ١٨]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين صـ٢٧٠.
(٢) رواه الطبراني (٦/٦٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٠٤٤): رجاله وثقوا على ضعف في بعضهم. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٥٤١)، عن سعيد بن يزيد.
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٢/٣٤٠)، تحقيق أحمد بن علي، نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]. وقال تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٠]، ويقول سبحانه: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر: ١٩].

إنَّ استحضار رقابة الله تعالى وإحاطته بالخلق، والحياء من الله أن يرى أو يسمع أو يعلم من عبده ما يكره؛ توقظ القلب، وتحيي الضمير، فلا يجد الشيطان فرصةً لانتهاز غفلة الإنسان وسكرته، ليضلَّه عن سواء السبيل.

إنَّ الإنسان الربانيَّ قد تتاح له الشهوة الحرام، تُعرض عليه بلا رقيب ولا حسيب من البشر، فيدعها حياءً من الله، وحرصًا على أن يُظله في ظله يوم لا ظل إلَّا ظله، فيقول ما قال يوسف الصِّدِّيق حين راودته امرأة العزيز عن نفسه: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ﴾ [يوسف: ٢٣].

وقد قال عارم السدوسي: ما أمليتُ على ملكيَّ منذ ثلاثين سنة خطيئة، ولو فعلت ذلك لاستحييت منهما(١).

٣ ـ مراعاة نعم الله أن تزول:

السبب الثالث أو المعين الثالث: مراعاة نعم الله عليك وإحسانه إليك، قال ابن القيم: «فإنَّ الذنوب تزيل النعم ولا بدَّ، فما أذنب عبد ذنبًا، إلَّا زالت عنه نعمة من الله بحسب ذلك الذنب، فإن تاب وراجع

(١) صفة الصفوة (٣٤٢/٢).

QaradawiBooks.com

رجعت إليه أو مثلها، وإن أصرَّ لم ترجع إليه، ولا تزال الذنوب تزيل عنه نعمة نعمة حتى تسلب النعم كلها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١].

وأعظم النعم الإيمان، وذنب الزنى والسرقة وشرب الخمر وانتهاب النهبة يزيلها ويسلبها.

وقال بعض السلف: أذنبتُ ذنبًا، فحُرمتُ قيام الليل سنة. وقال آخر: أذنبتُ ذنبًا، فحُرمتُ فهم القرآن. وفي مثل هذا قيل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعها فإنَّ الذنوب تزيلُ النِّعَم(١)

وبالجملة فإنَّ المعاصي نار النعم، تأْكلها كما تأكل النار الحطب، عياذًا بالله من زوال نعمته وتحويل عافيته»(٢).

إن للذنوب والمعاصي أثرَها السيئ وشؤمها على الإنسان، فردًا ومجتمعًا، في دنياه وآخرته، في مادياته ومعنوياته، في علاقته بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بأسرته، وعلاقته بمجتمعه، وعلاقته بالكون من حوله، وعلاقة الناس بعضهم ببعض.

وهي مُضرَّة بالقلب والبدن في الدنيا والآخرة، ما لا يعلمه إلَّا الله، ومن آثارها حرمان نور العلم، فالعلم ـ كما قال الصنعاني ـ نور يقذفه الله في القلب، والمعصية تطفئ ذلك النور، كما أفاده قوله تعالى في بعض بني إسرائيل عند عدّ عقوباتهم: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣].

(١) ذكره الماوردي من غير نسبة في أدب الدنيا والدين صـ ٢٤٥، نشر دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م. وروى ابن عساكر أن عمر بن عبد العزيز كان يتمثل كثيرًا بهذه الأبيات. انظر: تاريخ دمشق (٧٠/٥٤)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

(٢) طريق الهجرتين صـ ٢٧١.

QaradawiBooks.com

وهذا في نسـيان ما عُلِّموه، وقال: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فحرموا فقه الوحي لكفرهم أولًا[١]. وقال تعالى: ﴿ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين: ١٤]. وفي الحديث: «**إنَّ المؤمـن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سـوداء في قلبه، فـإنْ تاب ونزع واسـتغفر صقل منها، وإنْ زاد زادت، حتى يغلَّف بهـا قلبه، فذاك الران الذي ذكر الله في كتابه**»[٢].

ومن ذلك قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي   فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرنـي بـأنَّ العلـم نورٌ   ونورُ اللهِ لا يُهدى لعاصي[٣]

ومنها الوحشة التي يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، وبينه وبين الناس، ولا سيما أهل الخير منهم، وتعسير أموره، وانسداد أبواب الخير في وجهه، وقد قال بعض السـلف: إني لأعصي الله فأرى ذلك في خُلُق دابَّتي وامرأتي[٤].

وقال ابن عباس: إنَّ للحسنة ضياءً في الوجه، ونورًا في القلب، وسعة في الرزق، وقوة في البدن، ومحبة في قلوب الخلق، وإنَّ للسـيئة سوادًا

(١) التنوير شرح الجامع الصغير للصنعاني (٤٤٧/٣) ح (١٩٦٩)، تحقيق د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، نشر مكتبة السلام، الرياض، ط ١، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٢) رواه أحمد (٧٩٥٢) وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والترمذي في التفسير (٣٣٣٤) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٤٤)، والطبري في تفسيره (٢٦٧/١)، والحاكم في التفسير (٥١٧/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن أبي هريرة.

(٣) انظر: المحمدون من الشعراء للقفطي صـ ١٣٨، تحقيق حسن معمري وحمد الجاسر، نشر دار اليمامة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٤) انظر: صيد الخاطر لابن الجوزي صـ ٣١، تحقيق **حسن السماحي سويدان**، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

في الوجه، وظلمة في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضة في قلوب الخلق(١).. إلى آخر هذه الآثار التي فصَّل القول فيها ابن القيم في كتابه القيِّم: «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي» أو كما يسميه بعضهم: «الداء والدواء».

ومن أخطر آثار الذنوب والمعاصي أن يُحرَمَ العبد لذة الطاعة وحلاوة الإيمان، وفي الحديث المتفق عليه: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة** ـ يرفع الناس إليه فيها أبصارهم ـ **حين ينتهبها وهو مؤمن**»(٢).

وعند الترمذي وأبي داود: عن أبي هريرة، قال رسول الله ﷺ: «**إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة، فإذا خرج من ذلك العمل عاد إليه الإيمان**»(٣).

وقيل: لا يفوت الإنسان عمل اعتاده إلَّا بذنب.

وقال رجل للحسن رحمه الله تعالى: يا أبا سعيد، إنِّي أبيت معافًى، وأحبُّ قيام الليل، وأُعد طَهوري، فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيَّدتك(٤).

وقال أبو سليمان رحمه الله تعالى: لا يفوت أحدًا صلاةُ جماعة إلَّا بذنب(٥).

(١) نسبه ابن القيم لأنس وابن عباس في روضة المحبين ونزهة المشتاقين صـ٤٤١، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.
(٢) سبق تخريجه صـ٤٨.
(٣) رواه أبو داود في السنة (٤٦٩٠)، وذكره الترمذي بإثر الحديث رقم (٢٦٢٥)، والحاكم في الإيمان (٢٢/١)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. وقال المناوي في فيض القدير(٦٦٠): قال العراقي في «أماليه»: صحيح. وصححه ابن حجر في فتح الباري (٦١/١٢).
(٤) إحياء علوم الدين (٣٥٦/١).
(٥) المصدر السابق.

QaradawiBooks.com
نسخة مجانية غير قابلة للطباعة

٤ ـ خشية الله:

السبب والمعين الرابع: خوف الله وخشية عقابه. وهذا إنَّما يثبت بتصديقه في وعده ووعيده، والإيمان به وبكتابه وبرسوله ﷺ، وهذا السبب يَقْوى بالعلم واليقين، ويضعف بضعفهما. قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال بعض السلف: كفى بخشية الله علمًا وبالاغترار بالله جهلًا(١).

وقال ابن مسعود: ليس العلم بكثرة الرواية، إنَّما العلم خشية الله(٢).

وقال أبو حامد الغزالي: من لم يعرفه حق معرفته لم يهبه حق مهابته، ولم يعظِّمه حق تعظيمه وحرمته، فصار العلم يثمر الطاعة كلها، ويحجز عن المعصية كلها بتوفيق الله(٣).

فكلما امتلأ القلب علمًا بالله، وإجلالًا له، وتعظيمًا لقدره، ويقينًا بالوقوف بين يديه، يومَ تُنصب الموازين، وتنشر الدواوين، ويقرأ كل امرئ كتابه: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ ـ ١٤]. حينئذٍ لا ينفع مال ولا بنون، إلَّا من أتى الله بقلب سليم. وهناك توفَّى كل نفس ما كسبت، وتُجزى بما عملت، حَسبما يحكم ميزان الحسنات والسيئات للمرء أو عليه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن

(١) انظر: طريق الهجرتين صـ ٢٧١.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء لابن حبان صـ ٣٨، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

(٣) منهاج العابدين إلى جنة رب العالمين لأبي حامد الغزالي صـ ٦٣ ـ ٦٤، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

QaradawiBooks.com

كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. وإن ربًّا يُحاسب على مقادير الذرة وأوزان الخردلة لحريٌّ أن يُتَّقى.

كلما امتلأ القلب بهذا؛ كان صاحبه أبعد الناس عن الوقوع في المعصية مهما دقت، لذا قال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطِيئة، ولكن انظر مَنْ عصيت(١).

وقال ابن مسعود: إنَّ المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وإنَّ الفاجر يرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه فقال به هكذا(٢). يعني حرَّك يده ليطيره.

وقال أنس رضي الله عنه: إنكم لتعملون أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، إن كنَّا نعدها على عهد النبي ﷺ من الموبقات(٣).

وكان بعض السلف يقول: إنَّا لندع تسعة أعشار الحلال، خشية من الوقوع في الحرام(٤).

٥ ـ محبة الله المقرونة بإجلاله:

السبب أو المعين الخامس من الأسباب والمعينات على الصبر عن المعصية: محبَّة الله سبحانه.

قال ابن القيم: «وهي أقوى الأسباب في الصبر عن مخالفته ومعاصيه. فإنَّ المحبَّ لمن يحبُّ مطيع.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٩١/٥)، تحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط ومجموعة من المحققين، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، وأحمد (٣٦٢٧).

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢)، عن أنس.

(٤) رواه عبد الرزاق في البيوع (١٤٦٨٣) عن عمر، وإسناده منقطع بين الشعبي وعمر.

QaradawiBooks.com

وكلما قويَ سلطان المحبة في القلب كان اقتضاؤه للطاعة وترك المخالفة أقوى، وإنَّما تصدر المعصية والمخالفة من ضعف المحبة وسلطانها، وفرق بين من يحمله على ترك معصية سيده خوفه من سوطه وعقوبته، وبين من يحمله على ذلك حبُّه لسيده، وفي هذا قال عمر: «نعم العبد صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه»[1]. يعني أنه لو لم يخف من الله لكان في قلبه من محبة الله وإجلاله ما يمنعه من معصيته.

فالمحبُّ الصادق عليه رقيب من محبوبه يرعى قلبه وجوارحه، وعلامة صدق المحبة شهود هذا الرقيب ودوامه.

وهاهنا لطيفة يجب التنبه لها، وهي أنَّ المحبة المجردة لا توجب هذا الأثر، ما لم تقترن بإجلال المحبوب وتعظيمه، فإذا قارنها بالإجلال والتعظيم أوجبت هذا الحياءَ والطاعة، وإلَّا فالمحبة الخالية عنهما إنَّما توجب نوع أنس وانبساط وتذكر واشتياق، ولهذا يتخلف عنها أثرها وموجبها، ويفتش العبد قلبه، فيرى فيه نوع محبة لله، ولكن لا تحمله على ترك معاصيه. وسبب ذلك تجرُّدها عن الإجلال والتعظيم، فما عمر القلب شيء كالمحبة المقترنة بإجلال الله وتعظيمه، وتلك من أفضل مواهب الله لعبده أو أفضلها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاءُ»[2].

محبة الله يدَّعيها كل أحد، وما أسهل الدعوى! وما أعزَّ المعنى، ولا أدلَّ على صدق الحبِّ من كمال الطاعة في الأمر والنهي، وأن يحب

---

(١) قال الشيخ بهاء الدين السبكي: لم أر هذا الكلام في شيء من كتب الحديث؛ لا مرفوعًا ولا موقوفًا، لا عن عمر ولا عن غيره. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس للعجلوني (٢/٣٢٣)، نشر مكتبة القدسي، القاهرة.

(٢) طريق الهجرتين صـ ٢٧١، ٢٧٢.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

ما يحبه الله، ويبغض ما يبغضه، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١].

وحبُّ الله إذا غلب في قلب المؤمن قمع الهوى، كما قال القائل:

وأترك ما أهوى لما قد هويته ... فأرضى بما ترضى وإن سخطت نفسي

وهوى النفس هو أحبولة الشيطان وشَرَكه الذي يوقع به العبد في معصية الله تعالى.

٦ ـ الأنفة من أن ينحط قدره بالمعصية:

السبب والمعين السادس: شرف النفس وزكاؤها وفضلها وأنفتها وحميتها أن تختار الأسباب التي تحطها وتضع قدرها، وتخفض منزلتها وتحقرها، وتسوِّي بينها وبين السَّفِلة.

ثانيًا: الصبر على طاعة الله ﷻ

المجال الثاني من مجالات الصبر المحمود الممدوح في كتاب الله وسُنَّة رسوله وعلى ألسنة المؤمنين هو: الصبر على طاعة الله ﷻ.. الصبر على ما أمر به الله سبحانه وتعالى.. أن تصبر على أداء فرائض الله ﷻ.. أن تصبر على عبادة الله سبحانه وتعالى مهما كانت شاقة عليك.. أن تقاوم الهوى وتقاوم الكسل ولا تستجيب للشيطان ووسوسته، فتصلي الصلوات في أوقاتها، وتؤدِّي الزكاة مهما أمرك شيطانك أو سوَّلت لك نفسك: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

أن تؤدي كل العبادات، وتصبر عليها، كما قال تعالى: ﴿ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥]،

QaradawiBooks.com

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَـٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [طه: ١٣٢]. لا بدَّ من الصبر.

وقد استخدم القرآن هنا صيغة الافتعال من الصبر (اصطبر) مكان الصيغة المعتادة (اصبر)؛ لأنَّ الافتعال يدل على المبالغة في الفعل، فزيادة المبنى تدل في العادة على زيادة المعنى، وما ذاك إلَّا لأنَّ الطريق إلى طاعة الله مليئة بالمعوِّقات من داخل النفس ومن خارجها.

وهذا الصبر أعلى من الصبر الذي قبله؛ لأنَّه هو الذي يراد لذاته.

اصبر على طاعة الله وتنفيذ أمر الله، ولو كان ذلك يتعلق بذهاب مالك وإزهاق رُوحك، كما فعل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام حينما عرض عليه ما رأى من رؤيا الذبح، وقد بلغ معه السعي، وأصبح يرتجى منه ما يرتجى الشباب من معاونة أبيه، ﴿ قَالَ يَـٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى الْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴾ [الصافات: ١٠٢]. فلم يتردَّد الفتى، ولم يتلعثم لسانه، ولكنَّه قال: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ اللَّهُ مِنَ الصَّـٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ الْبَلَـٰٓؤُا الْمُبِينُ ﴾ [الصافات: ١٠٢ ـ ١٠٦].

وثمَّة معنًى نفسيٌّ عميق الأغوار، يجعل طاعة الله وعبادته صعبة على نفس الإنسان، وقد نبَّه على هذا المعنى الإمام الغزالي في «إحيائه» فقال: «الصبر على الطاعة شديد؛ لأنَّ النفس بطبعها تنفر عن العبودية، وتشتهي الربوبية، ولذلك قال بعض العارفين: ما من نفس إلَّا وهي مُضمرة ما أظهر فرعون من قوله: ﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [النازعات: ٢٤]. ولكن فرعون وجد له مجالًا وقبولًا فأظهره، إذ استخف قومه فأطاعوه، وما من أحد إلَّا

QaradawiBooks.com

وهو يدَّعي ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه، وكل من هو تحت قهره وطاعته، وإن كان ممتنعًا من إظهاره، فإنَّ استشاطته وغيظه عند تقصيرهم في خدمته واستبعاده ذلك ليس يصدر إلَّا عن إضمار الكِبْر، ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء.

فإذن العبودية شاقَّة على النفس مطلقًا، ثم من العبادات ما يُكره بسبب الكسل؛ كالصلاة، ومنها ما يكره بسبب البخل؛ كالزكاة، ومنها ما يكره بسببهما جميعًا؛ كالحج والجهاد، فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد.

غير مرخصة للطباعة

الصبر على الطاعة قبل الطاعة وفي أثنائها وبعدها:

ويحتاج المطيع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال:

الأولى: قبل الطاعة، وذلك في تصحيح النية والإخلاص، والصبر عن شوائب الرياء ودواعي الآفات، وعقد العزم على الإخلاص والوفاء، وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والإخلاص، وآفات الرياء، ومكايد النفس، وقد نبَّه على هذا النبيُّ ﷺ إذ قال: «**إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى**»(١). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ولهذا قدَّم الله تعالى الصبر على العمل، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١].

الحالة الثانية: حالة العمل، كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله، ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسننه، ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير، فيلازم الصبر عن دواعي الفتور إلى الفراغ، وهذا أيضًا من شدائد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الوحي (١)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٧)، عن عمر.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الصبر، ولعله المـراد بقوله تعالـى: ﴿ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ [العنكبوت ٥٨، ٥٩]، أي صبروا إلى تمام العمل.

الحالة الثالثة: بعد الفراغ من العمل، إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه، والتظاهر به للسمعة والرياء، والصبر عن النظر إليه بعين العُجب، وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره، كما قـال تعالى: ﴿ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَٰلَكُمْ ﴾ [محمد: ٣٣]، وكمـا قـال تعالـى: ﴿ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، فمن لا يصبر بعد الصدقة عن المن والأذى فقد أبطل عمله.

الصبر على الطاعة محتاج إليه في الفرض والنفل جميعًا:

والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل، وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعًا، وقد جمعهما الله تعالى في قوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل: ٩٠]، فالعدل هو الفرض، والإحسان هو النفل، وإيتاء ذي القربى هو المروءة وصلة الرحم، وكل ذلك يحتاج إلى صبر»[1].

هل فعل الطاعة آكد أم ترك المعصية؟

قال «الهروي» في كلامه عن درجات الصبر: «الدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دوامًا، وبرعايتها إخلاصًا. وبتحسينها علمًا».

قال ابن القيم: «هذا يدل على أن عنده: أن فعل الطاعة آكد من ترك المعصية. فيكون الصبر عليها فوق الصبر عن ترك المعصية في الدرجة.

(١) إحياء علوم الدين (٤/٧٠).

QaradawiBooks.com

وهذا هو الصواب ـ كما تقدم ـ فإنَّ ترك المعصية، إنَّما كان لتكميل الطاعة. والنهي مقصود للأمــر، فالمنهي عنه لما كان يُضعف المأمور به وينقصه نُهي عنه حماية وصيانة لجانب الأمر، فجانب الأمر أقوى وآكد. وهــو بمنزلة الصحة والحيــاة، والنهي بمنزلة الحِمْيــة التي تراد لحفظ الصحة وأسباب الحياة»[1].

وقــد فصَّل ابــن القيم القول فــي هذه المســألة في كتابــه «طريق الهجرتين»، فقال: «وهاهنا مســألة تكلَّم فيها الناس، وهي أي الصبرين أفضل: صبر العبد عن المعصية، أم صبره على الطاعة؟

فطائفة رجَّحــت الأول، وقالت: الصبر عــن المعصية من وظائف الصِّدِّيقين، كما قال بعض السلف: أعمال البرِّ يفعلها البرُّ والفاجر، ولا يقوى على ترك المعاصي إلَّا صِدِّيق.

قالوا: ولأنَّ داعي المعصية أشدُّ من داعي ترك الطاعة، فإنَّ داعي المعصية إلى أمر وجودي تشتهيه النفس، وتلتذ به، والداعي إلى ترك الطاعة الكسل والبطالة والمهانة، ولا ريب أنَّ داعي المعصية أقوى.

قالوا: ولأنَّ العصيان قد اجتمع عليه داعي النفس والهوى، والشيطان وأســباب الدنيا، وقرناء الرجل وطلب التشــبه والمحاكاة، وميل الطبع، وكل واحد من هذه الدواعي يجذب العبــد إلى المعصية، ويطلب أثره، فكيف إذا اجتمعت وتظاهرت على القلب. فأي صبر أقوى من صبر عن إجابتها، ولولا أنَّ الله يُصبِّره لَمَا تأتَّــى منه الصبر، وهذا القول كما ترى حجَّتُه في غاية الظهور.

---

(١) مدارج السالكين (١٦٥/٢).

QaradawiBooks.com

ورجَّحت طائفة الصبر على الطاعة، بنـــاءً منها على أنَّ فعل المأمور أفضل من ترك المنهيَّات، واحتجَّت على ذلك بنحو من عشــرين حجة، ولا ريب أنَّ فعــل المأمورات إنَّما يتــم بالصبر عليها، فــإذا كان فعلها أفضل، كان الصبر عليها أفضل.

وفصل النزاع في ذلك: أنَّ هذا يختلف باختلاف الطاعة والمعصية، فالصبر علــى الطاعة المعظَّمــة الكبيرة أفضل من الصبــر عن المعصية الصغيــرة الدنية، والصبر عــن المعصية الكبيرة أفضل مــن الصبر على الطاعة الصغيرة، وصبــر العبد على الجهاد ـ مثــلًا ـ أفضل وأعظم من صبره عن كثير من الصغائر، وصبره عن كبائر الإثم والفواحش أعظم من صبره على صلاة الصبح (يعني ركعتي السُّنَّة) وصوم يوم تطوُّعًا ونحوه، فهذا فصل النزاع في المسألة، والله أعلم»(١).

كيف يكون الصبر على الطاعة؟

وقد ذكر الهروي ـ كما قال ابن القيم(٢) ـ أنَّ الصبر على الطاعة يكون بثلاثة أشياء:

١ ـ دوام الطاعة:

مهمة الإنســان الأولى فــي الوجود هــي عبــادة الله وطاعته وحده لا شريك له، والمســلم مطالب بعبادة الله تعالى ما دام فيه عرق ينبض، ونَفَس يتردَّد، حتى يوافيه الموت، وينتهــي أجله المحدود، وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

---

(١) طريق الهجرتين صـ ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) مدارج السالكين (١٦٥/٢ وما بعدها).

QaradawiBooks.com

والعبادة: الطاعة مقرونة بالحب. اليقين هنا: الموت.

وقد امتثل ﷺ أمر ربه، فلم يزل دائبًا في العبادة، مداومًا عليها حتى فارق الدنيا.

وفي الصحيح عن عائشة، عن رسول الله ﷺ أنّه قال: «**أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ**»[(١)]. وفي لفظ: «**ما داوم عليه صاحبه**»[(٢)]. قالت: وكان رسول الله ﷺ إذا عَمِلَ عملًا أثبته[(٣)]. أي: جعله ثابتًا غير متروك.

وقال عيسى عليه السلام فيما ذكره القرآن عنه: ﴿ **وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾ [مريم: ٣١].

وقال تعالى في شأن الصلاة: ﴿ **ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ** ﴾ [المعارج: ٢٣].

وقال الحسن البصري: أبى قومٌ المداومة، واللهِ ما المؤمن الذي يعمل شهرًا أو شهرين، أو عامًا أو عامين، لا والله، ما جعل الله لعمل المؤمن أجلًا دون الموت[(٤)].

فمن أخلاق المؤمنين الصبر على الطاعة حتى يوافي العبد أجله، وكان النبي ﷺ من أكثر ما يدعو به: «**يا مصرِّف القلوب ثبِّت قلبي على طاعتك**»[(٥)]. ومن دعاء الراسخين في العلم: ﴿ **رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ** ﴾ [آل عمران: ٨].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٤)، ومسلم في صلاة المسافرين (٧٨٣)، عن عائشة.

(٢) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٨٥).

(٣) رواه مسلم في صلاة المسافرين (٧٤٦)، وأبو داود في قيام الليل (١٣٦٨)، عن عائشة.

(٤) رواه أحمد في الزهد (١٥٤٨).

(٥) رواه أحمد (٩٤٢٠)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٩١٠): رواه أحمد، وفيه صالح بن محمد بن زائدة، وقد وثقه أحمد، وضعفه أكثر الناس، وبقية رجاله رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

فنعوذ بالله من الضلالة بعد الهدى، والمعصية بعد التقى، ومن العمى بعد البصر.

٢ ـ الإخلاص فيها:

وبعد الصبر على المداومة على الطاعة يأتي الصبر على الإخلاص فيها.

والتحقق بالإخلاص ليس بالأمر اليسير، بل يحتاج إلى صبر ومعاناة ومجاهدة، حتى قال سفيان الثوري: ما عالجت شيئًا أشد عليَّ من نيَّتي؛ لأنَّها تنقلب عليَّ[١].

وقال يوسف بن أسباط: تخليص النية من فسادها أشدُّ على العاملين من طول الاجتهاد[٢].

قال سهل بن عبد الله التُّسْتَري: ليس على النفس شيءٌ أشقُّ من الإخلاص؛ لأنَّه ليس لها فيه نصيب[٣].

وقال سفيان بن عيينة: كان من دعاء مطرِّف بن عبد الله: اللهمَّ إنِّي أستغفرك ممَّا زعمت أنِّي أريد به وجهك، فخالط قلبي منه ما قد علمت[٤].

(١) رواه الخطيب في الجامع لأخلاق الراوي (٦٩٢)، تحقيق د. محمود الطحان، نشر مكتبة المعارف، الرياض.

(٢) رواه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١٩٤٦)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٣) جامع العلوم والحكم (٨٤/١).

(٤) المصدر نفسه.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

٣ ـ وقوعها على مقتضى العلم، وهو تحسينها علمًا:

الركن الثالث في أركان الصبر على الطاعة بعد المداومة والإخلاص: وقوع العبادة على مقتضى العلم.

لذا فلقد حذَّر الربانيون من أئمة السلف من الإقبال على التعبد، قبل التزوُّد من العلم، فقال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز: العامل على غير علم يفسد أكثر ممَّا يصلح[١].

وقال الإمام الحسن البصري: العامل على غير علم كالسائر على غير طريق، والعامل على غير علم ما يفسد أكثر ممَّا يصلح، فاطلبوا العلم طلبًا لا يضر بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا يضر بالعلم، فإنَّ قومًا طلبوا العبادة وتركوا العلم حتى خرجوا بأسيافهم على أمة محمد ﷺ، ولو طلبوا العلم لم يدلُّهم على ما فعلوا[٢].

يعني بهؤلاء: الخوارج الذين استحلُّوا دماء الأمة وأموالها، وكفَّروا الناس بالجملة، برغم أنَّهم كانوا صُوَّامًا قُوَّامًا قُرَّاءً للقرآن، كما وصفهم الحديث: «**يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم**». ولكن آفتهم أنهم: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم». أي: أنَّهم لم يتعمَّقوا في فهمه، فانتهى بهم الأمر إلى أنَّهم «**يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان!**»[٣].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٦٢٤٦).

(٢) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(٥٤٥/١)، تحقيق أبي الأشبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٦١٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٤)، عن أبي سعيد الخدري.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

وقال معاذ رضي الله عنه: العلم إمام العمل، والعمل تابعه[1].

فوات الطاعة بفوات أركان الصبر عليها:

ثم قال الإمام ابن القيم بعد أن نقل عن الإمام الهروي أركان الصبر على الطاعة: «فإنَّ الطاعة تتخلف من فوات واحد من هذه الثلاثة؛ فإنَّ العبد إنْ لم يحافظ عليها دوامًا عطَّلها، وإن حافظ فيها دوامًا عرض لها آفتان:

إحداهما: ترك الإخلاص فيها. بأن يكون الباعث عليها غير وجه الله وإرادته والتقرب إليه، فحفظها من هذه الآفة برعاية الإخلاص.

الثانية: ألَّا تكون مطابقة للعلم، بحيث لا تكون على اتِّباع السُّنَّة، فحفظها من هذه الآفة بتجريد المتابعة. كما أنَّ حفظها من تلك الآفة (يعني ترك الإخلاص) بتجريد القصد والإرادة.

فلذلك قال (يعني الإمام الهروي): بالمحافظة عليها دوامًا، ورعايتها إخلاصًا، وتحسينها علمًا»[2].

الصبر على البلاء ومُرِّ القضاء:

هناك الصبر على بلاء الله، على ما قضى الله على الإنسان من بلاء، فلا بدَّ له أن يقابل البلاء بالصبر، كما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ۝ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

---

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٦٨).

(٢) مدارج السالكين (٢/١٦٣ ـ ١٦٥).

QaradawiBooks.com

يقول سيدنا عمر في التعليق على هذه الآية: «نِعْم العِدْلان، ونِعْمت العِلاوة»[(١)]. العدلان هما: الصلوات والرحمة، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞ﴾، والعلاوة هي: الاهتداء، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾.

غير مرخصة للطباعة

إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون:

وعلمهم أن يقولوا عند المصيبة: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦].

﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ نحن ملك لله، يتصرف فينا كيف يشاء، كلنا لله، أموالنا ملك لله، أولادنا ملك لله، أنفسنا مِلْك لله، فإذا أخذ منَّا شيئًا، فإنَّما يأخذ ما يملك، فلا يجوز لنا أن نجزع، ولا أن نسخط، فالله هو الذي خلقنا من عدم، ومنحنا الحياة والحسَّ والحركة، وَوَهَب له السمع والبصر والفؤاد، وأسبغ عليه نعمهُ ظاهرة وباطنة. الصحَّة والقوة من الله، والمال والولد من الله، وما بنا من نعمة فمن الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ﴾ [النحل: ٥٣].

﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ عائدون إليه، لنجد عنده حسن المثوبة والجزاء.

وقد قال النبي ﷺ فيما روته أم سلمة رضي الله عنها: «**ما من عبدٍ تصيبه مصيبة، فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللهمَّ اؤجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها، إلَّا آجره الله في مصيبته، وأخلف له خيرًا منها**»[(٢)].

(١) علَّقه البخاري في الجنائز قبل الحديث (١٣٠٢)، ووصله الحاكم في التفسير (٢٧٠/٢)، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، والبيهقي في الجنائز (٦٥/٤)، وصحح إسناده ابن حجر في تغليق التعليق (٤٧٠/٢).

(٢) رواه مسلم في الجنائز (٩١٨)، وأحمد (٢٦٦٣٥).

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

سمعت ذلك أم سلمة من رسول الله ﷺ، ثم استشهد زوجها أبو سلمة، وهو من المؤمنين المهاجرين في سبيل الله، فامتثلت وقالت ما علَّمها النبي ﷺ: «**اللهمَّ اؤجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها**». وقالت في نفسها: ومن يكون خيرًا من أبي سلمة؟[1] فكان أن عوَّضها الله خيرًا من أبي سلمة، وهو رسول الله ﷺ، الذي جاء يخطبها، فصارت من أمهات المؤمنين، وزوجات رسول الله ﷺ في الدنيا الآخرة.

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: «وهذه الكلمة، من أبلغ علاج المصاب، وأنفعه له في عاجلته وآجلته. فإنَّها تتضمن أصلين عظيمين، إذا تحقق العبد بمعرفتهما تسلَّى عن مصيبته:

أحدهما: أنَّ العبد وأهله وماله مِلْك لله عز وجل، وقد جُعل عند العبد عاريَّة.

وأيضًا فإنَّه محفوف بعدمين: عدمٌ قبله، وعدمٌ بعده، حتى يكون ملكه حقيقة، ولا هو الذي يحفظه من الآفات بعد وجوده، ولا يُبقي عليه وجوده، فليس له فيه تأثير، ولا ملك حقيقي.

والثاني: أنَّ مصير العبد ومرجعَه إلى الله مولاه الحقِّ، ولا بدَّ أن يخلِّف الدنيا وراء ظهره، ويجيء ربه فردًا، كما خلقه أول مرة، بلا أهل، ولا مال، ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيِّئات، فإذا كانت هذه بدايته ونهايته، فكيف يفرح بموجود، ويأسى على مفقود؟! ففكره في مبدئه ومعاده من أعظم علاج هذا الداء»[2].

---

(١) جزء من الحديث السابق.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم (١٧٣/٤، ١٧٤)، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢٧، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

وأيَّد ذلك الحديث النبوي الذي يعلِّمنا حين نعزِّي المصاب أنْ نقول: «**إنَّ لله ما أخذ، ولله ما أعطى**»(١).

غير مرخصة للطباعة

قال لبيد:

وما المالُ والأهلون إلَّا وديعةٌ ولا بدَّ يومًا أن تُردَّ الودائعُ(٢)

وقد ضرب رسـول الله ﷺ المثل لأمته، فعندما مات ابنه إبراهيم قال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضي ربَّنا**»(٣).

فالمؤمن يقابل المصيبة بالاسترجاع والصبر، ولا يقابلها بالجزع أو السـخط على قضاء الله وقدره، لا يلطم خدًّا، ولا يشقُّ جيبًا، ولا يدعو بدعـوى الجاهلية، ولا يفعـل ما يفعل الناس اليوم مـن إظهار الجزع، وإعلان الحداد، كما تفعل النساء في بعض البلاد، يموت أبوها أو أخوها أو ابنها فتظل سنة تلبس السواد! هذا محرَّم؛ لأنَّه إظهار الجزع، والنبي ﷺ يقول: «**لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخـر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاثة، إلَّا على زوج، فإنَّها تحد عليه أربعة أشهر وعشرًا**»(٤).

وقال رسول الله ﷺ: «**ليس منَّا من لطم الخدود وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية**»(٥).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في القدر (٦٦٠٢)، ومسلم في الجنائز (٩٢٣)، عن أسامة بن زيد.

(٢) انظر: ديوانه صـ ٥٦، تحقيق حمدو طمّاس، نشر دار المعرفة، ط١، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠٣)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٥)، عن أنس بن مالك.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٨٠)، ومسـلم في الطلاق (١٤٨٦)، عن زينب بنت أبي سلمة.

(٥) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٢٩٤)، ومسلم في الإيمان (١٠٣)، عن ابن مسعود.

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

وقد برئ الرسول ﷺ، من الصالقة والحالقة والشَّاقَّة[١].

قدر الله ينبغي ألَّا يقابل بغير الرضا والتسليم، والجزعُ لا يرُدُّ فائتًا، ولا يُحيي ميتًا، الموت ليس نهاية المطاف، بل هو بداية سفر جديد إلى دار أخرى هي خير وأبقى للمؤمنين، كما قال أبو العتاهية:

وما المـوتُ إلَّا رحلـةٌ غير أنَّها ... من المنزل الفانـي إلى المنزل الباقي![٢]

قصة أم سليم:

وفـي الصحيحيـن وغيرهما فـي قصة أم سُـلَيْم مـع زوجها أبي طلحة رضي الله عنهما، حين مات ابن لهما، يحكيها ابنها أنس رضي الله عنه، كما في مسند أحمد، يقول: تزوَّج أبو طلحة أم سليم.. فولدت له بُنَيًّا، فكان يُحبُّه حبًّا شديدًا، فمرض الغلام مرضًا شـديدًا، فكان أبو طلحة يقوم صلاة الغداة (الفجر)، يتوضَّأ ويأتي النبيَّ ﷺ، فيصلِّي معـه، ويكون معه إلى قريب من نصف النهار، فيجيء فيَقيل ويأكل، فـإذا صلَّى الظهر، تهيَّأ وذهب، فلم يجئ إلى صلاة العَتمة. فراح عشيَّة، ومات الصبيُّ، وجاء أبو طلحة.

قال أنس: فسجَّتْ (غطَّت) عليه ثوبًا، وتركتْه.

فقال لهـا أبو طلحة: يا أم سـليم، كيـف بات بنيَّ الليلـة؟ قالت: يا أبا طلحـة، ما كان ابنك منذ اشـتكى أسـكنَ منه الليلـة. ثم جاءته بالطعام، فأكل وطابت نفسه، فقام إلى فراشه، فوضع رأسه، قالت: وقمتُ أنا، فمسِستُ شيئًا من طيب، ثم جئتُ حتى دخلت معه الفراش، فما هو إلَّا أنْ وجد ريح الطيب، كان منه ما يكون من الرجل إلى أهله. ثم أصبح

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٠٤)، وابن حبان في الجنائز (٣١٥٢)، عن أبي موسى.
(٢) انظر: الإعجاز والإيجاز للثعالبي صـ ١٥١، نشر مكتبة القرآن، القاهرة.

QaradawiBooks.com

أبو طلحة يتهيَّأ كما كان يتهيَّأ كل يوم، فقالت له: يا أبا طلحة، أرأيتَ لو أنَّ رجلًا استودعك وديعة، فاستمتعتَ بها، ثم طلبها، فأخذَها منكَ تجزع من ذلك؟ قال: لا. قلتُ: فإنَّ ابنك قد مات.

قال أنس: فجزع عليه جزعًا شديدًا، وحدَّث رسول الله ﷺ بما كان من أمره في الطعام والطيب، وما كان منه إليها. قال: فقال رسول الله ﷺ: «**هيهِ، فبتُّما عروسين وهو إلى جنبكما؟**» قال: نعم يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**بارك الله لكما في ليلتكما**».

قال أنس: فحملت أم سُليم تلك الليلة. فتلد غلامًا، فحين أصبحنا، قال لي أبو طلحة: احمله في خرقة حتى تأتي به رسول الله ﷺ، واحمل معك تمرَ عجوةٍ. قال: فحملته في خِرْقة (قطعة قماش). قال: ولم يُحنَّك، ولم يذُق طعامًا ولا شيئًا. قال: فقلت: يا رسول الله، ولدتْ أم سليم، قال: «**الله أكبر، ما ولدت؟**» قلت: غلامًا. قال: «**الحمد لله**»، فقال: «**هاته إليَّ**». فدفعتُه إليه، فحنَّكه رسول الله ﷺ، ثم قال له: «**معك تمرُ عجوة؟**» قلتُ: نعم. فأخرجت تمرًا، فأخذ رسول الله ﷺ تمرة وألقاها في فيه، فما زال رسول الله ﷺ يلوكها حتى اختلطت بريقه، ثم دفع الصبي، فما هو إلَّا أنْ وجد الصبيُّ حلاوةَ التمر جعل يمصُّ حلاوة التمر وريقَ رسول الله ﷺ. فكان أول ما تفتَّحت أمعاء ذلك الصبي على ريق رسول الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «**حِبُّ الأنصار التمر**»، فسُمِّي عبد الله بن أبي طلحة، فخرج منه رجل كثير، واستشهد عبد الله بفارس[(١)]. وفي رواية: فما كان في الأنصار شابٌّ أفضل منه[(٢)]. وعند

---

(١) رواه أحمد (١٢٨٦٥)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح. وأصل الحديث متفق عليه: رواه البخاري في العقيقة (٥٤٧٠)، ومسلم في الآداب (٢١٤٤)، عن أنس.

(٢) رواه أحمد (١٤٠٦٥)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. عن أنس.

QaradawiBooks.com

البخاري: قال سفيان بن عيينة: فقال رجل من الأنصار: فرأيت لهما تسعة أولاد، كلهم قد قرأ القرآن(١).

هكذا شأن المؤمنين. يقابلون بلاء الله ﷻ بالصبر والرضا، ويعلمون أنَّ ما قضاه الله تعالى خير لهم، وأنَّ قضاء الله نافذ، صبروا أم لم يصبروا، كما قال سيدنا علي رضي الله عنه وقد عزى رجلًا في ابنه، فقال: يا فلان إنَّك إنْ صبرت، نفذت فيك المقادير ولك الأجر، وإنْ لم تصبر، نفذت فيك المقادير وعليك الوزر(٢).

يعني القضاء نافذ، صبرنا أو جزعنا، فلنصبر لننال الأجر ولا نجزع.

وقد قيل: إنَّ المصاب من حرم الثواب.

وحضر ابن السمَّاك جنازة، فعزَّى أهلها، وقال: عليكم بتقوى الله والصبر، فإنَّ المصيبة واحدةٌ، إن صبر لها أهلها، وهي اثنتان إن جزعوا، ولعَمْري لَلمصيبة بالأجر أعظم من المصيبة بالميت - يعني أنَّ حرمان الصبر على المصيبة أعظم من المصيبة بموت من مات - ثم قال: لو كان مَن جزع على ميِّته رُدَّ إليه، لكان الصابر أعظم أجرًا وأجزل ثوابًا.

وقال الشافعي لابن مهدي لمَّا مات ولده:

اعلم أنَّ أمضى المصائب فقد سرور مع حرمان أجر، فكيف إذا اجتمعا على اكتساب وزر؟!

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجنائز (١٣٠١)، عن أنس.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي صـ ٢٨٨.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

إنِّـي معزِّيك لا أنِّـي على طمع ... من الخلـودِ ولكن سُـنَّة الدينِ

فما المُعـزِّي بباقٍ بعـد صاحبه ... ولا المعزَّى وإنْ عاشا إلى حين(١)

الجنة جزاء الصبر على المصيبة:

وكما أنَّ الله يخلف على المبتلى إذا صبر واسـترجع خيرًا ممَّا ابتلي بـه، فإنَّه ينال به منزلـة عالية في الجنـة، كما في حديث أبي موسـى الأشـعري رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعـم. فيقول: قبضتم ثمرة فؤاده؟ فيقولون: نعم. فيقول: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع. فيقول الله: ابنوا لعبدي بيتًا في الجنة وسمُّوه بيت الحمد**»(٢).

وعن أنس أنَّ رسول الله قال: «**إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوَّضتُه عنهما الجنة**». يريد عينيه(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسـول الله: «**يقول الله عز وجل من أذهبت حبيتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة**»(٤).

وعن عبد الله بن عمـر قال: قال رسـول الله: «**لا يرضـى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيِّه من أهل الأرض واحتسبه بثواب دون الجنة**»(٥).

---

(١) برد الأكباد عند فقـد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشـقي (١/١٠٨، ١٠٩)، تحقيق أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، نشر دار ابن عفان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) رواه أحمد (١٩٧٢٥)، وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والترمذي في الجنائز (١٠٢١) وقال: حسن غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٥).

(٣) رواه البخاري في المرضى (٥٦٥٣).

(٤) رواه أحمد (٧٥٩٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في الزهد (٢٤٠١)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٤٠).

(٥) رواه النسائي في الجنائز (١٨٧١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨٥١).

QaradawiBooks.com

وعن عائشة ﵂ قالت قال رسـول الله: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلَّا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها**»(١).

وذكر ابن الجوزي أنَّ امـرأة يقال لها: موفَّقة، عثرت، فسـقط ظُفُر إبهامها، فضحكت، فقيل لها: يا موفَّقة، سقط ظفر إبهامك وتضحكين؟! فقالت: والله إنَّ حلاوة ثوابه أزالت عن قلبي مرارة وجعه(٢).

الصبر عند الصدمة الأولى:

«والصبر المحمـود عند المصيبة هو ما كان عنـد أول حلولها، فقد دلَّت النصوص الشـرعية أنَّ الصبر الذي يُحمد عليه صاحبه ما كان عند مفاجأة المصيبة، بخلاف ما بعد ذلك، فإنَّه على الأيام يسلو»(٣).

فكما قلنا، مقادير الله نافذة، احتسب الإنسان أم سخط، صبر أم جزع، والعاقل ينبغي أن يصبر ويحتسب، حتى لا يُحرم المثوبة، وإلَّا فإنَّه سينتهي رغمًا عنه إلى صبر الاضطرار، الذي ليس له قيمة خلقيَّة ولا دينيَّة.

الصبر على البـلاء لا اختيار لك فيه، البلايا تنـزل بك أردتَ أم لم ترد، ولا بدَّ أنْ تصبر إن كنت عاقلًا، فمن لم يصبر اليوم سـيصبر غدًا، ولذلك يقول العلماء المربون: العاقل يفعل في أول يوم ما يفعله الجاهل بعد ثلاثة أيام(٤).

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣)، عن أبي هريرة.

(٢) صفة الصفوة (٣٥٩/٢).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٥٠/٣)، تحقيق محب الدين الخطيب، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٤) ذكره السـمرقندي من قول ابن المبارك. انظر: تنبيه الغافلين صـ ٢٦٢، تحقيق يوسف علي بديوي، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

وقيل: من لم يصبر صبر العقلاء سلا سُلُوَّ البهائم. فلا بدَّ للإنسان أن يصبر إن كان عاقلًا.

قال الشاعر:

صبرتُ ولم أُبدِ اكتئابًا ولن ترى … أخا جـزعٍ إلَّا يصيرُ إلى الصبرِ(١)

وما أصاب المرء لم يكن ليخطئَه، وما أخطأه لم يكن ليصيبَه، جفَّت الأقلام وطُويت الصحف.

وفي الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّه قال: مرَّ النبي ﷺ بامرأة تبكي عند قبر، فقـال: «**اتقي الله واصبـري**» قالت: إليك عنـي، فإنك لم تصب بمصيبتي! ولم تعرفه، فقيل لها: إنَّه النبـي ﷺ. فأتت النبيَّ ﷺ، فلم تجد عنده بَوَّابِين، فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إنَّما الصبر عند الصدمة الأولى**»(٢).

يقول ابن ناصر الدين الدمشـقي: «معناه أنَّ كلَّ ذي مصيبة آخرُ أمرِه الصبر، ولكنَّه إنَّما يُحمد عند حدَّتها وفَوْر شدَّتها؛ لأنَّ مصير ذي الجزع إلى السِّلوان، ولو أقام على قبر ميته مدة زمان»(٣).

ويقول ابن القيم: «إذا كان آخر الأمر الصبر، والعبد غير محمود، فما أحسن به أن يستقبل الأمر في أوله بما يستدبره الأحمق في آخره.

وقد قال بعض العقلاء: من لم يصبر صبر الكرام سلا سُلُوَّ البهائم(٤). ورُوي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنَّه قال للأشـعث بن قيس: إنَّك إن

---

(١) من شعر أبي العتاهية. انظر: الصبر والثواب عليه صـ ١١٠، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٢٨٣)، ومسلم (٩٢٦)، كلاهما في الجنائز، عن أنس بن مالك.

(٣) برد الأكباد عند فقد الأولاد صـ ٣٧.

(٤) عدة الصابرين صـ ٥٢.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور، وإن جزِعتَ جرى عليك القلم وأنت مأزور[١].

وقد ذكر ذلك أبو تمام في شعره فقال:

وقال عليٌّ في التعازي لأشعثٍ ... وخاف عليه بعض تلك المآثمِ
أتصبر للبلوى عزاءً وخشية ... فتؤجر أو تسلو سُلُوَّ البهائم؟»[٢]

وقال عمارة اليمني:

هي الصدمة الأولى، فمن بان صبره ... على هولِ ما يلقى تضاعف أجرُهُ
ولا بدَّ من موتٍ وفوتٍ وفُرقةٍ ... ووجْدٍ بماء العين يُوقد جمرُهُ[٣]

البكاء والحزن لا يضاد الصبر:

ومن رحمة الله أنَّه قدَّر للبشريَّة طبيعتها وضعفها، فلم يؤاخذ العبد على حزن القلب، ولا بكاء العين.

فعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، قال: أرسلت ابنةُ النبي ﷺ إليه: إنَّ ابنًا لي قُبض، فأْتنا. فأرسل يقرئ السلام، ويقول: «**إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمًّى، فلتصبر، ولتحتسب**». فأرسلت إليه تُقسم عليه ليأتينَّها، فقام ومعه سعد بن عبادة ومعاذ بن جبل وأبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت ورجال، فرُفع إلى رسول الله ﷺ الصبيُّ ونفسه تتقعقع كأنَّها شَنٌّ[٤]،

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٣٩/٩).

(٢) البيتان في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي (٢٥٩/٣)، تحقيق محمد عبده عزام، نشر دار المعارف، القاهرة، ط ٤.

(٣) البيتان في ديوانه (٢٦٠/١)، تحقيق هرتويغ درنُبرغ، نشر مطبعة مَرْسَوْ بمدينة شالَوْن، باريس، ١٨٩٧م.

(٤) الشَّن: السقاء البالي. شبه نَفسه بجلد السقاء المتهرئ، ليدل على شدة الضعف.

QaradawiBooks.com

ففاضت عيناه، فقال سعد: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وإنَّما يرحم الله من عباده الرحماء**»(١).

إنَّ الله لا يريد أن تكون قلوب عبـاده جلامد صخر صمَّاء، لا تتأثر، ولا تحزن، إنَّها قلوب أناسـي، وقلب الإنسان يتأثر ويحزن، وتبكي من جرَّاء حزنه العين، ولا نقول إلَّا ما يرضى الربُّ تعالى.

والموقف نفسـه يتكرر لمَّا رأى النبي ﷺ ابنه إبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تذرفان، فقال له عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله؟ فقال: «**يا ابن عوف، إنَّها رحمة**». ثم أتبعها بأخرى، فقال ﷺ: «**إنَّ العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضى ربُّنا، وإنَّا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون**»(٢).

ومن هنا قال أبو طالب المكي: «ولا يخـرج العبدَ من الصبر كراهةُ النفس، ولا وجدانُ المرارة والألم، بـل يكون مع ذلك صابرًا؛ لأنَّ هذا وصف البشرية لِمَا ينافي طبعها(٣)، ولكن يكون حاله الكظم عن الشكوى ونفي السخط لحكم المولى»(٤).

وفي الحديث المتفق عليه: «**إنَّ الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا** ـ وأشار إلى لسانه ـ **أو يرحم**»(٥).

---

(١) سبق تخريجه صـ٣٣، وفيه: «**مُرها فلتصبر ولتحتسب**».

(٢) سبق تخريجه صـ٧٢.

(٣) أي أن من طبيعة البشر كراهية الشدائد والمصائب وما يُصبَر عليه.

(٤) قوت القلوب (٣٣٤/١).

(٥) متفق عليه: رواه البخاري (١٣٠٤)، ومسلم (٩٢٤)، كلاهما في الجنائز، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

هل الشكوى إلى الخلق تنافي الصبر؟

الشكوى تعبِّر عن ضعف الإنسان، وحاجته وافتقاره إلى من يعينه، أو يزيل شكايته، أو على الأقل حاجته إلى أن يبثَّ همَّه ولوعة نفسه لغيره، ولذلك لجأ الناس إلى الشكوى، كما قال الشاعر:

ولا بدَّ من شكوى إلى ذي مروءة يواسيك أو يسليك أو يتوجعُ[١]!

وقال الآخر:

شكوتُ وما الشكوى لمثليَ عادةٌ ولكنْ تفيضُ الكأسُ عندَ امتلائِها[٢]!

لكن الشكوى يجب ألَّا تشتمل على ما فيه لوم للقدر أو التضجُّر ممَّا نزل به.

وقد نقل ابن مفلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال: الصبر واجب بالاتفاق.. والصبر لا تنافيه الشكوى.. والصبر الجميل صبر بغير شكوى إلى المخلوق، والشكوى إلى الخالق لا تنافيه. قال ابن مفلح: ومراده: بل شكواه إلى الخالق مطلوبة[٣].

ونقل ابن الجوزي عن سفيان بن عيينة أنه قال: من شكا إِلى النَّاس، وهو في شكواه راضٍ بقضاء الله، لم يكن ذلك جزعًا[٤].

---

(١) هو بشار بن برد. انظر: ديوانه صـ ١٥٤، تحقيق السيد بدر الدين العَلوي، نشر دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.

(٢) هو أبو تمام. البيت في ديوانه (٤/٤٤٢).

(٣) الفروع ومعه تصحيح الفروع لابن مفلح (٣/٢٥٦)، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م.

(٤) زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي (٣/٢٠٦)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

QaradawiBooks.com

لكن المقام الأعلى ألَّا يشكو ما نزل به إلى مخلوق، وهو الصبر الجميل الذي أمر الله به نبيَّه فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥]. والصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، كما قال ابن تيمية[١].

وروي عن سفيان الثوري أنه قال: ثلاثة من الصبر: لا تحدِّث بمعصيتك، ولا بوجعِك، ولا تزكِّ نفسك[٢].

وقال شريح القاضي: إياك والشكوى إلى غير الله، فإنَّه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقًا أو عدوًّا، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك... أما سمعت قول العبد الصالح: إنَّما أشكو بثِّي وحزني إلى الله؟! فاجعله مشكاك ومحزنك عند كل نائبة تنوبك، فإنَّه أكرم مسؤول، وأقرب مدعوّ[٣].

وكان يقال: أربع من كنوز الجنّة: كتمان المصيبة، وكتمان الصَّدقة، وكتمان الفاقة، وكتمان الوجع.

رأى بعضهم رجلًا يشكو إلى آخر فاقة وضرورة، فقال: يا هذا، تشكو من يرحمك إلى من لا يرحمك؟! ثم أنشد:

وإذا عرتك بليةٌ فاصبر لها ... صبرَ الكريم فإنَّه بك أعلمُ
وإذا شكوتَ إلى ابن آدم إنَّما ... تشكو الرحيم إلى الذي لا يَرحمُ[٤]

---

(١) نقله ابن القيم في مدارج السالكين (٢/١٦٠).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نُعيم (٦/٣٨٩)، نشر السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (٣/١٥٥)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٤) مدارج السالكين (٢/١٦٠).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقد اتفق الفقهاء على أنَّ إخبار المريض بما يجده من ألم، لا على سبيل الضَّجَر والسخط؛ لا شيء فيه، ولا ينافي الصبر، وفي صحيح البخاري وغيره أنَّ عائشة قالت: رجع إليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم من جنازة بالبقيع، وأنا أجد صداعًا في رأسي، وأنا أقول: وارأساه. قال: «**بل أنا وارأساه**»(١).

وروى البخاري ـ أيضًا ـ عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ، قال: «**إنِّي لأوعك كما يوعك رجلان منكم**»(٢).

وعن سعد بن أبي وقاص أنه قال: جاءني رسول الله ﷺ، يعودني من وجع اشتدَّ بي زمن حجة الوداع، فقلت: بلغ مني الوجع ما ترى(٣).

وروى البخاري في «الأدب المفرد»، عن عروة بن الزبير قال: دخلتُ أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء ـ يعني بنت أبي بكر وهي أمهما ـ فقال لها عبد الله: كيف تجدينك! قالت: وَجِعَة(٤).

وهذا يرد على من قال من العلماء: إنَّ أنين المريض وتأوُّهه مكروه. وتعقَّبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإنَّ المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك. ثم احتج بحديث عائشة. ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنَّه لا شك أنَّ اشتغاله بالذكر أولى(٥).

---

(١) رواه البخاري في المرضى (٥٦٦٦).
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤٨)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧١).
(٣) رواه البخاري في المرضى (٥٦٦٨).
(٤) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٣٩٤).
(٥) المجموع شرح المهذب للنووي (١٢٨/٥)، نشر دار الفكر.

QaradawiBooks.com

والألم أمر جبلِّيٌّ لا يقدر أحد على دفعــه، والنفوس مجبولة على وِجدان ذلك، فلا يُسْتطاع تغييرها عما جُبلت عليه، وإنَّما المطلوب من العبد ـ لئلا يخرج عن الصبر المأمور به ـ ألَّا يقع منه في حَال المصيبة والألم ما له ســبيل إلى تركه؛ كالمبالغة في التأوُّه والجزع الزائد، وأما مجرَّد التشكي فليس مذمومًا حتى يحصل التسخط من المقدور.

«وقد اتفقوا على كراهة شــكوى العبد ربَّه بذكر الألم للناس على سبيل التضجُّر، وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقًا»(١).

الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر:

وشكوى المسلم إلى ربِّه، ليست اعتراضًا على ما قدَّره، بل هي تضرُّع له، وابتهال إليه، وإلقاء العبد بحاجته إلى مولاه، فهو سبحانه مجيبٌ لدعوة الداعي إذا دعاه، والشاكي إذا اشتكى إليه، الذي يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، فمن حق العبد أن يشكو إلى ربه ما نزل به من محن وهموم، وأثقال وأمــراض، وليس هذا عيبًا كما زعمه بعض غلاة الصوفية، الذين قال بعضهم: لا أشكو إلى الناس، ولا أشــكو إلى الله، الناس فقــراء وضعفاء مثلي، وربمــا كانوا أفقر وأضعف مني، فكيف يشــكو الفقير إلى من هو مثلــه أو أفقر منه؟ وكيف يشكو الضعيف إلى من هو مثله أو أضعف منه؟ وأما الشكوى إلى الله، فعلمه بحالي يغني عن سؤالي، كما في قول بعض الشعراء يندِّد بالشكوى:

---

(١) الدين الخالص، لمحمود خطاب السبكي (٢٣/٧)، تحقيق أمين محمود خطاب، نشر المكتبة المحمودية السبكية، ط ٤، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

QaradawiBooks.com

عدا بي عن الشكوى إلى الناس أنَّني عليلٌ ومن أشكو إليه عليلُ
ويمنعني الشكوى إلى الله علمه بجملة ما ألقاه قبل أقول(١)

ولما اعترض أبناء يعقوب على أبيهم في حزنه على يوسف، وقالوا: ﴿تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَـٰلِكِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٥، ٨٦]. مع أنه قال لهم لما جاؤوا بقميص يوسف وعليه الدم الكذب: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨] فشكواه إلى الله لا تنافي الصبر، بل لا تنافي الصبر الجميل.

ولقد اشتكى سيدنا أيوب إلى ربِّه كما حكى عنه القرآن: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۞ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَـٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَـٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ونوح أول الرسل والأب الثاني للبشرية شكا إلى ربِّه ودعاه: ﴿أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَـٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٠ ـ ١٤].

ومن ذلك شكوى المظلوم ظالمه إلى الله تعالى أن يجيره من أذى ظالميه وجبروتهم عليه، وفي ذلك جاء الحديث عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثة لا تُرَدّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر**

(١) من شعر الأمير تميم بن المعز العبيدي. كما في زهر الآداب وثمر الألباب (٤٨٢/٢)، نشر دار الجيل، بيروت.

QaradawiBooks.com

ـ أو حتى يفطر ـ **ودعوة المظلوم يرفعها فوق الغمام، وتفتح لها أبواب السماء، ويقول الرب** عز وجل: **وعزتي لأنصرنك ولو بعد حين**»(١).

الخير في قضاء الله:

إنَّ المؤمن إذا نظر فيما قضاه الله تبارك وتعالى يعلم أنَّ الخير فيه، كما قال سيدنا عمر رضي الله عنه: ما أُصبت بمصيبة إلَّا رأيتُ لله عليَّ فيها أربع نعم:

الأولى: أنَّها لم تكن في ديني.

الثانية: أنَّها لم تكن أكبر منها.

الثالثة: وأنِّي لم أحرم الرضا عند نزولها.

الرابعة: أنَّني أرجو ثواب الله تعالى عليها(٢).

أول نعمة في المصيبة: أنَّها لم تكن في الدين. ومصائب الدنيا تهون، ولذلك علَّمنا نبيَّنا عليه الصلاة والسلام أن نقول في الدعاء: «**اللهمَّ لا تجعل مصيبتنا في ديننا**»(٣). ونبي الله يوسف عليه السلام حينما خُيِّر بين مصيبتين: مصيبة في

---

(١) رواه أحمد (٨٠٤٣) وقال مخرِّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. والترمذي في الدعوات (٢٥٢٢)، وقال حديث حسن. وابن ماجه (١٧٥٢)، وابن خزيمة (١٩٠١) كلاهما في الصيام.

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (١٣٣/٢)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ. وانظر موضوع: الثبات في الشدائد، من كتابنا: الإيمان والحياة صـ ١٩٢ ـ ٢٠١، وكذلك موضوع: القوة صـ ٢٦٥، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٤، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٣) وذلك في الدعاء المأثور الذي كان يدعو به عليه الصلاة والسلام: «**اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما يهون علينا مصائب الدنيا، ومتِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا، ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا**». رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٠٢) وقال: حسن غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠١٦١) والطبراني في الدعاء (١٩١١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨)، عن ابن عمر.

QaradawiBooks.com

دينه، ومصيبة في دنياه؛ فضَّل مصيبة الدنيا علــى مصيبة الدين، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

وثاني نعمة: أنَّها لم تكن أكبر منها. فما من مصيبة إلَّا وعند الله أكبر منها، كما يقول العرب:

حنانَيْكَ بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ(١)

وكما يقول الناس: قضاء أخفُّ من قضاء، ومن نظر إلى بلوى غيره هانت عليه بلواه. هذا هو الواقع في هذه الحياة.

قال الماوردي: ومن تسهيل المصائب أن يعلم المصاب أنَّ فيما وُقي من الرزايا وكُفِيَ من الحوادث ما هو أعظم من رزيته، وأشدُّ من حادثته، ليعلم أنَّه ممنوح بحسـن الدفاع... وقد قيل للشـعبي فـي نائبة: كيف أصبحت؟ قال: بين نعمتين: خيرٌ منشور، وشر مستور.

وقال بعض الشعراء:

لا تكره المكروه عند حلوله — إنَّ العواقب لم تـزل متباينةْ
كم نعمةٍ لا تسـتقلُّ بشكرها — لله في طيِّ المـكاره كامنةْ(٢)

وقال ابن القيم: ومن علاج المصاب أن ينظـر إلى ما أصيب به، فيجد ربَّه قد أبقى عليه مثله، أو أفضل منه، وادَّخر له إنْ صبر ورضِيَ ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة، وأنَّه لو شـاء لجعلها أعظم ممَّا هي(٣).

---

(١) انظر: ديـوان طرفة بن العبد صـ ٥٣، تحقيـق مهدي محمد ناصر الدين، نشـر دار الكتب العلمية، ط ٣، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م.
(٢) أدب الدنيا والدين صـ ٢٩٣. والأبيات لعليّ بن أبي طالب، كما في الفرج بعد الشدة (٢٦/٥).
(٣) زاد المعاد (١٧٤/٤).

QaradawiBooks.com

فالمؤمن صاحب البصيرة ينظر إلى مصيبته بعين بصيرته فيحمد الله تعالى على أمرين: أنَّ الله دفع عنه ما كان يمكن أن يحدث من بلاء أكبر، وأنَّه أبقى ما كان يمكن أن يزول من النعم الغامرة والفضل الجزيل.

فهو ينظر إلى النعمة الموجودة قبل أن ينظر إلى النعمة المفقودة، وينظر إلى البلاء المتوقع بجانب نظره إلى البلاء الواقع، ولا ريب أنَّ هذا يُحدث الارتياح والرضا في نفس المبتلى.

أكثر الناس ينظرون إلى النعمة المفقودة ولا ينظرون إلى النعم الموجود، فإذا أزيلت عنه نعمة نسي أنَّه عنده أضعاف أضعافها.

كثير من الناس يكبِّرون صغار المصائب، ويُصغِّرون كبار النعم، وليس هذا من شأن المؤمن، وهذا عكس موقف المؤمن الصابر على البلاء الشاكر للنعماء، فهذا عروة بن الزبير قال لما قطعت رجله ومات ولده: لئن كنتَ قد أخذتَ فقد أبقيت، وإن كنتَ قد ابتليتَ، فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذتَ، وعلى ما عافيت[1].

وثالث النعم: أنْ رزقه الله الصبر والرضا.

فما أكثر من نزل به البلاء فجزع! وما أسرع انهيار كثير من الناس أمام شدائد الحياة! وكم من إنسان أصابه البلاء، فتسود الدنيا في وجهه وييْئَس من العافية أن تأتيه، فيجزع ويتسخَّط ويقلق ويغتم، ولا يرجو الأجر من الله والفرج بعد الأجر، ولا يخطر بباله أنَّ الله قادر أن يأتي بعد العسر باليسر، وبعد الضيق بالفرج، وبعد الهمِّ بالعافية، وينسى أنَّه إن

(١) انظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٢٠/٩)، تحقيق علي شيري، نشر دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

صبر على البلاء فهو مع الله وفي عنايته ورعايته كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وأنَّ البلاء للصابر عليه تكفير للسيئات ورفع في الدرجات، وما أدق هذا الوصف القرآني للإنسان إذا خلا قلبه من الإيمان ولم يتذرع بالصبر: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ۝ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود: ٩ ـ ١١]، ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا﴾ [الإسراء: ٨٣]، ﴿وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ﴾ [فصلت: ٤٩]، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ۝ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢٢].

ويحكى عن أحد من الصالحين أنَّه مرَّ بمريض مبتلًى بعدد من الأمراض وهو يقول: الحمد لله الذي عافانا ممَّا ابتلى به كثيرًا من خلقه. فقال رجل يمشي مع الرجل الصالح: أيّ شيء بقي عليك من النعمة تحمد الله عليها؟ فقال له المبتلى: أحمده أن جعل لي لسانًا يذكره وقلبًا يشكره.

ورابع النعم: أنَّه يرجو ثواب الله تعالى عليها.

فثواب الله في كل ما ينزل بالإنسان، من نصب أو وصب، أو غم أو حزن، حتى الشوكة يشاكها يكفِّر الله بها من خطاياه. فإن لم تكن له خطايا زادت من حسناته، ورفعت من درجاته.

وفي الحديث المتفق عليه عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم، إلَّا كفَّر الله بها عنه، حتى الشوكة يُشَاكُها**»(١).

(١) سبق تخريجه صـ٧٧.

QaradawiBooks.com

وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم، حتى الشوكة يشاكها، إلَّا كفر الله بها من خطاياه**»(١).

وعن سعد بن أبي وقاص قال: قلتُ: يا رسول الله، أي الناس أشدُّ بلاءً؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسَب دينه، فإن كان دينه صُلبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينه رقَّة ابتُلي على حسَب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**»(٢).

وفي حديث عند أحمد: «**إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده، أو في ماله، أو في ولده، ثم صبَّره حتى يُبلِّغه المنزلة التي سبقت له منه**»(٣).

وقال عمر بن ذر لمن شكا له من جاره: اعلم أنَّ الصبر مواهب، ولن يعطاه إلَّا من كرم على سيِّده، فاغتنمه ما قدِرْتَ عليه؛ لأنَّك ستجد عاقبته عاجلًا وآجلًا إن شاء الله(٤).

وقال أبو العتاهية:

وكل مصيبة عظمت وجلَّت ... تخفُّ إذا رجوتَ لها ثوابًا(٥)

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المرضى (٥٦٤١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٧٣).

(٢) رواه أحمد (١٤٨١) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الكبرى كتاب الطب (٧٤٨١).

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٣٨) وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في الجنائز (٣٠٩٠)، والطبراني (٣١٨/٢٢)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٣٧٤٢): محمد بن خالد وأبوه ـ رواة هذا الحديث ـ لم أعرفهما. وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٦٤٩)، عن أبي خالد.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الصبر والثواب عليه (١٦٧).

(٥) البيت في ديوانه صـ ٣٣.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال آخر:

أما والــذي لا خُلْــدَ إلَّا لوجهه ومن ليس في العز المنيعِ له كُفْوُ
لئن كان بــدءُ الصبر مُـرًّا مذاقه لقد يُجتنى من غِبِّه الثمرُ الحُلْوُ[1]

كيف نصبر على البلاء؟

قد أجابنا الإمام الهروي فــي أثناء كلامه عن درجات الصبر الثلاث: الصبر عــن المعصية، والصبر على الطاعة، والصبر فــي البلاء. فبيَّن أنَّ الصبر على البلاء يكون: «بملاحظة حســن الجزاء، وانتظار رَوْح الفرج، وتهوين البلية بعد أيادي المنن، وبذكر سوالف النِّعَم»[2].

١ ـ ملاحظة حسن الجزاء:

القرآن يشير إلى أنَّ الصابرين ينتظرهم أحسن الجزاء من الله تعالى، وذلك حين يرجعون إليه، ويقفون بين يديه. فيعوضهم عن صبرهم أكرم العــوض، ويمنحهم أعظم الأجــر، وأجزل المثوبة، حتــى ورد أنَّ أهل العافية يتمنون يوم القيامة لو أنَّ أجسامهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا، لما يرون من عظم ثواب الله لأهل البلاء[3].

ولا نجد في القرآن شيئًا ضخُم جزاؤه، وعظُم أجره، مثل الصبر.

فهو يتحدَّث عن هــذا الأجــر بأســلوب المدح والتفخيم فيقول:

---

(١) البيتان لرقية زوجة السري بن عبد الله الهاشمي، كما في المحاضرات والمحاورات صـ ٢٠٧، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) مدارج السالكين (١٦٥/٢).

(٣) رواه الترمذي في الزهد (٢٤٠٢) وقال: غريب. وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١٥٧٠)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ۝ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

وهو يبيِّن أنَّ الصابرين إنَّما يُجزَوْن أجرهم بأحسن ما عملوا، فضلًا من الله ونعمة: ﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

وأخيرًا يصرح بأنَّ أجر الصابرين غير معدود بعدٍّ، ولا محدود بحدٍّ، ولا محسوبٍ بمقدار. وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

وإذا كان هذا هو جزاء الصابرين عند الله، فالواجب على المؤمن إذا أصابته مصيبة أن يتذكر هذه الحقيقة الكبيرة: أنَّ مصيره إلى الله مهما تطل هذه الحياة، وأنَّ أجره عنده لن يضيع. وهذا ما وصف به القرآن الصابرين حين قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]. فإذا قالوا: ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ تذكروا بها حقيقة أنفسهم، وأنَّهم ملك لله، وإذا قالوا: ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ تذكَّروا حسن الجزاء عند ربهم، فدفعهم ذلك إلى حسن الصبر والسلوان.

وشرح العلامة ابن القيم كلام الإمام الهروي حول ما يُعين على الصبر على البلاء، فقال: «هذه ثلاثة أشياء تبعث المتلبِّس بها على الصبر في البلاء:

إحداها: ملاحظة حُسن الجزاء. وعلى حسَب ملاحظته والوثوق به ومطالعته يخفُّ حمل البلاء، لشهود العِوَض، وهذا كما يخفُّ على كل

QaradawiBooks.com

متحمِّل مشــقة عظيمة حِمْلُها، لما يلاحظه من لــذة عاقبتها وظفره بها. ولولا ذلك لتعطَّلت مصالح الدنيا والآخــرة، وما أقدم أحد على تحمُّل مشــقَّة عاجلة، إلَّا لثمرة مؤجلــة، فالنفس مولعة بحــب العاجل، وإنَّما خاصة العقل: تلمح العواقب، ومطالعة الغايات.

وأجمع عقلاء كل أمة على أنَّ النعيم لا يدرك بالنعيم. وأنَّ من رافق الراحة فارق الراحة، وحصل على المشــقة وقت الراحة في دار الراحة، فعلى قدر التعب تكون الراحة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قــدر الكريم الكرائم
ويكبر في عين الصغير صغيرها وتصغر في عين العظيم العظائم[(١)]

والقصد: أنَّ ملاحظة حسن العاقبة تعين على الصبر فيما تتحمَّله باختيارك وغير اختيارك»[(٢)].

وهو المعنى نفسه الذي أكَّد عليه في كتابه «زاد المعاد» إذ يقول: «ومن علاج حرِّ المصيبة وحُزنها أن يعلم أنَّ ما يُعقبه الصبر والاحتساب من اللذة والمسرَّة أضعافُ ما كان يحصل له ببقاء ما أصيب به لو بقي عليه، ويكفيه من ذلك بيت الحمد الذي يبنى له في الجنة على حمده لربه واسترجاعه. فلينظر: أي المصيبة أعظم؛ مصيبة العاجلة، أم مصيبة فوات بيت الحمد في الجنة، وفي الترمذي مرفوعًــا: «**يود ناس يوم القيامــة أنَّ جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا لما يرون من ثواب أهل البلاء**»[(٣)].

---

(١) من شــعر أبي الطيب المتنبي. انظر: ديوانه صـ ٣٧٢، نشــر دار بيروت للطباعة والنشــر، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

(٢) مدارج السالكين (١٦٦/٢).

(٣) سبق تخريجه صـ٩١.

نسخة مجانية غير مخصصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وقال بعض السلف: لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس»(١).

ويقول المنبجي في كتابه «**تسلية أهل المصائب**»: «ومن تسلية أهل المصائب: أن ينظر المصاب في كتاب الله وسُنَّة رسول الله، فيجد أنَّ الله تعالى أعطى لمن صبر ورضي ما هو أعظم من فوات تلك المصيبة بأضعاف مضاعفة»(٢).

وأقول: إنَّ أثر المصيبة والصبر عليها ليس في الآخرة وحدها، بل في الدنيا قبل الآخرة، إنَّ المؤمن يعرف من لطف الله أنَّ هذه الشدائد دروس قيِّمة له، وتجارب نافعة لدينه ودنياه، تطهر نفسه، وتصقل إيمانه، وتذهب صدأ قلوبه، كما قال رسول الله: «**مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء، كمثل الحديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها**»(٣).

وما أبلغ ما قال الرافعي: «ما أشبه النكبة بالبيضة، تُحْسَبُ سجنًا لما فيها وهي تحوطه، وتربِّيه وتُعينه على تمامه، وليس عليه إلَّا الصبر إلى مدة، والرضا إلى غاية، ثم تُنْقَف(٤) البيضة، فيخرج خلق آخر.

وما المؤمن في دنياه إلَّا كالفرخ في بيضته: عمله أن يتكون فيها، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل فيخرج إلى عالمه الكامل»(٥).

---

(١) زاد المعاد (١٧٦/٤).

(٢) تسلية أهل المصائب لشمس الدين المَنْبِجِيّ صـ ١٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

(٣) رواه الحاكم في الإيمان (٧٣/١)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، بلفظ: «**إنَّما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى، كمثل حديدة تدخل النار فيذهب خبثها ويبقى طيبها**»، عن عبد الرحمٰن بن أزهر.

(٤) النقف: ثقب البيضة ونقب قشرتها.

(٥) وحي القلم للرافعي (٩٧/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

نسخة مجانية غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

ورجاء مثوبة الله تعالى على ما يبتلى به الإنسان في دنياه نعمة روحية أخرى تهوّن على الإنسان البلاء، وهذه المثوبة تتمثل في تكفير السيئات، وما أكثرها!! وزيادة الحسنات، وما أحوج الإنسان إليها!! وفي الحديث الصحيح: «**ما يصيب المسلم من همٍّ ولا غمٍّ ولا نصب ولا وصب حتى الشوكة يشاكها، إلَّا كفَّر الله بها من خطاياه**»(١).

٢ ـ انتظار رَوْحُ الفرج:

إنَّ ممَّا يُسلِّي ألم المصائب: الأمل والرجاء في الغد، قال الله في كتابه: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦]. ولن يغلب عسر يسرين، كما قال عمر(٢). وقال ابن مسعود: لو دخل العسر جحرًا لتبعه اليسر حيث كان(٣).

ونقول: إنَّ الله سبحانه لم يجعل اليسر في الآية بعد العسر أو عقبه، بل معه، وذلك لينبه على أمرين:

الأول: قرب تحقُّق اليسر بعد العسر مباشرة، حتى كأنَّه معه أو متصل به.

الثاني: أنَّ مع العسر بالفعل يسرًا لا ريب فيه، قد يكون ظاهرًا ملموسًا، وقد يكون خفيًّا مكنونًا، وذلك ما يسمَّى باللطف. وفي كل قدر لطف، وفي كل بلاء نعمة. وفي ذلك يقول ابن عطاء الله السكندري في

---

(١) سبق تخريجه صـ٩٠.

(٢) رواه مالك في الجهاد (١٦٢١) ت الأعظمي، وابن أبي شيبة في البعوث والسرايا (٣٤٥٣٢)، والحاكم في التفسير (٣٢٩/٢)، وصحَّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عمر موقوفًا.

(٣) رواه ابن الجعد في مسنده (١٠٩٩).

QaradawiBooks.com

حكمه: من ظنَّ انفكاك لطفه عن قدره، فذلك لقصور نظره[١]. قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقد أكَّد النبي ﷺ على فرج الله ونصره، فقال لابن عباس: «**واعلم أنَّ في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأنَّ النصر مع الصبر، وأنَّ الفرج مع الكرب، وأنَّ مع العسر يسرًا**»[٢].

وعلى هذا الأمل في فضل الله ورحمته نعيش معتصمين بالله، متوكلين عليه ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣].

وقال الشاعر:

مفتاح باب الفرج الصبر ... وكل عسر معه يسر
والدهر لا يبقى على حاله ... والأمر يأتي بعده الأمر[٣]

ومن أمثال الناس السائرة: الصبر مفتاح الفرج، ودوام الحال من المحال، وعند اشتداد البلاء يأتي الرخاء، تضايقي تنفرجي!

إنَّ انتظار الفرج واليقين بأنَّه آتٍ من عند الله لا ريب فيه، وأنَّ بعد الضيق سعة، وأنَّ بعد العسر يسرًا، بل أنَّ مع العسر يسرًا، وأنَّ ما وعد الله به المؤمنين من النصر، وما وعد به المبتلين من العوض والإخلاف لا بدَّ أنْ يتحقق، كل ذلك جدير بأنْ يطرد شبح اليأس من القلب، ويبدِّد ظلمة القلق من النفس، ويضيء الصدر بالأمل في الظفر والثقة بالغد.

(١) الحكمة السادسة بعد المائة من حكم ابن عطاء، انظر: الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري صـ ٦٤، نشر مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) رواه أحمد (٢٨٠٣)، وقال مخرِّجوه: حديث صحيح.

(٣) قال ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج بعد الشدة (٩٧/٥): أنشدني أحمد بن يحيى.

QaradawiBooks.com

قال ابن القيم: «انتظار رَوْح الفرج يعني راحته ونسـيمه ولذته، فإنَّ انتظاره ومطالعته وترقبه يخفِّف حمل المشقة، ولا سيما عند قوة الرجاء، أو القطع بالفرج، فإنَّه يجد في حشو البلاء (يعني: في أثنائه وخلاله) من رَوْح الفرج ونسـيمه وراحته: ما هـو من خَفِيِّ الألطـاف، وما هو فرج معجَّل. وبه وبغيره يفهم معنى اسمه اللطيف.

٣ ـ تهوين البلية بتذكر النعم:

والثالث: تهوين البلية بأمرين.

أحدهما: أن يعد نعـم الله عليه وأياديه عنده. فـإذا عجز عن عدِّها، وأيس من حصرها، هان عليـه ما هو فيه من البلاء، ورآه بالنسـبة إلى أيادي الله ونعمه كقطرة من بحْرٍ.

الثاني: تذكر سـوالف النعـم التي أنعـم الله بها عليه، فهـذا يتعلق بالماضي، وتعداد أيادي المنن: يتعلق بالمسـتقبل، وأحدهما في الدنيا، والثاني يوم الجزاء»[1]. لأنَّه إذا لاحظ ما أعـدَّه الله للصابرين من الثواب صبر ليحصل له، وكلما تذكر سوالف النعم هوَّن على نفسه البلية، فيقول: هذا بذاك، ولا يـدوم ذا ولا ذاك، ومن تذكر له مع سـيده أوقات رضا، رجاه أن تعود، فهان عليه البلاء[2].

٤ ـ رؤية المبتلِي وهو الله:

قال ابن القيـم: «ويحكى عن امرأة مـن العابـدات أنَّها عثرت، فانقطعت إصبعها، فضحكت، فقال لها بعض مـن معها: أتضحكين،

(١) مدارج السالكين (٢/١٦٦).
(٢) شرح منازل السائرين، للمناوي صـ١٤٥، تحقيق عاصم إبراهيم الكيالي والحسيني الشاذلي الدرقاوي.

QaradawiBooks.com

وقد انقطعت إصبعك؟ فقالت: أخاطبك على قدر عقلك، حلاوة أجرها أنستني مرارة ذكرها.

إشارة إلى أنَّ عقله لا يحتمل ما فوق هذا المقام، من ملاحظة المبتلي (أي الله سبحانه)، ومشاهدة حسن اختياره لها في ذلك البلاء، وتلذُّذها بالشكر له، والرضا عنه، ومقابلة ما جاء من قِبَله بالحمد والشكر. كما قيل:

لئن ساءني أن نلتني بمساءة ... فقد سرَّني أنِّي خطرتُ ببالكا»(١)

٥ ـ الإيمان بقضاء الله وقدره:

إنَّ ممَّا يعين المسلم على الصبر عند نزول المصائب: إيمانه بقضاء الله وقدر، وأنَّ ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه. هذا الإيمان يثمر في نفس المؤمن ثمرته، فيستقبل مصائب الدهر بثبات كثبات الجبال، فلا يستبد به الجزع والفزع، ولا يسيطر عليه السخط والهلع، قد استقرَّ في أعماقه قول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فإيمانُ المسلم بقدر الله تعالى يمنحه الثبات عند صدمة المصيبة؛ لأنَّه يعلم أنَّها مقدَّرة مكتوبة من قبل أن تُخلق ويُخلق، ومن هنا لا يستخفُّه الأسى والحزن على ما فات، والفرح بما هو آت، بل هو ثابت متوازن.

(١) مدارج السالكين (١٦٧/٢) والبيت لعبد الله بن عبيد الله بن عمرو بن مالك الخثعميّ المعروف بابن الدُّمَينة. انظر: حماسة الخالدين للخالدي (٦٨/١)، تحقيق د. محمد علي دقة، نشر وزارة الثقافة، سوريا، ١٩٩٥م.

QaradawiBooks.com

ولهذا مدح رسول الله المؤمن فقال: «**عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابته سرَّاء شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاء صبر، فكان خيرًا له**»[(١)].

والمراد بالمؤمن هنا «المؤمن القوي الصابـــر»، الذي إذا حلَّ به ما يكره من شـــدائد الدنيا وكرباتها، قال في يقين وثقة: «قدَّر الله وما شاء فعل»[(٢)] كما علَّمه رسوله ﷺ.

٦ ـ الاستعانة بالله:

وممَّا يعين المبتلى على الصبر أن يســتعين بالله، ويلجأ إلى حماه، فيشــعر بمعيته، وأنَّه في حمايته ورعايته. ومن كان فــي حمى ربه فلن يضام. وفي هذا يقول تعالى في خطـــاب المؤمنين: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، ويقول سبحانه في خطاب رسوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ﴾ [الطـور: ٤٨]. ومن كان بمعيـــة الله مصحوبًا، وبعين الله ملحوظًا، فهو أهل لأنْ يتحمَّل المتاعب، ويصبر على المكاره.

وإذا العنايـــة لاحظتـــك عيونهـــا نَـــمْ فالمخـــاوفُ كلُّهـــن أمـــانُ
واصطد بها العنقـــاء فهي حبائل واقتد بها الجـــوزاء فهي عِنانُ[(٣)]

ولمَّا هدَّد فرعون مســـتخدمًا ســـيف القهر والجبروت موســـى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وقومه أن يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، قال موسى لقومه: ﴿ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ﴾ [الأعراف: ١٢٨].

---

(١) سبق تخريجه صـ٩.

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٣) البيتان نســبهما محمد بن أيدمر في الدر الفريد (٣٠/١٠) إلى القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني.

QaradawiBooks.com

ولعل حاجة الصابرين إلى الاستعانة بالله تعالى والتوكل عليه هي بعض أسرار اقتران الصبر بالتوكل على الله في آيات كثيرة مرَّ بنا بعضها، مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٤٢]، وقوله على ألسنة الرسل: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢].

٧ ـ معرفة طبيعة الحياة الدنيا:

من أهم ما يعين المسلم على الصبر على النوائب والشدائد أنْ يتصور طبيعة الحياة الدنيا التي يعيشها، ويعرفها على حقيقتها، فليست جنة نعيم، ولا دار خلود، وإنَّما دار ابتلاء وتكليف. ومن عرف الحياة على هذا النحو لم يفاجأ بكوارثها، فالشيء من معدنه لا يستغرب. وقد أشار القرآن الكريم إلى أنَّ حياة الإنسان محفوفة بالمتاعب والمشاق، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾ [البلد: ٤]، كما أشار إلى طبيعة الحياة الدنيا ودوام تغيرها وعدم ثباتها على حال، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وما أجل قول الشاعر في وصف الحياة الدنيا:

طبعت على كدر وأنت تريدها ... صفوًا من الآلام والأكدار
ومكلِّف الأيام ضدَّ طباعها ... متطلِّبٌ في الماء جذوة نار(١)

---

(١) من قصيدة لأبي الحسن علي بن محمد التهامي، يرثي فيها ولده، انظر: الكشكول للعاملي (٢/٢٠٥ ـ ٢٠٧)، نشر دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

لينظر العبد يمنة، فهل يرى إلَّا محنة؟ ثم ليعطف يسرة، فهل يرى إلَّا حسرة؟ وليعلم أنَّه في كل واد بنو سعد[١].

ولو فتَّش العالَم لم يرَ فيهم إلَّا مبتلًى، إما بفوات محبوب، أو حصول مكروه، وأنَّ شرور الدنيا أحلامُ نوم أو كظلٍّ زائل، إن أضحكت قليلًا أبكت كثيرًا، وإنْ سـرَّت يومًا سـاءت دهرًا، وإنْ متَّعت قليلًا منعت طويلًا، وما ملأت دارًا خَيرة إلَّا ملأتها عَبْرة، ولا سـرَّته بيوم سـرور إلَّا خبَّأت له يوم شرور. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لكل فرحة تَرْحة، وما ملئ بيت فرحًا، إلَّا ملئ ترحًا[٢]. وقال ابن سيرين: ما كان ضحك قط إلَّا كان من بعده بكاء[٣].

يقول الماوردي: «ومن تسـهيل المصائب: أنْ يعلـم العبد أنَّ النعم زائرة، وأنَّها لا محالة زائلة، وأنَّ السرور بها إذا أقبلت مشوب بالحذر من فراقها إذا أدبرت، وأنَّها لا تفرح بإقبالها فرحًا حتى تُعقب بفراقها ترحًا، فعلى قدر السرور يكون الحزن. وقد قيل في منثور الحكم: المفروح به هو المحزون عليه.

وقيل: من بلغ غاية ما يحب، فليتوقع غاية ما يكره.

وقال بعض الحكماء: من علم أنَّ كل نائبة إلى انقضاء، حسُن عزاؤه عند نزول البلاء»[٤].

---

(١) مثل يضرب في استواء القوم في الشر والمكروه، وأصله أن الأضبط بن قريع السعدي كان سيد قومه، فرأى منهم تهاونًا به، فرحل عنهم لقوم آخرين فرآهم يفعلون بسادتهم كما فعل بنو سعد به.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الاعتبار وأعقاب السرور والأحزان (٣)، تحقيق د. نجم عبد الرحمٰن خلف، نشر دار البشير، عمان، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

(٣) المصدر السابق (٥).

(٤) أدب الدنيا والدين صـ ٢٩٤.

QaradawiBooks.com

ويقول أبو الفرج ابن الجوزي: ولولا أنَّ الدنيا دار ابتلاء لم تعتور فيها الأمراض والأكدار، ولم يضق العيش فيها على الأمناء والأخيار[1].

٨ ـ الاقتداء بأهل الصبر والعزائم:

وممَّا يعين على الصبر: التأمُّل في سير الصابرين، وما لاقوه من صنوف البلاء وألوان الشدائد، وبخاصة أصحاب الدعوات وحملة الرسالات من أنبياء الله ورسله المصطفين الأخيار الذين جعل الله من حياتهم وجهادهم دروسًا بليغة لمن بعدهم، ليتخذوا منها أسوة، ويتعزَّوا بها عمَّا يصيبهم من متاعب الحياة وأذى الناس، ومن هنا حرص القرآن المكي خاصة على ذكر قصص الأنبياء، بل تكرار الكثير منها في العديد من سوره، تسلية للنبي ﷺ والمؤمنين معه، وتثبيتًا لقلبه في مواجهة أعداء دعوته، وما أكثرهم وأعتاهم، ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠].

وفي سورة الأنعام يبيِّن الله تعالى لرسوله أنَّ ما يلقاه من تكذيب وإيذاء، ليس بدعًا ممَّا أصاب الرسل من قبله، يقول: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤].

كما ذكَّر القرآن المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ حين اشتدَّ بهم البلاء في مكة، وأحدقت بهم الفتن من كل جانب، بأنَّهم ليسوا بدعًا في أتباع الرسل، وليسوا أول من فتن في دينه، وابتلي في سبيل الله، بل هذه

(١) تسلية أهل المصائب لشمس الدين المَنْبِجِيّ صـ ٢٣.

QaradawiBooks.com

سُنَّة الله فيمن قبلهم: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٣].

وعلى منهج القرآن سار النبي ﷺ في توجيه أصحابه، إذ ضرب لهم الأمثلة، بما أصاب المؤمنين من قبلهم، من ألوان البلاء، وكيف غلبوه بالصبر؛ ليكون في ذلك لهم عزاء وسلوى وأسوة.

فعندما ذهب خباب بن الأرت، يشكو إليه ضراوة ما يلقى من أذى وفتنة في دينه هو وإخوانه من المستضعفين، وقال: يا رسول الله، ألَا تستنصر لنا؟! ألَا تدعو الله لنا؟ فقال ﷺ: «**قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، ثم يؤتى بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد، ما دون لحمه وعظمه، ما يصدُّه ذلك عن دينه، والله ليتمَّنَّ هذا الأمرُ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، فلا يخاف إلَّا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»(١).

الصبر على الطاعة وعن المعصية يتَّحد فيهما الشكر والصبر:

وممَّا ينبغي على السالك في طريق الله: أن ينظر في الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية، إنَّهما يتَّحد فيهما الشكر والصبر.

وقد أشار إلى هذا الإمام الغزالي في «إحيائه»، في أثناء الحديث عن المفاضلة بين الشكر والصبر فقال: «بيَّنَّا أنَّ الصبر قد يكون على الطاعة وعن المعصية، وفيهما يتَّحد الصبر والشكر؛ لأنَّ الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة؛ لأنَّ الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو المقصود منها بالحكمة.

---

(١) رواه البخاري في الإكراه (٦٩٤٣)، عن خباب بن الأرت.

QaradawiBooks.com

والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدِّين في مقابلة باعث الهوى.

فالصبر والشكر فيه اسمان لمسمًّى واحد باعتبارين مختلفين، فثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يُسمَّى صبرًا بالإضافة إلى باعث الهوى، ويسمَّى شُكرًا بالإضافة إلى باعث الدين، إذ باعث الدين إنَّما خُلق لهذه الحكمة، وهو أنْ يصرع به باعث الشهوة، وقد صرفه إلى مقصود الحكمة، فهما عبارتان عن معنى واحد»(١).

وقال ابن حجر العسقلاني: «الشكر يتضمَّن الصبر على الطاعة، والصبر عن المعصية.

قال بعض الأئمة: الصبر يستلزم الشكر لا يتمُّ إلَّا به، وبالعكس، فمتى ذهب أحدهما ذهب الآخر، فمن كان في نعمة ففرضه الشكر والصبر، أما الشكر فواضح، وأما الصبر فعن المعصية، ومن كان في بليَّة ففرضه الصبر والشكر، أما الصبر فواضح، وأما الشكر فالقيام بحق الله عليه في تلك البلية، فإنَّ لله على العبد عبودية في البلاء كما له عليه عبودية في النعماء»(٢).

الصبر على مشاق الدعوة إلى الله:

وهناك مجال آخر من مجالات الصبر أفردناه وحده بالحديث لأهميته، وهو: الصبر على الدعوة ومشاقها، وما يحفُّ بها من متاعب وآلام، تنوء بها الظهور، وتضعف عن حملها الكواهل إلَّا من رحم الله.

---

(١) إحياء علوم الدين (١٣٩/٤).

(٢) فتح الباري (٣٠٥/١١).

QaradawiBooks.com

وذلــك أنَّ طريق الدعوة طريق طويل، وأعــداء الدعوة كثيرون، كما جاء في الأثر: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يُبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تنازعه»[١].

ولهذا كان أحوج ما يكــون إلى الصبر، في هــذه المعركة المتعددة الجوانب، المختلفة الأبعاد.

إنَّ أصحاب الدعوة إلى الله يطلبون إلى الناس أنْ يتحرَّروا من أهوائهم وأوهامهــم وموروثاتهــم ومألوفاتهم، ويثوروا على شــهوات أنفســهم، ومعبودات آبائهم، وعادات أقوامهم، وامتيازات طبقاتهم، وينزلوا عن بعض ما يملكــون إلى إخوانهم، ويقفــوا عند حدود الله فيما أمــر ونهى، وأحلَّ وحرَّم، وأكثر الناس لا يؤمنون بهذه الدعوة الجديدة، فلهذا يقاومونها بكل قوة، ويحاربون دعاتها بكل ســلاح، مُدلِّين بأنَّهم أكثر مــالًا، وأعزُّ نفرًا، وأقوى نفوذًا، وأوســع ســلطانًا.. فليس أمام دعاة الحــق إلَّا أنْ يعتصموا باليقين، ويتسلحوا بالصبر في وجه القوة الضاربة، والسلطة الطاغية.

فالصبر هنا كما قال الإمام علي: سيف لا ينْبو، ومطيَّة لا تكبو، وضياء لا يخبو[٢]. وكما جاء في الحديث الصحيــح: «**والصبر ضياء**»[٣]. أي هو الذي يُنير للإنسان الطريق، وبدون الصبر تُظلم الدنيا في وجهه، وتضيق عليه الأرض بما رحُبت، وتضيق عليه نفسه... فلا بدَّ أنْ يصبر.

---

(١) رواه أبو بكر بن الخلال في مكارم الأخلاق، بســند ضعيف، كما قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء صـ ٩٤٨. ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٧٢/٢٤) موقوفًا على أبي أمامة بلفظ: المؤمن في الدنيا بين أربعة: بين مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وكافر يقاتله، وشيطان قد توكل به. وإسناده حسن.

(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي صـ ٢٨٧.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

QaradawiBooks.com

وهذا هو السر في اقتران التواصي بالصبر بالتواصي بالحق في سورة العصر: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴾ [العصر: ٢، ٣]. فلا بقاء للحق بغير صبر.

وهو السر فيما ذكره الله على لسان لقمان الحكيم حيث وصَّى ابنه بالصبر على ما يصيبه من بلاء وأذى عقب وصيته له بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال الله تعالى على لسانه: ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧].

كأنَّه يقول له: ما دمت تدعو الناس إلى الخير، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، فوطِّن نفسك على احتمال المكاره منهم، وتقبل الأذى من جهتهم، فهم خصوم لمن يأمرهم بالمعروف، لأنَّه ثقيل عليهم، وينهاهم عن المنكر، لأنَّه مُحبَّب إليهم.

أنواع مشاقِّ الدعوة إلى الله:

ومشاقُّ الدعوة إلى الله تتمثَّل في صور شتى، وقد ذكر القرآن منها أنواعًا وأمثلة:

أ - تتمثل في إعراض الخلق عن الداعية، فليس أشقُّ على نفس صاحب الدعوة من أنْ يدعو بملء فيه، ويصيح بأعلى صوته، بشيرًا ونذيرًا، فلا يجد إلَّا آذانًا صُمًّا، وقلوبًا غُلفًا! رأينا ذلك مع نوح عليه السلام، حيث قال مناجيًا ربه: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴾ [نوح: ٥ - ٧].

QaradawiBooks.com

ورأينا ذلك مع هود عليه السلام حين قال له قومه: ﴿يَـٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ٥٣].

ورأينا ذلك مع خاتم الرسل محمد ﷺ، حيث وصف الله حال قومه معه، فقال: ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ١ ـ ٥]، ولهذا قال الله لرسوله: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [النحل: ١٢٧].

ب ـ وتتمثَّل متاعب الدعوة في أذى الناس بالقول أو الفعل، فليس أشد على نفس الرجل المخلص في دعوته، البريء من الهوى، المحبِّ لخير الناس، من أنْ يُمحِّض لهم النصح، فيتَّهموه بما ليس فيه، وأنْ يدعوهم إلى سبيل ربه بالحكمة، فيردُّوه بالقوة، ويعظهم بالحسنى، فيستقبلوه بالسوءى، ويجادلهم بالتي هي أحسن، فيقاومونه بالتي هي أخشن، ويدلُّهم على الخير، فيرمونه بالشر، ويصدع فيهم بكلمة الحق، فلا يسمع منهم إلَّا كلمة الباطل.

وقد لا يقف الأمر عند هذا الحد، فكثيرًا ما يمتدُّ الطغيان إلى الأموال فينهبها، وإلى الأبدان فيعذبها، وإلى الحريات فيسلبها، وإلى الحرمات فينتهكها، بل إلى الأنفس فيقتلها، حتى الأرض التي نبتوا منها، وشبُّوا عليها، ونشؤوا في أحضانها، هم وآباؤهم وأجدادهم، يُخْرَجون منها إخراجًا.

وهذا ما أقسم القرآن على وقوعه للداعين إلى الله، فقد خاطب بذلك المؤمنين ليوطِّنوا أنفسهم على الصبر الطويل، فقال:

QaradawiBooks.com

﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ومن هنا أمر الله رسوله أن يصبر على إيذاء قومه بمثل قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [المزمل: ١٠].

والأنبياء جميعًا يمثِّلون هذا النوع من الصبر، ولهذا حكى الله على لسانهم هذا القول ردًّا على أقوامهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، وعزَّى الله خاتم رسله بما حدث لإخوانه من قبله، فقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ومن أتباع الرسل ذكر لنا القرآن هنا مثلًا رائعًا يتجلَّى في سحرة فرعون، حين وقع الحق وبطل ما كانوا يعملون، فأعلنوا إيمانهم بربِّ موسى وهارون، وعندها قال لهم فرعون: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٣، ١٢٤].

فماذا كان موقف السحرة إزاء هذا الوعيد الهادر من ملك جبَّار يقول للناس: أنا ربكم الأعلى؟ لقد وقفوا بإيمانهم الجديد كالجبال الشُّمّ، متحدِّين جبروت فرعون، مستعدِّين لكل ما يُرغي به ويُزبد، سائلين الله تعالى أن يُفرغ عليهم صبرًا يتحمَّلون به العذاب راضين، ويستقبلون به المكاره مطمئنِّين.. ومن هنا قالوا لفرعون: ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥، ١٢٦].

جـ - وتتمثل مشاق الدعوة كذلك في صورة أخرى هي طول الطريق، واستبطاء النصر، فقد جعل الله العاقبة للمتقين، وكتب النصر

QaradawiBooks.com

لدعاة الحق من رسله وأتباعهم وورثتهم المؤمنين، ولكن هذا النصر لا يتحقق بين عشية وضحاها، ولا تشـرق شمسه إلَّا بعد ليل طويل حالك من الشـدائد والمحن المتعاقبة، تزيغ لهولها الأبصار، وتبلغ القلوب الحناجـر، ويظن الناس بالله الظنون، هنـاك يبتلى المؤمنون ويزلزلون زلزالًا شـديدًا، كما صور القرآن الحالة النفسية للمسلمين في غزوة الأحزاب.

وكم أكَّد القرآن هذه الحقيقة في أكثر من موضع، وبأكثر من أسلوب، فهو يخاطب المؤمنين في المدينة فيقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

يقولون: متى نصر الله؟ استبطاءً له، واستعجالًا لمجيئه، فيجيء معه الغوث للملهوف، والفرج للمكروب، والأمل لليائس، ويقول جل شأنه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

فعندما تتعقَّد الأمور، وتضيق الصـدور، وتتراكم الظلمات، ويتكاثر الباطل على الحقِّ، ويستكبر العدل على الظلم، ويقلُّ الذين آمنوا، ويكثر الذين كفروا، لا يكـون هناك حلٌّ لهـذه الكربـات المتراكمة، والغمم المتكاثفة، إلَّا الاعتصام بالصبر.

والصبر مرٌّ لا يتجرعه إلَّا حرٌّ، ولكن لا بدَّ منه، ومن فقد الصبر في أوقات الشدائد والمحن، فقد فَقدَ كلَّ شيء؛ لأنَّه فقد المفتاح الذي تُحلُّ به العقَد، وتُعالج به المشـكلات، وتداوى به الجراح والمصائب. ولهذا قال الله لرسوله ﷺ: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥].

QaradawiBooks.com

تعرُّض أصحاب الرسالات للبلاء:

وأصحاب الرسـالات أكثر تعرُّضًا للبلاء مـن غيرهم؛ لأنَّ الله الذي خلق آدم، خلقه ومعه إبليس، وخلق إبراهيم ومعه نُمروذ، وخلق موسى ومعه فرعون، وخلق محمدًا ومعه أبـو لهب وأبو جهل، فالحقُّ يصارعه الباطل دائمًا، فمَن يحمل رسالة الحقِّ لا بدَّ أن يُعاديَه أهل الباطل، ومَنْ دعا إلى الصلاح حاربه أهل الفساد، مَنْ دعا إلى الخير قاومه دعاةُ الشَّر، ولذلك لمَّا سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الناس أشدُّ بلاءً؟ قـال: «**الأنبياء، ثم الصَّالحون، ثم الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسَـب دينه، فإنْ كان في دينه صلابة زِيد في بلائه، وإنْ كان في دينه رقَّة خُفِّف عنه، وما يزال البلاء بالعبد حتَّى يمشـي على ظهر الأرض ليس عليه خطيئة**»(١). يكفِّر عنه سيئاته بما ينزل به من بلاء.

والقرآن يخاطب المؤمنين طالبًـا منهم أنْ يحملوا دعوة محمد، وأنْ يصبروا على ما يصيبهم في طريقها من بلاء وبأسـاء: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

وقد حكى القرآن قول الرُّسل لأقوامهم: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا﴾ [إبراهيم: ١٢]. وقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦، ١٤٧].

---

(١) سبق تخريجه صـ٩٠.

QaradawiBooks.com

وقد نبَّه الله المؤمنين ليوطِّنوا أنفسهم على تحمُّل الأذى المنتظر، الذي لا مفرَّ منه في سبيل دعوتهم، مُقسمًا مؤكِّدًا: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

صبر أولي العزم من الرسل:

لقد اصطفى الله رسله صلوات الله عليهم من خيرة خلقه، وأمدَّهم بوحيه، وعلَّمهم ما لم يكونوا يعلمون؛ ليبلِّغوا رسالته للناس، مبشرين ومنذرين، ومع هذا لم يعصمهم من الابتلاء بالمحن والشدائد، ولا من الأذى والعذاب صنوفًا وألوانًا من قومهم، ليصقل معادنهم، ويبتلي ما في صدورهم، ويمحِّص ما في قلوبهم. فما منهم إلَّا أوذي، وخصوصًا أولي العزم منهم، الذين قال الله لرسوله في شأنهم: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

انظر إلى شيخهم نوح عليه السلام، الذي لبث في قومه ألف سنة إلَّا خمسين عامًا، ليبلِّغهم رسالة ربه، وينصح لهم، ويبشرهم وينذرهم، فلم يستجب له إلَّا أفراد معدودون، حتى امرأته لم تؤمن به، وحتى أحد أبنائه كفر به: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠] كما قال القرآن.

QaradawiBooks.com

أكثر من ثلاثين جيلًا ـ إذا اعتبرنا الجيل ثلاثين سنة ـ مرَّت عليه، وكل جيل أسوأ ممَّا قبله، وهو عليه السلام لم يقصِّر في دعوته، ولم يتوانَ عن التبليغ، بل نوع الأساليب، ونوع الترغيب والترهيب، ونوع الزمان والبيان من إسرار وإعلان، فلم ينفتح له قلب، ولم تسمع له أذن. كما حكى عن نفسه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۞ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۞ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۞ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥ ـ ٩].

فلا عجب أن توجَّه إلى ربه بدعوته بعد (٩٥٠) سنة فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۞ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٦، ٢٧].

ولخَّصت سورة القمر موقف نوح وقومه، الذي انتهى بالطوفان الذي طهَّر الأرض من شرِّهم، بقوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُواْ عَبْدَنَا وَقَالُواْ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ۞ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ۞ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ۞ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۞ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۞ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ٩ ـ ١٤].

وبعد نوح لقي رسل الله عليهم السلام من أقوامهم من التكذيب والاتِّهام والإيذاء، ما انتهى بانتصار الله تعالى لرسله، وإنزال عقوبته على الذين كذَّبوهم وآذوهم. كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وها نحن نرى إبراهيم عليه السلام يُحاجُّ قومه من عبدة الأصنام، فيحجَّهم ويبطل شبهاتهم بحججه الدامغة، وكان من حججه العملية: أن حطَّم أوثانهم بفأسه، وجعلها جذاذًا إلَّا كبيرًا لهم، لعلهم إليه يرجعون.

QaradawiBooks.com

فلمَّا عرفوا القصة، وجاؤوا بإبراهيم ليحققوا معه بتهمة تحطيم آلهتهم، فسألوه: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٢، ٦٣]، فلمَّا لم يجدوا لهم حجة قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، وأوقدوا نارًا عظيمة ليحرِّقوه بها، وقذفوا به وسط هذه النار، فلم تحرق النار إبراهيم، بل قال الله لها: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، ونجَّاه الله من النار، وردَّ كيد القوم في نحرهم.

وبعد إبراهيم أبي الأنبياء جاء موسى عليه السلام، الذي أرسله الله إلى فرعون وقارون وهامان، فقالوا: ساحرٌ كذَّاب.. وفرعون يمثل الملكية الطاغية المتألهة في الأرض، وقارون يُمثل الرأسمالية المستكبرة الكانزة لمال الله عن عباد الله، قائلًا: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨]، وهامان يمثل الواسطة المتسلِّقة التي تعيش في خدمة الملك والمال على حساب الشعب.

وقد قال فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ۝ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ۝ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٦ ـ ٢٨]، ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ۝ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ۝ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا ۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧ ـ ١٢٩].

QaradawiBooks.com

وحين نصر الله موسى ومَن معه من بني إسرائيل على فرعون وملئه، وأطبق عليهم البحر، فكانوا من المغرقين: لقي موسى من أذى قومه وتمرُّدهم ما لقي، حتى قالوا له: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ ۞ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٤، ٢٥] يعني بهؤلاء القوم الفاسقين: قومه الذين نجّاهم الله من فرعون على يديه. مع هذا ناله من أذاهم الكثير... حتى إنَّ النبي ﷺ حين تطاول عليه بعض الخارجين عن الأدب وحسن الخلق قال: «**يرحم الله أخي موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر!**»(١).

وجاء بعد موسى من أولي العزم المسيح عيسى ابن مريم، رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم ورُوح منه، أرسله الله إلى بني إسرائيل مصدِّقًا لما بين يديه من التوراة، ومبشِّرًا برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، ولقي من بني إسرائيل وأحبارهم ما لقي من الكيد والأذى والتكذيب والاتّهام له ولأمّه، وكان يقول لهم: يا أولاد الأفاعي! وكادوا له عند الرومان، وتآمروا على صَلبه، وسجَّل ذلك القرآن عليهم: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ۞ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ۞ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٨].

وختم أولو العزم ـ بل خُتم النبيُّون جميعًا ـ بمحمدٍ ﷺ الذي خصّه الله بدعوة عالمية خالدة شاملة، فبُعث للناس أجمعين، أرسله الله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدين كلِّه ولو كره المشركون، ووفق

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٣٦)، ومسلم في الزكاة (١٠٦٢)، عن ابن مسعود.

QaradawiBooks.com

سنن الله كان لا بدَّ أن يُحارَب ويُحارِب، وكانت معاركه مع خصومه على كل مســتوى، على الصعيد الأدبي، وعلى الصعيد الاقتصادي، وعلى الصعيد العسكري.

غير مرخصة للطباعة

لقـد أوذي وأصحابــه حتى استشــهد منهم مَن استشــهد تحت العذاب، وحوصروا حتى أكلوا أوراقَ الشــجر، وأُخرجوا من ديارهم وأموالهم بغير حقٍّ إلَّا أنْ يقولوا: ربُّنا الله، وقاتلوا وقُتلوا، حتى لم يبقَ بيتٌ إلَّا قدَّم شهداء.

ونزل القرآن المكيُّ يواســيهم: ﴿ الٓمٓ ۝ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾ [العنكبوت: ١ ـ ٣].

كما نزل القــرآن المدني يواســيهم، وقد رمتهم العــرب عن قوسٍ واحدة، وأمسوا ينامون في السلاح خشية مباغتة الأعداء بالهجوم عليهم.

قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة: ٢١٤].

أمة النبي وصبرها على طريق الدعوة:

وبعد محمدٍ ﷺ تعرَّض كل مَن تمسك بالحق ودافع عنه إلى الأذى، بل إلى القتل... حتى إنَّ ثلاثــة من الخلفاء الراشــدين المهديِّين ماتوا مقتولين شهداء عند ربهم: عمر وعثمان وعليّ رضي الله عنهم أجمعين!

والحسين السبط رضي الله عنه مات شهيدًا مقتولًا مظلومًا.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وكل صاحب رسالة بعد ذلك من العلماء والربانيِّين والأئمة الصادقين، أوذي من أجل رسالته ما أوذي، فلم يهن لهم عزم، ولم تلن لهم قناة، ولم تخمد لهم جذوة، ولم يمت لهم أمل، بل كانوا كما قال الله في أمثالهم: ﴿**فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

دخل شيخ الإسلام ابن تيمية السجن من أجل تشبُّثه بأفكاره وما يؤمن به، ودخل كذلك تلميذه الإمام ابن القيم، وقضى ابن تيمية نحبه في السجن.

ولم يحنِ شيءٌ من ذلك رأسه، أو يفتَّ في عضده، أو يشعرْه بالأسى على ما أصابه، بل قابل ذلك كله برضا القلب، وسكينة النفس، وقال كلمته الشهيرة: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إنْ رحتُ فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خَلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة(١).

وكذلك كان موقف كل المصلحين والمجدِّدين لهذا الدين، خاضوا لُجج المحن، لُجَّة وراء لُجَّة، ومحنة في إثر محنة. ومنهم مَن قدَّم عنقه فداءً لدعوته، وهو يستحضر قول الصحابي الجليل:

ولستُ أبالي حينَ أُقتلُ مسلمًا ... على أيِّ جنبٍ كان في الله مصرعي(٢)!

وقدمت الدعوة الإسلامية الحديثة، أو الحركة الإسلامية المعاصرة، قوافل من الشهداء، منهم من أعدم شنقًا، مثل: عبد القادر عودة، وسيد

(١) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في كتابه: الوابل الصيب صـ ٦٧.

(٢) هو سيدنا خبيب بن عدي، والبيت رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قطب، ومحمد فرغلي، ويوسف طلعت، وإبراهيم الطيب، وعبد العزيز البدري... ومنهم من اغتيل على يد خصومه، مثل: حسن البنا الذي اغتالته الحكومة بيد رجالها في عهد الملك، وقد حوكموا بعد الثورة... ومنهم مَن قُتلوا على يد سجَّانيهم، كما في حادث ليمان طره الذي قتل فيه بضعة وعشرون سجينًا على يد حرَّاسهم.

ومنهم مَن قُتل تحت سياط التعذيب، مثل: شهداء زنازين العذاب في السجن الحربي.

ومنهم مَن قُتل في معارك غير متكافئة مع خصومهم، فسقط الآلاف شهداء.

غير مرخصة للطباعة

وهكذا يظل الصراع محتدمًا بين الحق والباطل في صور شتى، وبأساليب شتى تتغيَّر الوجوه، وتتغيَّر الأسلحة، وتتغيَّر أرض المعركة، ولكنَّها أبدًا مستمرَّة لا تتوقف، وإن كانت تهدأ أحيانًا، ولكنَّه الهدوء الذي يسبق العاصفة، كما يقولون.

وما دام في الأرض خير وشر، وما دام في الناس أخيار وأشرار، وما دام لكل إنسان ملك يُلهمه، وشيطان يوسوس له، وما دام للناس شهوات تغريهم بالغي، وعقول تهديهم إلى الرشد، فسيظل التدافع قائمًا، والمعركة مشتعلة، والحرب سجالًا، حتى تكون العاقبة للحق ودعاته، وللتقوى وأهلها.

﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧]، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

QaradawiBooks.com

الأمر بالمصابرة:

وعلى أهل الحقِّ أن يصبـروا على هـذه الآلام، ويتحمَّلوا تلك الصعاب، بل لا بدَّ لهم أن يصابروا أعداءهم حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا، كما قال الله تعالـى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والمصابرة: أنْ تُطاول غيرك في الصبـر؛ أنْ تغالب خصومك، فهم يصبرون على باطلهم، فلا بدَّ أن تصبر أنت على حقِّك أكثر منهم.

انظروا: ماذا قال المشركون؟ ﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ﴾ [صٓ: ٦] اصبروا على مناة واللات والعزى وهبل، فإنَّ محمدًا يريـد أن يزحزحنا عن عبادتها. وقالوا: ﴿ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا لَوۡلَآ أَن صَبَرۡنَا عَلَيۡهَا ﴾ [الفرقان: ٤٢]، أي استمسكنا بها، وعضضنا عليها بالنواجذ.

الكفار يصبرون على باطلهم، فلا بدَّ أن يكون صبر أهل الحق على حقِّهم أقوى من صبرهم، وهذا معنى المصابرة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠]. وقد روي عن عمر أنَّه قال: اللهمَّ أشكو إليك جَلَدَ الفاجرِ وعَجْزَ الثقة[١].

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨/٦٨).

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأَعمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإمَامِ
يُوسُف القَرضَاوِي

ثانيًا: الشكـر

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الشكر في اللغة وفي الاصطلاح:

قال ابن القيم: «وأصل «الشـكر» في وضع اللسان: ظهور أثر الغذاء في أبدان الحيوان ظهورًا بيِّنًا. يقال: شَكِرَت الدابة تَشْكَر شَكَرًا على وزن سَمِنَت تسمَن سِـمَنًا[1]: إذا ظهر عليها أثر العَلف. ودابة شَكُور: إذا ظهر عليها من السِّمَن فوق ما تأكل وتُعطَى من العلف.

وفي صحيح مسلم (في حديث يأجوج ومأجوج): «**حتى إن الدواب** (يعني: آكلة اللحوم كالسباع) **لتَشْـكَر شَكَرًا من لحومهم**»[2]. أي لتسمن من كثرة ما تأكل منها.

وكذلك حقيقته في العبودية، وهو ظهور أثر نعمة الله على لسـان عبده: ثناءً واعترافًا. وعلى قلبه: شهودًا ومحبةً. وعلى جوارحه: انقيادًا وطاعةً»[3].

(١) كذا قال ابن القيم، ولعله يقصد على وزنه في الماضي والمضارع، أما مصدر شَكِر فشَكَرًا بفتحتين، ومصدر سَمِنَ سِمَنًا بكسر ففتح، وهما مترادفان في المعنى.

(٢) لم أجده في مسـلم، ولم يعزه إليه ابن الأثير في جامع الأصول (٧١٠)، والمزي في تحفة الأشـراف (١٤٦٧٠). وإنَّما رواه أحمد (١٠٦٣٢) وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي في التفسير (٣١٥٣) وقال: حسن غريب. وابن ماجه في الفتن (٤٠٨٠)، والحاكم في الفتن (٤٨٨/٤) وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي. قال ابن كثير في التفسير (١٩٨/٥): هذا إسناده قوي، ولكن في رفعه نكارة. عن أبي هريرة.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (٢٣٤/٢).

QaradawiBooks.com

منزلة الشكر:

وللشكر منزلة عظيمة في الدين، ومقام من مقامات أهل اليقين، قرنه الله تعالى بالإيمان، وجعلهما حاجزين من نزول العذاب، فقال: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧]. وجعله سبحانه المقابل للكفر، والمَرْضي له من أفعال عباده فقال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]. وقال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

والشكر غاية إرسال الرسول ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

وهذا رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالت له زوجته عائشة مشفقة عليه: لِمَ تصنعُ هذا وقد غُفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١).

وقال الشاعر:

لو كنتُ أعرفُ فوق الشكرِ منزلةً ... أعلى من الشكر عند الله في الثمنِ
أخلصتهــا لكَ من قلبــي مهذَّبة ... شُكْرًا على صُنع ما أوليت من حسنِ(٢)

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٣٧)، ومسلم في صفة القيامة (٢٨٢٠).
(٢) هو أبو عيينة بن محمد بن أبي عيينة المهلبي، كما في التذكرة الحمدونية (٧/٤)، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

QaradawiBooks.com

قال ابن القيم عن منزلة الشكر من منازل السائرين إلى الله: «وهي من أعلى المنازل، وهي فوق منزلة الرضا وزيادة، فالرضا مندرج في الشكر، إذ يستحيل وجود الشكر بدونه.

وهو نصف الإيمان ـ كما تقدم ـ والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

وقد أمر الله به، ونهى عن ضده، وأثنى على أهله، ووصف به خواصَّ خلقه، وجعله غاية خلقه وأمره، ووعد أهله بأحسن جزائه، وجعله سببًا للمزيد من فضله، وحارسًا وحافظًا لنعمته. وأخبر أنَّ أهله هم المنتفعون بآياته، واشتقَّ لهم اسمًا من أسمائه، فإنَّه سبحانه هو «الشكور»، وهو يُوصل الشاكر إلى مشكوره، بل يُعيد الشاكر مشكورًا.

وهو غاية الربِّ من عبده، وأهله هم القليل من عباده. قال الله تعالى: ﴿وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤]، وقال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقال عن خليله إبراهيم ﷺ: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ۞ شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ﴾ [النحل: ١٢٠، ١٢١]، وقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُوهُ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥٓۖ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾ [إبراهيم: ٥].

QaradawiBooks.com

وسمَّى نفسه «شاكرًا» و«شكورًا»، وسمَّى الشاكرين بهذين الاسمين. فأعطاهم من وصفه. وسمَّاهم باسمه. وحسبك بهذا محبة للشاكرين وفضلًا.

وإعادته للشاكر مشكورًا، كقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]. ورضا الربِّ عن عبده به، كقوله: ﴿وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر: ٧]، وقلة أهله في العالمين تدل على أنَّهم هم خواصه، كقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. وفي «الصحيحين» عن النبي ﷺ: أنَّه قام حتى تورَّمت قدماه. فقيل له: تفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا؟**»[(١)].

وقال عليه الصلاة والسلام لصاحبه معاذ بن جبل: «**والله يا معاذ، إني لأحبُّك. فلا تنسَ أن تقول في دُبُر كل صلاة: اللهم أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[(٢)].

وفي المسند وسنن أبي داود والترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنَّ رسول الله ﷺ كان يدعو بهؤلاء الكلمات: «**اللهمَّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ، وامكُرْ لي ولا تمكر عليَّ، واهدني ويسِّر الهدى إليَّ، وانصرني على من بغى عليَّ، ربِّ اجعلني لك شكَّارًا، لك ذكَّارًا، لك رهَّابًا، لك مِطواعًا، لك مُخبتًا، إليك أوَّاهًا مُنيبًا، ربِّ تقبَّلْ توبتي، واغسِلْ حَوْبتي، وأجب دعوتي، وثبِّت حجَّتي، واهدِ قلبي، وسدِّد لساني، واسْلُل سخيمة قلبي**»[(٣)].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٢٢.

(٢) رواه أحمد (٢٢١١٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في السهو (١٣٠٣)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، كلاهما في الصلاة.

(٣) رواه أحمد (١٩٩٧) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في أبواب الوتر (١٥١٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥١) وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥)، عن ابن عباس.

QaradawiBooks.com

قواعد الشكر وأسسه:

و«الشكر» مبنيٌّ على خمس قواعد: خضوعِ الشاكر للمشكور، وحبِّه له، واعترافِه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وألَّا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس هي أساس الشــكر، وبناؤه عليها. فمتى عُدِمَ منها واحدة، اختلَّ من قواعد الشكر قاعدة.

حدُّ الشكر:

وكل من تكلَّم في الشكر وحَدِّه، فكلامه إليها يرجع، وعليها يدور.

فقيل: حدُّه الاعتراف بنعمة المُنعم على وجه الخضوع.

وقيل: الثناء على المحسن بذكر إحسانه.

وقيل: هو عكوف القلب على محبَّة النِّعَم، والجوارحِ على طاعته، وجريان اللسان بذكره، والثناء عليه.

وقيل: هو مشاهدة المِنَّة، وحفظ الحرمة.

وما ألطف ما قال حمدون القصَّار: شُــكر النعمة أن ترى نفسك فيها طفيليًّا.

وقال أبو عثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر.

وقيل: الشكر إضافة النعم إلى مُوليها بنعت الاستكانة له.

وقال الجنيد: الشكر ألَّا ترى نفسك أهلًا للنعمة.

هذا معنى قول حمدون: أن يرى نفسه فيها طفيليًّا.

وقال رُوَيم: الشكر استفراغ الطاقة.

QaradawiBooks.com

الشكر بين رؤية المنعم ورؤية النعمة:

قال الشِّبْلي: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة.

قلتُ (ابن القيم): يحتمل كلامه أمرين:

أحدهما: أن يفنى برؤية المنعم عن رؤية نِعَمه.

والثاني: ألَّا تحجبه رؤية نعمه ومشاهدتها عن رؤية المنعم بها، وهذا أكمل.

والأول أقوى عندهم (أي عند أهل التصوف)، والكمال أنْ تشهد النعمة والمُنعم؛ لأنَّ شكره بحسب شهود النعمة، فكلما كان أتم كان الشكر أكمل، والله يحبُّ من عبده: أنْ يشهد نعمه، ويعترف له بها، ويُثني عليه بها، ويُحبَّه عليها، لا أنْ يفنى عنها، ويغيب عن شهودها.

وقيل: الشكر قَيْدُ النعم الموجودة، وصَيْدُ النِّعَم المفقودة.

شكر العامة وشكر الخاصة:

وشكر العامة: على المطعم والمشرب والملبس وقوت الأبدان.

وشكر الخاصة: على التوحيد والإيمان وقوت القلوب.

وقال داود عليه السلام: يا ربِّ، كيف أشكرك؟ وشكري لك نعمة عليَّ من عندك تستوجب بها شكرًا. فقال: الآن شكرتني يا داود[١].

وفي أثر آخر إسرائيلي: أنَّ موسى ﷺ قال: يا ربِّ، خلقتَ آدم بيدك، ونفختَ فيه من رُوحك، وأسجدتَ له ملائكتك، وعلَّمْتَه أسماء كل

(١) ذكره التستري في تفسيره صـ ٨٦، تحقيق محمد باسل عيون السود، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٣هـ.

QaradawiBooks.com

شيء، وفعلتَ وفعلتَ، فكيف شَكَرَك؟ قال الله ﷻ: علم أنَّ ذلك منِّي، فكانت معرفته بذلك شكرًا لي[١].

وقيل: الشكر التلذُّذ بثنائه على ما لم يستوجب من عطائه.

وقال الجنيد وقد سأله سَرِيٌّ[٢] عن الشكر وهو صبي: الشكر ألَّا يُستعانَ بشيء من نعم الله على معاصيه. فقال: من أين لك هذا؟ قال: من مجالستك.

وقيل: من قصُرت يداه عن المكافآت فليطل لسانه بالشكر.

والشكر معه المزيد أبدًا؛ لقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. فمتى لم ترَ حالك في مزيد، فاستقبل الشكر.

وفي أثر إلٰهي: يقول الله ﷻ: «أهل ذكري أهل مجالستي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل معصيتي لا أقنِّطهم من رحمتي، إنْ تابوا فأنا حبيبهم، وإنْ لم يتوبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب، لأطهِّرهم من المعايب»[٣].

وقيل: من كتم النِّعمة فقد كفرها، ومن أظهرها ونشرها فقد شكرها.

وهذا مأخوذ من قوله ﷺ: **«إنَّ الله إذا أنعم على عبدٍ بنعمة أحبَّ أن يرى أثر نعمتِه على عبده»**[٤].

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤١١٣).

(٢) السري السقطي، وهو خال الجنيد.

(٣) لم أقف عليه مسندًا، وذكره ابن تيمية في منهاج السنة (٢١٠/٣).

(٤) رواه الترمذي في الأدب (٢٨١٩) وحسنه، والطيالسي (٢٣٧٥)، والحاكم في الأطعمة (١٣٥/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٢٦٠)، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

وفي هذا قيل:

ومـــن الرزيَّة أنَّ شـكريَ صامتٌ   عمَّـــا فعلـــتَ وأنَّ بـــرَّكَ ناطـــقُ

وأرى الصنيعـــةَ منكَ ثُم أُسِـــرُّها   إنِّي إذًا لِنَدَى الكريمِ لسارقُ[(١)]»[(٢)]

من أسماء الله تعالى الشكور والشاكر:

الشكور: صيغة مبالغة من اسم فاعل: شكر، يشكُر، فهو شاكر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

ومعنـــى صيغة المبالغة: أنَّه تعالى يُكثِر من شـــكر عبـــاده، وإن كان ما يقدِّمونـــه إليه قليـــلًا، ولكنَّه من فضلـــه يضاعف العمـــل القليل من الحسنات، ويعفو عن الذنب الكثير، كما قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]، وقال: ﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧]، فهو يغفر الكثير، ويشكر القليل.

ومِنْ شُـــكْر الله تعالى أنَّه يعطي بالأعمال المعدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود، ذلك أنَّ نعيم الجنة لا آخر له، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

---

(١) القائل أبو تمام، انظر: ديوانه (٤٥٤/٢).

(٢) مدارج السالكين (٢٣٢/٢ ـ ٢٣٦).

QaradawiBooks.com

ومن شُكر الله تعالى أنَّه يُثني على أعمال عباده، مع أنَّ أعمالهم من خلقه سبحانه، فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق أنْ يكون شكورًا.

ومن ثنائه تعالى على عباده قوله سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]. وقوله تعالى في بعض أنبيائه، وهو أيوب: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

ويظهر شكر الله لعباده يوم القيامة، عندما يقبل منهم الصالحات، ويتجاوز عن السيئات، ويدخلهم الجنَّات، ولذلك يقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

والشكور من البشر قليلون، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وذكر القرآن قول إبليس لربِّه: ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧].

ولكن من فضل الله تعالى على عباده أن جمع لهم بين هذين الاسمين من أسمائه الحسنى وصفاته العلا: اسم الشكور، واسم الحليم، أو بين هاتين الصفتين: صفة الشكر، وصفة الحلم.

الثناء على المرسلين بصفة الشكر:

لقد أثنى الله على بعض عباده من المرسلين وغيرهم، بوصفهم بصفة الشكر، ومدحهم باسم الشاكر أو الشكور، كما قال تعالى عن عبده نوح أول رسول أرسله إلى قوم مشركين، فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣].

وقال عن نبيِّه وخليله إبراهيم: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل: ١٢١].

QaradawiBooks.com

وقال عن سليمان لمَّا قدمت عليه ملكة سبأ المعروفة باسم بلقيس: ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

وقال سبحانه عن سليمان حين مرَّ بوادي النمل بجنوده، وسمع النملة تقول للنمل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فكان موقفه من هذا كما حكى القرآن: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٨، ١٩]، وقال تعالى عن عبده لقمان: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

الأمر بالشكر في القرآن والسُّنَّة:

والله سبحانه وتعالى أمر بالشكر، وأثنى على أهله، وجعله من أخصِّ أوصاف عباده المصطفين الأخيار من المرسلين والصالحين.

قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي هذه الآية قرن الله الشكر بالذكر، ومعلوم أنَّ ذكر الله له المنزلة العليا عنده، كما قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقد قرنه بالشكر للدلالة على تقاربهما وتداخلهما في المنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

فجعل العبودية له سبحانه مستلزمة لشكره، فمن كان لله عابدًا يجب عليه أنْ يكون لآلائه شاكرًا، كما تفيده أداة الشرط «إن». ولذلك قال الله لرسوله ﷺ: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

QaradawiBooks.com

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل: ١١٤].

وقال تعالى على لسان إبراهيم: ﴿فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وأمر الله به ـ أيضًا ـ في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤]. نشكره باعتباره صاحب النعم الكبرى علينا، كنعمة الإيجاد، ونعمة الإمداد، ونشكر الوالدين لأنَّهما سبب هذا الإيجاد.

وكما أمرت الآيات القرآنية بالشكر، أمرت به الأحاديث النبوية، وحثَّت عليه، وعلَّم النبي أمته أنْ تسأل الله الإعانة عليه، كما في وصية النبي ﷺ معاذًا: «**لا تنس أن تقول في دُبُر كل صلاة: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»(١).

وقال ﷺ: «**ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجةً مؤمنةً تعين أحدكم على أمر الآخرة**»(٢).

وبيَّن ﷺ عظيم فضل الشكر وأجره في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ: «**إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكْلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»(٣).

(١) سبق تخريجه صـ١٢٤.

(٢) رواه أحمد (٢٢٤٣٧)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في التفسير (٣٠٩٤) وقال: حديث حسن. وابن ماجه في النكاح (١٨٥٦)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٥٠٥)، عن ثوبان.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٧٣)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

ورضا الله عن العبد هو غاية ما يتمنَّاه المرء من ربِّه في الدنيا والآخرة، وأنَّها أكبر نعمة ينعم الله بها على عباده في الآخرة.

بل قال ﷺ: «**الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر**»(١).

قال ابن الملقِّن: «ومعنى الحديث والله أعلم: التنبيه على لزوم الشكر لله تعالى على جميع نعمه، صغيرها وكبيرها، فكما ألحق الطاعم الشاكر بالصائم الصابر في الثواب، دلَّ على أنه تعالى كذلك يفعل في شكر سائر النعم؛ لأنَّها كلّها من عنده، لا صنع في شيء منها للمخلوقين، فهو المبتدئ بها، والملهم للشكر عليها، والمثيب على ذلك، فينبغي للمؤمن لزوم الشكر لربه تعالى في جميع حركاته وسكناته، وعند كل نفس وكل طرفة»(٢).

الشكر من أخصِّ أوصاف عباد الله الصالحين:

ولعلو رتبة الشكر قال سبحانه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فبيَّن ﷻ أنَّ القليل من عباده يشكرون.

والشكور هو العبد الكثير الشكر لله تعالى، الذي يعرف قيمة النعمة، ويعرف فضل المنعم، ويؤدي حقه.

وعرف ذلك إبليس اللعين فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ قالوا هو: طريق الشكر ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

(١) رواه أحمد (١٩٠١٤)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. وابن ماجه في الصيام (١٧٦٥)، والطبراني (١٠٠/٧)، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٨٣/٢): إسناده صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٤٣)، عن سِنَان بن سَنَّة.

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢٥١/٢٦)، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر دار النوادر، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

QaradawiBooks.com

وقد صدق ظن إبليس، فأكثر الناس لا يشكرون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣، غافر: ٦١].

أركان الشكر:

الشكر مقام من مقامات الدين، وباب من أبواب الإيمان، ومنزلة من منازل الطريق إلى الله، طريق «إياك نعبد وإياك نستعين».

والشكر له أركان ثلاثة:

١ ـ عمل بالقلب.

٢ ـ وقول باللسان.

٣ ـ وحركة بالجوارح والأركان.

شُكر القلب:

أول شيء: شكر القلب. والقلب هو ملك الجوارح، وسيد الأعضاء كلها في الكيان الإنساني. ولهذا حينما نزلت آية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التوبة: ٣٤] قالوا: فأيّ المال نتخذ يا رسول الله؟ قال: «**ليتخذْ أحدُكم قلبًا شاكرًا، ولسانا ذاكرًا**»(١).

وما بكم من نعمة فمن الله:

فأصل الشكر عمل قلبي، أن تعترف من قرارة نفسك، وسويداء قلبك بقيمة النعمة، وتعترف بفضل من أنعم بها عليك، واستحقاقه للشكر عليها.

(١) سبق تخريجه صـ١٣١.

QaradawiBooks.com

وتمام الشكر: أنْ يكون لك قلب شاكر، ولسان شاكر، وبدن شاكر. وبذلك يكون كلُّك شاكرًا.

فيجب على العبد أنْ يعرف أنَّ كل ما به من نعم، فإنَّما مصدره الله عز وجل: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. كل نعمة هي من الله وحده: نعم الطاعات، ونعم اللذات، والعبد لا خروج له عن نعمته وفضله ومنته وإحسانه طرفة عين، لا في الدنيا، ولا في الآخرة.

نعم الله لا تعد، وإنْ عدت فلا تحصى:

أول ما ينبغي على الإنسان أنْ يعرفه: أنَّ نعم الله سبحانه وتعالى عليه لا تعد ولا تحصى، وإنْ عدت يومًا فلا يمكن أن تُحصى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ومعنى ﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾ تعجزون عن إحصائها؛ لأنَّها ليست نعمة ولا عشرة ولا مائة ولا ألفًا ولا ألفين ولا مليونًا.. نعم لا تُعَدُّ ولا تُحصى، وكلُّ نعمة فيها آلاف النعم.

قال أحد الصالحين: سبحان من لم يجعل في أحد من معرفة نعمته، إلَّا المعرفة بالتقصير عن معرفتها(١).

طبيعة الإنسان:

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ يظلم نفسه، ويظلم النعمة التي أُوتيها، ويضعُ النعمة في غير موضعها، لا يستعملها فيما يُحبُّه الله سبحانه، بل يستعملها فيما يُغْضِبُ الله، وفيما يُؤذي الناس، هذا هو

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٢)، تحقيق بدر البدر، نشر المكتب الإسلامي، الكويت، ط ٣، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

QaradawiBooks.com

الظلم، ظلمُ الإنسان لنفسه، وظلم الإنسان لغيره، وهذا معنى تذكيرنا بأنَّ الإنسان ظلومٌ وكفَّار، فهو بعد ظلمه يكفر بنعمة الله، لا يقابل النِّعمة بالشكران، ولكن يقابلها بالكفران.

فالإنسان بطبيعته، من حيث هو إنسان، إذا تُرِك لطبيعته البشريَّة، ولم يقيِّده الإيمان، والتربية على مقتضاه؛ ظلم وكفر بالنعمة: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦]، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]. هذه هي طبيعة الإنسان.

ومن آفات هذا العصر: أنَّ الناس لا يُقدِّرون نعم الله تعالى حق قدرها، كان آباؤنا وأجدادنا من قبلنا يعرفون نعمة الله ويشكرونها في أصعب الظروف، في اللقمة الخشنة وشربة الماء، يأكل أحدهم الطعام القليل، ويشرب من القُلَّة أو من القِرْبة، ثم يقول: الحمد لله، اللهم أدِمْها نعمة، واحفظها من الزوال.

الناس الآن تفيض عليهم النِّعَمُ فيضًا، يعيشون في النعم من رؤوسهم إلى أخمص أقدامهم، ولا يشكرون الله تبارك وتعالى عليها، لا يعرفون للنعم قدرها، استسهلوا هذه النعم، جاءتهم دون أن يَكْدَحُوا أو يَتْعَبُوا في تحصيلها.

انظروا هنا في بلاد الخليج: أصل النِّعَم التي يعيش فيها الناس في هذه البلاد «النفط.. البترول». من الذي صنع هذا البترول؟ هل أنتم خلقتموه وأنشأتموه؟ لا والله. الله هو الذي صنعه في باطن الأرض، وأخرجه لكم نعمة سابغة لم تَكْدَحُوا فيها بيمين، ولم تَعْرَقُوا فيها بجبين، فهل يقول الناس: الحمد لله ويشكرونه على ما أولاهم من النعم؟ لا.

QaradawiBooks.com

انظر إلى الناس في بلد كمصر، ينعمون بماء النيل، الذي يأتي إليهم من بلاد بعيدة، لم يسعوا إليها، بل ربما لم يزرها إلَّا بعضهم في هذا العصر، في أفريقيا البعيدة، ثم تنزل الأمطار وتكوِّن بحيرات كبيرة، ثم تمضي هذه المياه تشقُّ مجراها مستمرة في السير، تجوب الأقطار، حتى تلتقي بمصب آخر في أفريقيا هو الحبشة، فيلتقي النهران وينتهيان به عند البحر الأبيض المتوسط في مصر، عشرات آلاف الكيلو مترات، من هنا وهناك، حتى وصلت إلى التربة المصرية، فأنشأ الله بها بِنْيَةً زراعية، صنعت بلادًا حضارية، يعيش أهلها على هذه النعمة مستمر في العطاء آلاف السنين، وتشرب وتنظِّف وتسقي الزروع والأشجار والحيوانات والطيور، ولا يقول الناس: الحمد لله الذي سقانا وأروانا. الآن بدأوا يحسون بخطر كثرة الناس، وقلة الماء، وخطر التزاحم على النيل.

نحن في عصر قلَّ فيه الشاكرون، وكَثُرَ فيه الكافرون بنعم الله ﷻ، ما عاد الناس يُقدِّرون النعمة، أبدًا.

أول الشكر: أن تعترف بمصدر النعمة، وبقَدْرِ النعمة، وكثير من الناس لا يعرف النعمة إلَّا إذا زالت عنه.

كم من النِّعَمِ يَحْمِلُها الإنسان؟ نِعَمٌ كثيرة.

دخل ابن السماك على هارون الرشيد، فاستسقى الرشيد، فأُتي بقُلَّة فيها ماء مبرَّد، فقال لابن السماك: عظني. فقال: يا أمير المؤمنين، بكم كنتَ مشتريًا هذه الشربة لو مُنِعْتها؟ فقال: بنصف ملكي. فقال: اشرب هنيئًا. فلمَّا شرب قال: أرأيتَ لو مُنعتَ خروجها من بدنك، بكم كنتَ تشتري ذلك؟ قال بنصف ملكي الآخر. فقال:

QaradawiBooks.com

إن مُلكًا قيمة نصفه شربة ماء، وقيمة نصفه الآخر بولة، لخليق ألّا يُتنافس فيه[١].

نحن نشرب الماء باردًا زُلالًا، ولكنَّا لا نعرف قيمته، لا نعرف قيمة ما عندنا من نعم، فالنعم كثيرة، وكثيرة جدًّا، ولكنَّا في حاجة إلى أن نتبصَّرها ونعرفها، لنشكر الله عليها، ليُبقيها علينا، ويزيدنا منها، ويأجرنا عليها في الآخرة أجرًا جزيلًا. كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وقال: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

أنواع النعم

نعم الله على بني الإنسان لا تحصى. قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]:

أوَّلها: نعمة الخلق:

أول نعمةٍ أنْعَمَها الله تعالى عليك: أنَّه خَلَقَك، وأَخْرَجَك من العدم إلى حَيِّزِ الوجود. ولولا مشيئته وفضله لبقِيت في ظُلمة العدم، ولم تكن شيئًا مذكورًا، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ١، ٢].

وثانيها: نعمة الإنسانية والتكريم:

ثم إنَّه خلقك بشرًا سويًّا، وكرَّمك بهذه الإنسانية، واستخلفك في الأرض، وفضَّلك على كثيرٍ من خلْقِه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ

(١) تاريخ الطبري لابن جرير (٣٥٧/٨)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومعنى إنسانيتك: أن ميَّزك بأمرين:

أولهما: حسن الصورة الحسية التي تميَّز بها الإنسان، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ [التين: ٤]، ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾ [التغابن: ٣]، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار: ٧، ٨]. فلم يخلقك حيوانًا أعجم، لم يخلقك تيسًا ولا حمارًا ولا بقرةً ولا ثَوْرًا. خلقك إنسانًا سويًّا، تتميَّز صورتك عن هذه البهائم والوحوش.

وثانيهما: أنَّه خلقك إنسانًا، بمعنى: أنَّه ميَّزك بالعقل، أعطاك هذا العقل الذي تُسَخِّرُ به الأشياء من حولك، وتتميَّز به على الحيوانات التي هي أكبر منك حَجْمًا، وأشدُّ منك قوة. فتستخدمها في عملك، ويُسيِّرها الصبيُّ من أولادك.

هذا كله من فضل الله تعالى ومن نِعمه عليك. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً ﴾ [المؤمنون: ١٢، ١٣].

وهذا العقل الذي به الإدراك والعلم، قال تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]. وهذه الثلاثة هي أدوات العلم ومداركه. فبالسمع تُعرف علوم الوحي، وبالبصر تعرف علوم الكون، القائمة على المشاهدة والتجربة، وبالفؤاد تعرف العلوم العقلية، التي تحتاج إلى التأمُّل والتفكُّر في الآفاق وفي الأنفس، والنظر في ملكوت السماوات والأرض، وما خلق الله من شيء.

QaradawiBooks.com

وقال: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق: ٣ ـ ٥]. فكما أعطاه العقل أعطاه أدوات المعرفة.

وثالثها: نعمة تعليم البيان النطقي والخطِّي:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ [الرحمٰن: ١ ـ ٤] والبيان النطقي باللسان: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾ [البلد: ٨، ٩]، والبيان الخطي بالقلم: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق: ٤] ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم: ١].

ورابعها: نعمة الرزق:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [فاطر: ٣]، ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾ [سبأ: ٢٤]، ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۝ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢، ٢٣].

وخامسها: نعمة تسخير الكون لخدمة الإنسان:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِيَ فِي ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢، ٣٣]. فانظر كيف خلق الله هذه الأشياء وسخرها في أنحاء العالم، وكرَّر ذكرها في كتابه، ليُعلم أنها خلقت لنا وليس لغيرنا.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

QaradawiBooks.com

الزراعة: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۞ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ [الواقعة: ٦٣ ـ ٦٥]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۞ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۞ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ ـ ٣٥].

الماء: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ۞ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ [الواقعة: ٦٨ ـ ٧٠]

النار: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۞ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۞ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۞ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧١ ـ ٧٤].

الأنعام: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ۞ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ۞ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ ـ ٧٣]، ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ [النحل: ٥].

الطير والنحل: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩].

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۞ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٨، ٦٩].

QaradawiBooks.com

الليل والنهار: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۞ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [القصص: ٧١ ـ ٧٣]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

النوم: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ [الفرقان: ٤٧].

الله سبحانه سخَّر لك هذا الكون بما فيه، جعله في خدمتك، السماء بشمسها وقمرها ونجومها في خدمتك. الأرض بسهولها وجبالها ووديانها وبحارها وأنهارها، ونباتها وأشجارها، وحيوانها: وحْشها وداجنها، وطيورها وزواحفها وأحيائها المائية، كل هذه في خدمتك، ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٣، عبس: ٣٢].

حينما تزرع الحبَّ، مَنْ علَّم الحبَّة أنْ تأخذ غذاءها من التربة، وأنْ تمتص ما تحتاج إليه دون ما لا تحتاج إليه، من سخَّر لها القوانين والسنن حتى تنمو وتنبت وتُزهر وتُورق وتثمر؟ من؟ الله سبحانه وتعالى.

من الذي ذلَّل لك الأنعام لتخدمك وهي صحيحة، وتأكلها وهي ذبيحة، وتنتفع بلبنها ودرِّها ولحمها وجلدها وشعرها؟ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأنعام: ١٤٢].

كم من نعم لله سبحانه وتعالى علينا!

QaradawiBooks.com

نعم خاصة:

١ ـ نعمة الأمن:

﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾ [قريش: ٤]، ﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

٢ ـ نعمة الزوجية:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

٣ ـ نعمة الأولاد والأحفاد:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

٤ ـ نعمة المال والغنى:

﴿ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ [نوح: ١٢]، ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾ [الشعراء: ١٣٢ ـ ١٣٤]، ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا ﴾ [الأعراف: ٧٤].

٥ ـ نعمة تهيئة المواد الخام:

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ [الأعراف: ٢٦].

٦ ـ نعمة تعليم الصناعات:

﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ [الأنبياء: ٨٠].

QaradawiBooks.com

٧ ـ نعمة تذليل الأرض وإرسائها بالجبال للانتفاع:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩، ٢٠].

﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ۝ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ۝ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [النازعات: ٣٠ ـ ٣٣].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ۝ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١٠، ١١].

٨ ـ نعمة الطعام:

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۝ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۝ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ۝ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۝ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس: ٢٤ ـ ٣٢].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾ [الأنعام: ١٤١].

﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ

QaradawiBooks.com

أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ٩٩].

أنواع المأكولات في سورة النحل وحدها:

اللبن: ﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴾ [النحل: ٦٦].

اللحم: ﴿ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۖ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ﴾ [النحل: ٥].

السمك: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا ﴾ [النحل: ١٤].

الزيتون والنخيل والأعناب (الفواكه) والمربَّيات: ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ [النحل: ٦٧].

العسل: ﴿ يَخۡرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٞ لِّلنَّاسِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٦٩].

٩ ـ نعمة الشراب:

الماء: ﴿ وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّ ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، ﴿ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا ﴾ [الفرقان: ٤٨]، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ﴾ [إبراهيم: ٣٢]، ﴿ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا ﴾ [النازعات: ٣١]، ﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْ ﴾ [الأعراف: ٣١].

QaradawiBooks.com

١٠ ـ نعمة الجمال المبثوث في الكون:

جمال السماء: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦]، ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦].

جمال النبات: ﴿ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩٩]، ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ [النمل: ٦٠].

جمال الحيوان: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ [النحل: ٦]، ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨].

جمال الإنسان: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٧، ٨].

جمال الكون كله: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧].

نعم الله الدينية على المسلمين:

١ ـ نعمة إرسال الرسول إليهم ليهديهم ويعلِّمهم:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١].

QaradawiBooks.com

٢ ـ إنزال القرآن عليهم مفصَّلًا:

﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

٣ ـ نعمة الإيمان والهداية إلى صراط الله المستقيم:

وأعظم هذه النعم كلِّها: أن هداك للإســلام، وجعلك مسلمًا تشهد أن لا إلٰه إلَّا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، لا تعبد شمسًا ولا قمرًا، لا تعبد جنًّا ولا بشرًا، لا تعبد ثورًا ولا بقرًا، لا تعبد وثنًا ولا حجرًا، إنَّما تعبد الله وحده.

أعظم النعم:

نعمة الهداية للإسلام ﴿.. وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الحجــرات: ١٧]. ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

٤ ـ نعمة الأخوة والمحبة:

﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمــران: ١٠٣]، ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

QaradawiBooks.com

٥ ـ نعمة النصر والتمكين:

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٦]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

٦ ـ نعمة الكثرة:

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ كُنتُمۡ قَلِيلٗا فَكَثَّرَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٨٦].

٧ ـ نعمة الانتقام من الظالمين:

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

٨ ـ نعمة النجاة من الأعداء:

﴿فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

معرفة قدر النعم:

هذه نِعَمُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى العامَّة والخاصَّة، فعلى الإنسان أنْ يعرف نعم الله في كل ذرة من الذرات.. في كل شيء حوله.

لو نظرت إلى نفسك.. إلى جسدك، تجد أنَّك تحمل من النِّعَم ما لا يعد ولا يحصى. لو أنَّ إنسانًا قال لك: بعني إحدى عينيك وأعطيك مائة ألف، أو خمسمائة ألف، أو مليونًا، أو مليونين، أو ثلاثة أو أربعة، أو أكثر، هل تبيع إحدى عينيك ببعض الملايين؟ هل تبيع العينين بعدة ملايين؟

QaradawiBooks.com

عيناك وحدهما تساويان ملايين، فكيف بسمعك وشمِّك، وحواسك كلها، يديك، رجليك، كل عضو من أعضائك كم يساوي؟ الإنسان إذا أصيب في كليته ما يجري عليه؟ كم يناله من الأذى بسبب الغسيل والكلية المزروعة! الله ﷻ أعطاك بدل الكلية كليتين، احتياطٌ وتوفيرٌ من أجلك، بل يستطيع الإنسان أن يعيش بسُدس كلية.

كم ـ إذن ـ قيمة هذه الأجهزة والأعضاء التي تملكها؟ بكم مليونًا تقدرها؟ أنت تحمل ملايين وأنت لا تدري قيمتها، وتظن أنه ليس عندك نعمة من الله ﷻ. وكثير من الناس يشكون، ومهما أوتوا لا يشبعون ولا يشكرون، كجهنم يقال لها: هل امتلأت؟ وتقول: هل من مزيد؟

أول ما ينبغي أنْ تعرفه هنا: أن تعرف قيمة النعم في داخلك، التي تحيط بك من كل جانب، عن يمين وشمال، ومن فوق ومن تحت، ومن بين يديك ومن خلفك. ينبغي أن تعرف أحجام هذه النعم ومقاديرها ـ ولا نقول: أعدادها فقط ـ وتعرف أنَّها من الله تبارك وتعالى، هو الذي أعطى، هو المعطي والمعطي وحده.

إذا خدمك مخلوق مثلَك أو أسدى إليك معروفًا، فاشكره، هذا مشروع: «**لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس**»[1]. ولكن اشكر من وفَّق هذا الإنسان ويَسَّره ليؤدي لك هذه الخدمة، أو يُسْدِيَ إليك هذا المعروف. لماذا تنسى صاحب الفضل الأول؟! الله ﷻ.

ينبغي أن تعترف بنعمة الله، وتعترف بفضل المنعم، وتفرح بما آتاك الله ﷻ.

---

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصححه، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

شكر القلب هو رُوح الشكر:

فأول الشكر: علم، بأنْ يعلم أنَّ الله تعالى هو المنعم بكل هذه النعم التي يتقلَّب فيها الإنسان، وإن جاء بعضها بواسطة بعض المخلوقين، وهذا العلم محله: القلب.

وقد فصَّل الإمام أبو حامد الغزالي في إحيائه معنى العلم في مقام الشكر فقال: «هو علم بثلاثة أمور:

١ ـ بعين النعمة.

٢ ـ ووجه كونها نعمة في حقه.

٣ ـ وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الإنعام، ويصدر الإنعام منه عليه.

فإنه لا بدَّ من نعمة، ومنعِم، ومنعَم عليه، تصل إليه النعمة من المنعم بقصد وإرادة، فهذه الأمور لا بدَّ من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى، فأما في حق الله تعالى، فلا يتم إلَّا بأن يعرف أنَّ النعم كلها من الله، وهو المنعم، والوسائط مسخَّرُون من جهته»[1]. وهو معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. فهو واهب كل نعمة، ومصدر كل منة، وأصل كل خير، فالخير كله بيديه، والشر ليس إليه.

«وقال بعض أهل العلم: كل نعمة يمكن شكرها إلَّا نعمة الله تعالى، فإن شكر نعمته نعمة منه.

فيحتاج العبد أن يشكر الثاني كشكره الأول، وكذلك الحال في الثالث والرابع، وهذا يؤدي إلى ما لا يتناهى.

---

(١) إحياء علوم الدين (٨٢/٤).

QaradawiBooks.com

ولذلك قال موسى عليه السلام: اللهمَّ أمرتني بالشكر على نعمتك، وشكري إيَّاك نعمة من نعمك»[١].

وقد نظم بعض الشعراء[٢] هذا المعنى شعرًا، فقال:

لك الحمد مولانا على كل نعمة ... ومن جملة النعماء قولي: لك الحمدُ
إذا كان شكري نعمةَ الله نعمةً ... عليَّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلَّا بفضله ... وإن طالت الآماد واتسع العمر؟!
إذا مسَّ بالسراء عمَّ سُرُورُها ... وإن مسَّ بالضَّرَاءِ أعقبها الأجر
وما منهما إلَّا له فيه منَّةٌ ... تضيق بها الأوهامُ والبَرُّ والبَحْرُ

مهما قلتَ لن تستطيع أن توفيَ الله تعالى حقَّه من الشكر؛ لأنَّك إذا شكرتَ الله فهذه نعمة جديدة تحتاج شكرًا جديدًا، فلن ينتهي الشكر أبدًا، لن تستطيع أن تعطي الله تعالى حقَّه من الشكر، وقد رُوِيَ عن داود عليه السلام أنه قال: كيف أُحصي نعمتَك وأنا نعمة كلِّي؟[٣]

وقيل: غاية شكر الله تعالى الاعتراف بالعجز عن الشكر. وروي أن موسى عليه السلام قال: إلٰهي كيف أشكرك، وأصغر نعمة وضعتها عندي من نعمك لا يجازي بها عملي كله. قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، الآن شكرتني[٤].

---

(١) انظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة صـ ١٩٩، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م، والأثر سبق تخريجه.

(٢) هو محمود الوراق. كما في «الفاضل» للمبرد صـ ٩٥، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٤٢١هـ.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٥/٩٦).

(٤) رواه أحمد في الزهد (٣٤٩)، وابن أبي الدنيا في الشكر (٦).

QaradawiBooks.com

شكر اللسان:

الاعتراف بفضل الله ﷻ هذا هو شكر القلب. ثم يأتي عمل اللسان، فلسان المرء يعرب عمَّا في قلبه، كما قال الشاعر:

إنَّ الكلام لفي الفؤاد وإنَّما جعل اللسان على الفؤاد دليلًا(١)

فكلام اللسان يترجم ما في القلب ويظهره؛ فإذا امتلأ القلب شكرًا لله تعالى لهج اللسان بشكره والثناء عليه سبحانه بما هو أهله، وآية ذلك أن يقول دائمًا: الحمد لله.

وممَّا توارثه المسلمون على مرِّ العصور أنَّ المسلم إذا سُئل عن حاله يقول: الحمد لله! مهما يكن ما هو فيه. هذا من مواريثنا ومن قيمنا، فالمسلم دائمًا يستشعر بقلبه ويقول بلسانه: الحمد لله على كل حال.

وكان النبي ﷺ إذا رأى ما يحبُّ قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات**»، وإذا رأى ما يكره قال: «**الحمد لله على كل حال**»(٢). أي: إذا كان الأمر يكرهه يقول: الحمد لله. لذلك نقول: الحمدُ لله، الذي لا يُحمد على مكروه سواه.

ربُّنا وحده هو الذي يُحمد على المكروه، لأنَّ المكروه قد يكون وراءه خير وأنت لا تدري، ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

---

(١) هو الأخطل، كما في الظرف والظرفاء صـ ٨، تحقيق كمال مصطفى، نشر مكتبة الخانجي، مصر، ط ٢، ١٣٧١هـ - ١٩٥٣م.

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٨٠٣)، والحاكم في الدعاء (٤٩٩/١) وصحح إسناده، وسكت عنه الذهبي، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٢٦٥)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وهذا عروة بن الزبير، قُطعت رجله، فقال: اللهمَّ لك الحمد، كان لي أطرافٌ أربعة، فأخذتَ واحدًا، فلئن كنتَ قد أخذتَ فقد أبقيت، وإن كنتَ قد ابتليتَ، فلطالما عافيت، فلك الحمد على ما أخذتَ، وعلى ما عافيت. ومات ولده محمد، فجاء المعزُّون يعزُّونه فقال: الحمد لله، كانوا سبعة، فأخذت منهم واحدًا وأبقيتَ ستَّة، فلئن كنتَ قد ابتليتَ، فلطالما عافيت، ولئن كنتَ قد أخذتَ فلطالما أعطيتَ(١).

ورُبَّ ضارة نافعة، وكم من منحةٍ في طيِّ محنة. فقل: الحمد الله دائمًا.

وكما يقول ابن عطاء الله السكندري: «متى أعطاك أشهدك برَّه، ومتى منعك أشهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرِّف إليك، ومقبل بوجود لطفه عليك»(٢). إما أن يُشهدك بره، وإما أن يُشهدك قهره، فتتعرَّف على البرِّ الرحيم، أو تتعرَّف على القهار العظيم.

حَمْد الله في كل حال:

على المسلم أن يحمد الله بلسانه، وقد جاء في الحديث: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**»(٣).

الله ﷻ بدأ كتابه بالحمد، فأول آية في القرآن بعد البسملة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وجعل (كلمة الحمد) مفتتح كلام أهل الجنة، فعندما يدخل أهل الجنةِ الجنةَ، يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ

(١) سبق تخريجه صـ٨٨.

(٢) الحكمة الثالثة والتسعون من الحكم العطائية صـ ٦٢.

(٣) رواه مسلم في الطهارة (٢٢٣)، وأحمد (٢٢٩٠٢)، عن أبي مالك الأشعري.

QaradawiBooks.com

هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر: ٧٤]. كما جعلها آخر دعواهم: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

وقد علَّمنا محمد رسـول الله ﷺ، أن يكون حمد الله وشكره ملازمًا للمسلم في كل شؤونه، فإذا تناول طعامه قال في ختام الطعام: «**الحمد لله الذي أطعم من الطعام**»(١).

«**اللهمَّ أطعمتَ وأسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ وأحييتَ، فلك الحمد على ما أعطيت**»(٢).

«**الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حول منِّي، ولا قوَّة**»(٣).

«**الحمدُ لله الذي أطعمَ وسقى، وسوَّغه وجعل له مخْرجًا**»(٤).

وإذا شرب الماء القراح قال: «**الحمد لله الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا**»(٥).

---

(١) رواه النسائي في الكبرى كتاب عمل اليوم والليلة (١٠٠٦٠)، وابن حبان في الأطعمة (٥٢١٩)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. والحاكم في الدعاء (٤٦/١)، وصحّحه على شرط مسلم، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (١٦٥٩٥) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والنسائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٧١)، عن رجل خدم النبي ﷺ.

(٣) رواه أحمد (١٥٦٣٢) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٨) وقال: حسن غريب. وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٢٣/١)، عن معاذ بن أنس.

(٤) رواه أبو داود في الأطعمة (٣٨٥١)، والنسائي في الكبرى في الأشربة المحظورة (٦٨٦٧)، وابن حبان في الأطعمة (٥٢٢٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الصحيح. وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧٠٩ و٢٠٦١)، عن أبي أيوب الأنصاري.

(٥) رواه الطبراني في الدعاء (٨٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٧/٨)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٢٠٢)، عن أبي جعفر مرسلًا.

QaradawiBooks.com

وإذا اكتسى ثوبًا أو عمامة أو نحو ذلك قال: «**الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوَّة**»[(١)]، «**اللهمَّ إنِّي أسألك من خيره، وخير ما هو له**»[(٢)].

وإذا أوى إلى فراشه لينام يقول: «**الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافي له ولا مؤوي**»[(٣)].

وإذا استيقظ من نومه قال: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»[(٤)].

ويقول: «**الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليّ رُوحي، وأذن لي بذكره**»[(٥)].

وإذا قضى حاجته وخرج من الخلاء قال: «**الحمد لله الذي أذهب عنِّي الأذى وعافاني**»[(٦)].

---

(١) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (١٢٢/١)، والألباني في صحيح الجامع (٦٠٨٦)، عن معاذ بن أنس.

(٢) رواه أحمد (١١٢٤٨)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود (٤٠٢٠)، والحاكم (١٩٢/٤)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، كلاهما في اللباس، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٤)، عن أبي سعيد.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٥)، وأحمد (١٢٥٥٢)، عن أنس.

(٤) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٥)، عن أبي ذر.

(٥) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٠١)، وقال: حسن. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٦٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٩)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٨٢٥)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (٢٢)، مرفوعًا. ورواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٨٢٧)، وابن أبي شيبة في الطهارات (١٠)، موقوفًا عن أبي ذر، وحسَّن الموقوف ابن حجر في نتائج الأفكار (٢١٦/١).

QaradawiBooks.com

وإذا رأى مبتلى في جسمه أو حواسه قال: «**الحمد لله الذي عافانا ممَّا ابتلى به كثيرًا من خلقه**»(١).

وإذا تمَّ له أمر على ما كان يبغي ويريد قال: «**الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات**»(٢).

وإذا خاب له رجاء أو حدث له ما يكره بطبيعته البشرية قال: «**الحمد لله على كل حال**»(٣).

وإذا استقبل وجه الصباح قال: «**اللهمَّ ما أَصْبَحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر**»(٤).

«**أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لا شـريك له، لا إلٰه إلَّا هو، وإليه النشور**»(٥).

وإذا أظلَّه المساء قال مثل ما قال في الصباح.

وفي صلاته إذا رفع رأسه من الركوع يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد**»(٦).

---

(١) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٣٢)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه. والبزار (٩١٠٦)، والطبراني في الدعاء (٧٩٩)، كلهم بلفظ: «**الحمد لله الذي عافاني ممَّا ابتلاك به، وفضَّلني على كثير ممَّن خلق تفضيلًا**». وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٥)، عن أبي هريرة.

(٢) سبق تخريجه صـ١٥١.

(٣) جزء من الحديث السابق.

(٤) رواه أبو داود في الأدب (٥٠٧٣)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٧٥٠)، والبيهقي في الشعب (٤٠٥٩)، وحسَّنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٢/٣٨٠)، عن عبد الله بن غنَّام.

(٥) رواه البزار (٨٦٨٥)، وجوَّد إسناده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٩٤)، وحسَّن إسناده ابن حجر في مختصر زوائد البزار (٢/٨٢٣)، عن أبي هريرة.

(٦) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٦)، وأحمد (١٩١٠٤)، عن عبد الله بن أبي أوفى.

QaradawiBooks.com

وإذا قام من نومه وتهيأ لقيام ليلته قـال: «**اللهمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت قيوم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ربُّ السـماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت الحق، ووعدك الحق، وقولـك الحق، ولقاؤك حق، والجنة حق، والنار حـق، والنبيُّون حق، ومحمد حق، والسـاعة حق، اللهم لك أسـلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليـك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدَّمت وما أخَّرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت إلٰهي لا إلٰه إلَّا أنت**»[(١)].

وإذا نصره الله على عدوه قال: «**الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده**»[(٢)].

وكان ﷺ يبدأ خطبه وكل أمر ذي بال بالحمد لله[(٣)].

استخدام نعم الله في طاعته:

ثم بعد الشكر بالقلب والشكر باللسان يأتي الشكر بكيان الإنسان كله، بجوارحه وأركانه وبدنه. عليه أن يستعمل بدنه، ويستعمل جوارحه في طاعة الله، ويسـتخدم نعـم الله تعالى فـي طاعته والقيـام بحقه، ولا يستخدم نعمه في معاصيه، وقد كان يقال: الشكر ترك المعصية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التهجد (١١٢٠) ومسـلم في صلاة المسافرين (٧٦٩)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٨٥)، ومسلم في الحج (١٣٤٤)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (٨٧١٢) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وابن ماجه في النكاح (١٨٩٤)، والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٢٥٥)، وصحَّح إسـنادَه الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٨٦٩٧) عن أبي هريرة بلفظ: «كل كلام، أو أمر ذي بال لا يفتح بذكر الله، فهو أبتر ـ أو قال: أقطع».

QaradawiBooks.com

لا يجـوز أن يُنعم الله تعالى عليـكَ بنعمة، فتسـتخدم نعمة الله في معصية الله.

الله آتاك مالًا، فلا يجوز أنْ تسـتخدم هذا المال فيما يغضب الله، في فعل الفجور، وشـرب الخمور، وهتك السـتور، والذهاب هنا وهناك، حيث مسارح المعاصي والكبائر في بلاد الكفر وغيرها.

آتاك الله العقل، فلا تسـتخدم عقلك في إيذاء الناس، ولا في طريق الشر، إنَّما آتاك الله العقل، وميَّزك به على سائر الحيوانات، لتفكِّر به فيما ينفعك في دينك ودنياك، وفيما ينفع الناس من حولك.

آتاك الله المنصب، فلا تستخدم نعمة المنصب في اكتساب المال الحرام، وفي أخذ الرشا، لتكسـب أكبر قدر ممكن ممَّا حرم الله ﷻ مستغلًّا منصبك.

آتاك الله السيارة التي قرَّبت البعيد، ولم تصنع فيها مسمارًا ـ للأسف ـ فاستخدمها في طاعة الله، لا تستخدمها في الذهاب إلى حيث حرَّم الله.

أُعطيت سـفينة، أو يختًا أو قاربًا، فلا تسـتخدمها مع أصحابك في الذهاب إلى نزهات تُستحل فيها الحرمات، وترتكب فيها الموبقات.

أعطاك الله هذا التلفزيون، فلا تستخدمه إلَّا في طاعة الله، لا تستخدمه في الشـر ولا في المعصية، اسـتخدمه فـي المباحـات والترفيهات، لا تستخدمه كما يفعل الناس الآن، الذين يركِّبون الأطباق ـ أو ما يسمونه: (الدش) وهذه الأشـياء ـ ليجلبـوا القنوات من أوروبـا وغيرها، حيث تعرض المشاهد الفاضحة، والمناظر التي يندى من جرَّائها الجبين، ولا يستحي الناس ـ وعندهم الزوجات والبنات والشبان والأولاد الصغار ـ

QaradawiBooks.com

أنْ يجلبوا هذه المحطات والقنوات التي تروِّج الفســاد، وتنفِّق الباطل، وتُشيع الفاحشة، وتذيع الانحلال.

اشكروا نعمة الله في الهواتف، فكم قرَّبت المسافات! بل كم قرَّبت الدنيا كلَّها بعضَها من بعض، فتســتطيع وأنت في بيتك أنْ تكلِّم العالم في المشرق أو المغرب، لا تستخدموها في معاكســة الفتيات والنساء، وفي المعاصي التي تسخط الله عَزَّوَجَلَّ.

كم من أناس قلبوا نعمة الله إلى أدوات لمعصية الله، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]!

وفي كل مدة من الزمن تزداد وســائل التواصل تطورًا، فيزيد البعيدُ قربًا، وتزداد الصورة وضوحًا، ويبدأ الناس يكلِّم بعضهم بعضًا من أقرب قارة إلى أبعد قارة، فيسمع الشخصَ، وربما يرى صورته وأهله وأولاده، وربما يعرف تفاصيل حياته بالتليفون المحمول في يده.

وصار الهاتف الجوال يســتعمل في ســماع الأخبار وقــراءة القرآن واستماع الأذان، واســتماع خطب الجمعة، والخطب السياسية والدينية والعلمية، فيرى فيه الإنســان ما لم يكن يحلم به أبدًا، وتشــتد عجائبه، ويزداد كل يوم مرونة وسلاسة.

إنَّ الخطر كل الخطر: أنْ يســتخدم الناس نِعم الله في معصية الله، وبذلك يكفــرون بالنعمة، فتزول عنهم بغتــة أو بالتدريج من حيث لا يشعرون.

بل على المؤمن الذي يستشــعر نعم الله وفضلــه عليه أن يقابل النعمــة بمزيد من العمــل والطاعة، كمــا قال الله تعالــى لآل داود:

﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ [سبأ: ١٣]. ولمَّا تعجبت عائشة من شدة تعبُّد النبي ﷺ وبكائه، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال لها: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا**»(١).

قال الغزالي في «المقصد الأسنى»: «العبد يُتصوَّر أن يكون شاكرًا في حق عبدٍ آخر، مرة بالثناء عليه بإحسانه إليه، وأخرى بمجازاته بأكثر ممَّا صنعه إليه، وذلك من الخصال الحميدة، قال رسول الله ﷺ: «**من لم يشكر الناس لم يشكر الله**»(٢).

وأما شكره لله عز وجل، فلا يكون إلَّا بنوع من المجاز والتوسع، فإنَّه إنْ أثنى، فثناؤه قاصر؛ لأنَّه لا يُحصي ثناءً عليه، وإنْ أطاع، فطاعته نعمة أخرى من الله عليه، بل عَيْنُ شكرِه نعمةٌ أخرى، وراء النعمة المشكورة، وإنَّما أحسنُ وجوه الشكرِ لنعم الله عز وجل: أن لا يستعملها في معاصيه، بل في طاعته، وذلك أيضًا بتوفيق الله وتيسيره في كون العبد شاكرًا لربه»(٣).

كيف نحفظ النعم وكيف تزول؟

إنَّ الله قد وضع لنا قانونًا: بالشكر تُحفظ النعمة وتزيد وتنمو، وبالكفر ـ كفر النعمة ـ تزول ولا تبقى، يقول الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) سبق تخريجه صـ١٢٢.

(٢) رواه أحمد (١١٢٨٠) وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٥٥) وحسنه، عن أبي سعيد الخدري.

(٣) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى صـ١٠٦، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر الجفان والجابي، قبرص، ط١، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

QaradawiBooks.com

والله ﷻ يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾، أزيد النِّعم وَأُوسِّعها عليكم وأُدرُّها، فتستمرُّ هذه النِّعم، وتزداد في المبنى والمعنى، فهذا هو القانون في الشقِّ الأول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

واللام هنا في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ مُوطِّئة للقسم ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾، كأنَّ الله تعالى يقسم ويُؤكِّد على أنَّ هذا القانون الإلٰهي قانون لا يُخْرَم: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾.

قال الفضيل: من عرف نعمة الله بقلبه، وحمده بلسانه، لم يستتمَّ ذلك حتى يرى الزيادة[1].

﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ بنعمتي ولم تؤدُّوا حقَّها، ووضعتموها في غير مَوْضعها، وجعلتموها في الإفساد بدل الإصلاح، وفي الشرِّ بدل الخير، وفي إبطال الحقِّ وإحقاق الباطل، قلبتم النِّعم إلى أدوات في يد إبليس، بَدَلَ أن تكون وسائل يرضى عن آثارها الرحمٰن، أصبحت وسائل يرضى عنها الشيطان.

جزاء كفران النعم:

فإذا لم يشكر الناس الله، ونسوا أنَّه المنعم، وأنَّه صاحب النعم، وكفروا بأنعُم الله، وجرَوا وراء الشهوات، وهاموا في أودية الضلال، ففسدت ضمائرهم، وخربت عقولهم، وضلَّت أعمالهم، وانحلَّت روابطهم، وانعكس ذلك كلُّه على حياتهم المادية والاجتماعية، فإذا هم قد حُرموا الرخاء والسَّعة، وحُرموا الأمن والطمأنينة، كما قال الله تعالى:

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر (٥٦).

QaradawiBooks.com

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرۡيَةً كَانَتۡ ءَامِنَةً مُّطۡمَئِنَّةً يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢].

ومن الأمثلة التي ضربها القرآن هنا قصة سبأ في اليمن: ﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ۞ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ۞ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٧].

ذكر الله لنا في القرآن الكريم قصة سبأ لتكون مشهدًا معروضًا أمام أنظار الناس، يستخلصوا منه العبرة والموعظة الحسنة.

ففي قصة سبأ وأهل سبأ، وقد أنعم الله عليهم بأرض طيبة يقول الله سبحانه، لكنَّهم لم يقوموا بحقِّ النعمة، بل أعرضوا، ﴿ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ ﴾ [سبأ: ١٦] لماذا؟ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾ [سبأ: ١٧].

وفي سورة الكهف يقصُّ علينا القرآن قصة صاحب الجنتين الذي كفر بالذي خلقه من تراب، ثم من نطفة، ثم سوَّاه رجلًا، وأعطاه جنَّتين من أعناب محفوفتين بنخلٍ، وجعل الله له بينهما زرعًا، ﴿ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ﴾ [الكهف: ٣٣]، وبدل أن يذكر نعمة الله عليه، إذا به يفخر على صاحبه المؤمن، منتفخًا بثروته، مختالًا بجنَّته، قائلًا: ﴿ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ۞ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ﴾ [الكهف: ٣٤ ـ ٣٦].

QaradawiBooks.com

وكانت نتيجة غروره وكفره بالله وبنعمه أن احترقت جنَّته: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ۝ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا﴾ [الكهف: ٤٢، ٤٣].

وهذا قارون، الذي آتاه الله من الكنوز ما إنَّ مفاتحه لتنوء بالعُصبة أولي القوة، بغى على قومه، واغترَّ بماله، وعزا فضل ما هو فيه من النعمة والغنى إلى نفسه، ونسيَ فضلَ ربِّه عليه، قال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨]. فخسف الله به وبداره الأرض.

وقصَّت لنا السُّنَّة قصة الأعمى والأبرص والأقرع، وما ابتُلي به كل واحد منهم من مرض، ثم ما أنعم الله به عليهم من شفاءٍ ومالٍ إلى حين، لينظر كيف يعملون، فمَن شكر نعمة الله عليه، وأحسن كما أحسن الله إليه، بقيتْ نعمته، ومَن بخل وجحد نعمة الله عليه، وقال: «ورثتُ هذا المال كابرًا عن كابر». عاد إلى ما كان به من البلاء[1].

إنَّ الله لا يُنزل نقمه على الناس ابتداء، لا يُنزلها إلَّا إذا انحرفوا عن الصراط.. إلَّا إذا كفروا بالنعمة.. إلَّا إذا لم يعرفوا قدر النعمة وقدر مُنعِمها، وعطَّلوا خيرها عن الخلق، فخرَّبوه أو أفسدوه، ولم ينفعوا الناس بما أودع الله فيها، فلا بدَّ أن يفضح سرَّهم، ويصبح خيرها عليهم شرًّا، ونفعها عليهم ضرًّا.

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه الذي رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٤)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

شكر سليمان بن داود عليه السلام:

وفي مقابل هذه الصــور التي قصَّها القرآن وقصَّتها السُّــنَّة عمَّن جحد نعمة الله وأنكر فضله، فعاقب الله أصحابها بعذابه الشديد، يذكر القرآن لنا نماذج عليا من الشاكرين، الذين نسبوا فضل ما هم فيه من النعمة لمنعمها، بالقلب والجنان قبل النطق باللسان، من ذلك ما قصَّه القرآن من قصة الملك النبي الشــاكر سليمان بن داود عليه السلام، آتاه الله ملكًا لا ينبغي لأحد من بعــده، وعلَّمه منطق الطير، وآتاه الله من كل شيء، فشكر نعمة الله عليه، وقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل: ١٥]. ولمَّــا تكلمت النملة وفهم كلامها، تبسَّــم ضاحكًا من قولها، ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وحينما أرســلت ملكة سبأ له بالهدية، لتنظر بِمَ يرجع المرسلون، ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل: ٣٦].

وحينما جاءه الذي عنده علم من الكتاب بعرشها، قبل أنْ يرتدَّ إليه طرفه، ورآه مستقرًّا عنده ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

أثر الشكر في الدنيا والآخرة:

إذا شكرنا الله فمصلحة الشكر عائدة إلينا في الدنيا قبل الآخرة:

في الدنيا: حفظ النعمة وزيادتها، كما قال الشاعر:

QaradawiBooks.com

إذا كنت في نعمة فارعَها فإن المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإله فشكر الإله يزيل النِّقَم(١)

وممَّا يروى عن علي رضي الله عنه: «إنَّ النعمة موصولة بالشكر، والشكر متعلِّق بالمزيد، وهما مقرونان في قَرَن، ولن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد»(٢).

وقيل: النِّعم لا تُستجلب زيادتها ولا تُدفع الآفات عنها إلَّا بالشُّكر.

فالأمان من العذاب، يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

ومن آثار الشُّكر رضا الله تعالى عن عبده، كما قال النبي ﷺ: «**إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكْلة فيحمده عليها، أو يشرب الشربة فيحمده عليها**»(٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوَّة، غفر له ما تقدم من ذنبه**»(٤).

والرضا أعظم وأجل من كل نعيم، قال تعالى بعد أن ذكر نعيم أهل الجنة: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢].

فمن أراد أن يكون ممَّن رضي الله عنهم، فليحمد الله تعالى ويشكره

---

(١) ذكره الماوردي من غير نسبة في أدب الدنيا والدين صـ ٢٤٥.
(٢) ذكره ابن أبي الدنيا في الشكر (١٨).
(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٣٤)، وأحمد (١١٩٧٣)، عن أنس بن مالك.
(٤) سبق تخريجه صـ١٥٣.

QaradawiBooks.com

شـكرًا يظهر على جوارحه وتصرفاتـه، ليحظى بالمزيـد من فضل الله وعطائه ومغفرته ورضاه، وهذه سعادة الدنيا والآخرة.

وعـن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسـلم أنَّـه قال: إنَّـه ليكون في المجلس الرجل الواحـد يحمد الله، فتنقضي لأهـل ذلك المجلس حوائجهم كلهم(١).

وقد أوقف الله سبحانه الجزاء على المشـيئة كثيرًا، وأطلق ذلك في الشُّـكر. فقال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وقال: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

وقال محمد بن إسحاق الواسطي:

حافظْ على الشُّكْرِ كي تستجزلَ القَسْما — من ضيَّع الشُّكْر لم يستكمِلِ النِّعَمَا
الشـكر لله كنـز لا نفـاد لـه — من يلزم الشكر لم يكسب به ندما(٢)

شكر الإنسان لمن يُقدِّم إليه معروفًا:

ومن الآداب التي حثَّ عليها الإسلام شُكر الإنسان أخاه الإنسان إذا قدم إليه معروفًا، أو أسدى إليه خدمة، فهذا من شكر الله تبارك وتعالى. ولذلك قال النبي ﷺ: «**لا يشكر الله من لا يشكر الناس**»(٣).

وقـد قـال سبحانه وتعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمـان: ١٤]. فوالداك لهما فضل، ولهما حق بعد الله تبارك وتعالى، فقرن الله شكرهما بشكره، وهذا دليل على أنَّ شكر العباد مطلوب.

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الشكر (١٤٦).
(٢) انظر: روضة العقلاء لابن حبان البُستي صـ ٢٦٣.
(٣) سبق تخريجه صـ١٥٩.

QaradawiBooks.com

قال الشاعر:

ومن يشكر المخلوقَ يشكر لربه ... ومن يكفر المخلوق فهْو كفورُ[١]

ومن الشكر أنْ يحسن إلى من أحسن إليه، وأنْ يكافئ من أسدى إليه نصحًا أو بذل له معروفًا، قال النبي ﷺ: «**من صُنع إليه معروف فليجزِه، فإن لم يجد ما يجزيه، فليُثن عليه، فإنه إذا أثنى فقد شكره، وإنْ كتمه فقد كفره**»[٢].

وأقل ما يشكر به الإنسانُ من قَدَّم إليه معروفًا، إذا لم يستطع أن يكافئه بالمثل، أن يدعوَ له ويثني عليه، ويقول: جزاك الله خيرًا.

وقد جاء في الحديث: «**من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له، حتى تعلموا أن قد كافأتموه**»[٣].

وقال ﷺ: «**من صُنع إليه معروفٌ فقال لصاحبه: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء**»[٤].

---

(١) هو منصور بن محمد الكريزي، كما في روضة العقلاء صـ ٢٦٣.

(٢) رواه أبو داود في الأدب (٤٨١٣) بنحوه، والترمذي في البر والصلة (٢٠٣٤) وقال: حسن غريب. والبخاري في الأدب المفرد (٢١٥)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٩٦)، عن جابر.

(٣) رواه أحمد (٥٣٦٥) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الزكاة (١٦٧٢)، والحاكم في الزكاة (٤١٢/١) وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٥٤)، عن ابن عمر.

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٣٥)، وقال: حسن جيد غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (٩٩٣٧)، وابن حبان في الزكاة (٣٤١٣)، وقال الأرناؤوط: إسناده قويٌّ. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨)، عن أسامة بن زيد.

QaradawiBooks.com

كلام الإمام ابن القيم عن الفرق بين الحمد والشكر:

قال ابن القيم في «مدارج السالكين»: «تكلم الناس في الفرق بين «الحمد» و«الشكر» أيهما أعلى وأفضل؟ وفي الحديث: «**الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره**»(١).

والفرق بينهما: أن «الشكر» أعم من جهة أنواعه وأسبابه، وأخص من جهة متعلقاته. و«الحمد» أعم من جهة المتعلقات، وأخص من جهة الأسباب.

ومعنى هذا: أن الشكر يكون: بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا. ومتعلَّقه: النِّعَم، دون الأوصاف الذاتية، فلا يقال: شكرنا الله على حياته وسمعه وبصره وعلمه. وهو المحمود عليها، كما هو محمود على إحسانه وعدله.

والشكر يكون على الإحسان والنِّعَم، فكل ما يتعلَّق به الشكر يتعلَّق به الحمد من غير عكس، وكل ما يقع به الحمد يقع به الشكر من غير عكس. فإنَّ الشكر يقع بالجوارح، والحمد يقع بالقلب واللسان.

قوله: «ثم قبول النعمة».

قبولها: هو تلقِّيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة إليها، وأنَّ وصولها إليه بغير استحقاق منه، ولا بذل ثمن، بل يرى نفسه فيها كالطفيلي(٢). فإنَّ هذا شاهد بقبولها حقيقة.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٤٠٨٥)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٣٧٢)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) قال حمدون القصار: شكر النعمة أَن ترى نفسك فِيهِ طفيليًا (الرسالة القشيرية ٣١٢/١)، تحقيق د. عبد الحليم محمود، ود. محمود بن الشريف، نشر دار المعارف، القاهرة. وقال الزبيدي: أي تضيف النعمة إلى فاعلها، وتبرأ من إضافتها إليك (إتحاف السادة المتقين ٥٤/٩)، نشر مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

قوله: «ثم الثناء بها».

الثناء على المنعم، المتعلق بالنعمة نوعان: عام، وخاص. فالعام: وصفه بالجود والكرم، والبر والإحسان، وسعة العطاء، ونحو ذلك.

والخاص: التحدُّث بنعمته، والإخبار بوصولها إليه من جهته. كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١].

وفي أثر آخر مرفوع: «**من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناسَ لم يشكر الله. والتحدث بنعمة الله شكر، وتركه كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب**»(١).

والقول الثاني: أنَّ التحدث بالنعمة المأمور به في هذه الآية: هو الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته، وتعليم الأمة. قال مجاهد: هي النبوة(٢). قال الزجَّاج: أي بَلِّغ ما أرسلت به، وحدِّث بالنبوة التي آتاك الله(٣). وقال الكلبي: هو القرآن، أمره أن يقرأه(٤).

والصواب: أنَّه يعم النوعين، إذ كل منهما نعمة مأمور بشكرها والتحدث بها، وإظهارُها من شكرها.

---

(١) رواه عبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٨٤٤٩) وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. عن النعمان بن بشير.

(٢) رواه الطبري في جامع البيان في تأويل القرآن (٢٤/ ٤٨٩)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والتراث، مكة المكرمة.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣٤٠/٥) تحقيق عبد الجليل عبده شلبي، نشر عالم الكتب، بيروت ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٤) ذكره البغوي في معالم التنزيل في تفسير القرآن (٢٧٠/٥)، تحقيق عبد الرزاق المهدي، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

ابن القيم ينتقد الهروي في حديثه عن الشكر:

ذكر ابن القيم كلام الشيخ الهروي، وهو يتحدث عن الشكر في منازل السائرين، ويهون من أمره، ويجعله من أصعب السبل، قال: «وهو أيضًا من سُبل العامة».

قال ابن القيم: يا ليت الشيخ صان كتابه عن هذا التعليل، إذ جعل نصف الإسلام والإيمان (يعني الشكر) من أضعف السُّبُل.

بل «الشكر» سبيل رسل الله وأنبيائه صلى الله عليهم وسلَّم أجمعين أخَصِّ خلقه وأقربهم إليه.

ويا عجبًا! أي مقام أرفع من «الشكر» الذي يندرج فيه جميع مقامات الإيمان، حتى المحبة والرضا والتوكل وغيرها؟! فإنَّ «الشكر» لا يصح إلَّا بعد حصولها.

وتالله ليس لخواصِّ أولياء الله وأهل القرب منه سبيل أرفع من «الشكر» ولا أعلى.

ولكنَّ الشيخ وأصحاب الفناءِ كلهم يرون أن فوق هذا مقامًا أجل منه وأعلى؛ لأنَّ «الشكر» عندهم يتضمَّن نوعُ دَعوى، وأنَّه شكر الحق على إنعامه، ففي الشاكر بقية من بقايا رسمه، لم يتخلَّص عنها ويفرغ منها. فلو فني عنها بتحقُّقه أنَّ الحق سبحانه هو الذي شكر نفسه بنفسه، وأنَّ من لم يكن كيف يشكر من لم يزل؟! علم أن الشكر من منازل العامَّة.

ولو أن السلطان كسا عبدًا من عبيده ثوبًا من ثيابه، فأخذ يشكر السلطان على ذلك لعُدَّ مخطئًا مسيئًا للأدب، فإنَّه مدَّعٍ بذلك مكافأة السلطان بشكره، فإنَّ الشكر مكافأة، والعبد أصغر قدرًا من المكافأة.

QaradawiBooks.com

والشــهود للحقيقة يقتضي اتحاد نســبة الأخذ والعطــاء، ورجوعها إلى وصف المعطي وقوته، فالخاصة يســقط عندهم الشــكر بالشهود، وفي حقهم ما هو أعلى منه.

هذا غاية تقرير كلامهم، وكسوتُه أحســن عبارة، لئلا يُتعدى عليهم بسوء التعبير الموجب للتنفير.

ونحن معنا العصمة النافعة؛ أنَّ كل أحــدٍ غير المعصوم ﷺ فمأخوذٌ من قوله ومتروك، وكل سبيل لا يوافق سبيله فمهجور غير مسلوك.

فأما تضمُّن «الشكر» لنوع دعوى، فإن أريد بهذه الدعوى إضافة العبد الفعلَ إلى نفســه، وأنه كان به، وغاب بذلك عن كونه بحولِ الله وقوَّته ومنته على عبده، فلعمر الله هذه علة مؤثِّرة، ودعوى باطلة كاذبة.

وإن أريد: أن شهوده لشكره شهوده لنعمة الله عليه به، وتوفيقه له فيه، وإذنه له به، ومشيئته عليه ومنَّته، فشهد عبوديته وقيامه بها، وكونها بالله، فأي دعوى في هذا؟ وأي علة؟

نعم غايته: أنَّه لا يجامع الفناء، ولا يخوض تيَّارَه، فكان ماذا؟!

فأنتم جعلتم الفنــاء غاية، فأوجب لكم ما أوجــب، وقدَّمتموه على ما قدَّمه الله ورسوله، فتضمن ذلك تقديم ما أخَّر، وتأخير ما قدَّم، وإلغاء ما اعتبر، واعتبار ما ألغى.

ولولا منــة الله على الصادقيــن منكم بتحكيم الرســالة، والتقيُّد بالشرع لكان أمرًا غير هذا، كما جرى لغير واحد من السالكين على هذه الطريق الخَطِرة، فلا إله إلَّا الله، كم فيها من قتيلٍ وسليب وجريح وأسير وطريد!

QaradawiBooks.com

وأما قولكم: «إن الشاكر فيه بقية من بقايا رسمه».

فيقال: إذا كانت هذه البقية محض العبودية ومركبها والحاملة لها، فأي نقص في هذا؟ فإنَّ العبودية لا تقوم بنفسها، وإنَّما تقوم بهذا الرسم، فلا نقص في حمل العبودية عليه، والسير به إلى الله عَزَّوَجَلَّ.

نعم، النقص كلُّ النقص في حمل النفس والشهوة والحظ المخالِف لمراد الربِّ تعالى الديني على هذا الرسم، والسير به إلى النفس.

ولعل العامل على الفناء بهذه المثابة، وهو ملبوس عليه، فالعارف يستقصي التفتيش عن كمائن النفس.

وأما قولكم: «من لم يكن، كيف يشكر من لم يزل؟» فهذا بالشطْح أليق منه بالمعرفة. فإن «من لم يزل» إذا أمر «من لم يكن» بالشكر، ورضيه منه، وأحبَّه، وأثنى عليه به، واستدعاه واقتضاه منه، وأوجب له به المزيد، وأضافه إليه، واشتق منه له الاسم، وأوقع عليه به الحكم، وأخبر أنه غاية رضاه منه. وأمره مع ذلك أن يشهد أن شكره به، وبإذنه ومشيئته وتوفيقه، فهذا شكر من لم يكن لمن لم يزل، وهو محض العبودية.

وأما ضربكم مثل كسوة السلطان لعبده، وأخذه في الشكر له مكافأة: فهذا من أبطل الأمثلة عقلًا ونقلًا وفطرة. وهو الحجاب الذي أوجب لمن قال: «إن شكر المنعم لا يجب عقلًا» ما قال ذلك، حتى زعم أن شكره قبيح عقلًا، ولولا الشرع لما حسن الإقدام عليه. وضرب هذا المثل الذي ضربتموه بعينه. وهذا من القياس الفاسد، المتضمِّن قياس الخالق على المخلوق، وبمثله عُبدت الشمس والقمر والأوثان، إذ قال المشركون: جناب العظيم لا يُهجَم عليه بغير وسائل ووسائط.

QaradawiBooks.com

وسرت هاتان الرقيقتان فيمن فسد من أهل التعبُّد وأهل النظر والبحث. والمعصوم من عصمه الله.

فيقال: الفرق من وجوه كثيرة جدًّا، تفوت الحصر.

منها: أنَّ الملك محتاج فقير إلى من أنعم عليه، لا يقوم مُلكه إلَّا به. فهو محتاج إلى معاوضة بتلك الكسوة - مثلًا - خدمة له، وحفظًا له، وذبًّا عنه، وسعيًا في تحصيل مصالحه، فكسوته له من باب المعاوضة والمعاونة. فإذا أخذ في شكره، فكأنَّه جعل ذلك ثمنًا لنعمته، وليس بثمن لها.

وأما إنعام الربِّ تعالى على عبده، فإحسان إليه، وتفضُّل عليه، ومجرد امتنان، لا لحاجة منه إليه، ولا لمعاوضة، ولا لاستعانة به، ولا ليتكثَّر به من قلة، ولا ليتعزَّز به من ذلَّة، ولا ليقوى به من ضعف، سبحانه وبحمده.

وأمرُه له بالشكر أيضًا إنعامٌ آخر عليه، وإحسان منه إليه، إذ منفعة الشكر ترجع إلى العبد دنيا وآخرة، لا إلى الله، والعبد هو الذي ينتفع بشكره. كما قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠]. فشكر العبد إحسان منه إلى نفسه دنيا وأخرى. فلا يُذمُّ ما أتى به من ذلك، وإن كان لا يحسن مقابلة المنعِم به، ولا يستطيع شكره، فإنَّه إنَّما هو محسن إلى نفسه بالشكر. لا أنَّه مكافئ به لنعم الرب. فالربُّ تعالى لا يستطيع أحد أن يكافئ نعمه أبدًا، ولا أقلها، ولا أدنى نعمة من نعمه. فإنَّه تعالى هو المنعم المتفضِّل، الخالق للشكر والشاكر، وما يُشكر عليه. فلا يستطيع أحد أن يحصي ثناءً عليه، فإنَّه هو المحسن إلى عبده بنعمه، وأحسن إليه بأنْ أوزعه شكرها، فشكره نعمة من الله أنعم بها عليه، تحتاج إلى شكر آخر. وهلمَّ جرًّا.

QaradawiBooks.com

ومن تمام نعمته سبحانه وعظيم برِّه وكرمه وجوده: محبته له على هذا الشكر، ورضاه منه به، وثناؤه عليه به، ومنفعتُه وفائدته مختصة بالعبد، لا تعود منفعته على الله. وهذا غاية الكرم الذي لا كرم فوقه، يُنعم عليك، ثم يوزعك شكر النعمة، ويرضى عنك، ثم يعيد إليك منفعة شكرك، ويجعله سببًا لتوالي نعمه، واتصاله إليك، والزيادة على ذلك منها.

وهذا الوجه وحده يكفي اللبيب ليتنبَّه به على ما بعده.

وأما كون الشهود يُسقط الشكر، فلعمر الله، إنَّه إسقاطٌ لحق المشكور بحظ الشاهد ـ نعم ـ بحظ عظيم متعلِّق بالحق ﷿، لا حظٍّ سُفْلِي، متعلق بالكائنات، ولكن صاحبه قد سار من حرم إلى حرم.

وكان يقع لي هذا القدر منذ أزمان، ولا أتجرَّأ على التصريح به؛ لأنَّ أصحابه يرون من ذكرهم به بعينِ الفَرْق الأول، فلا يُصغون إليه البتة، لا سيما وقد ذاقوا حلاوته ولذته، ورأوا تخبيط أهل الفَرْق الأول، وتلوُّثهم بنفوسهم وعوالمها، وانضاف إلى ذلك: أنْ جعلوه غاية، فتركَّب من هذه الأمور ما تركَّب، وإذا لاحت الحقائق فليقل القائل ما شاء»[1].

* * *

(١) مدارج السالكين (٢/٢٣٧ ـ ٢٤٢).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

المحور الثالث

الفقه وأصوله

(فقه السلوك والأخلاق)

غير مخصصة للطباعة

الخـوف والرجـاء

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه، كما يحب ربُّنا ويرضى، فهو أوَّل من يُحْمَد، وأعظم من يُشْكَر، وأجل من يُسبَّح بحمده، ويُمجَّد بمحامده وآلائه، نحمدك اللهم ونذكرك، ونشكرك ولا نكفرك، ونخلع ونترك من يفجرك، اللهمَّ إيَّاك نعبد، ولك نصلِّي ونسجد، وإليك نسعى ونَحفِد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إنَّ عذابك الجد بالكفار مُلحِق.

ونصلِّي ونسلِّم على صفوة رُسُلك، وخاتم أنبيائك الذي بعثتَه بالهداية والنور والرحمة إلى عبادك، لتُعرِّفهم الحق من الباطل، وتُخرِجهم من الظلمات إلى النُّور، وتَهديهم إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، ورضي الله عن أمَّة نبيِّك الذين هديتهم من ضلالة، وعلَّمتهم من جهالة، ليحملوا رسالة نبيِّهم إلى العالَمين من بعده، ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

QaradawiBooks.com

(أما بعد)

إن صلاح المجتمعات لا يتم إلَّا بصلاح الأفراد، فالبنيان لا يقوم إلَّا على لبنات سليمة، والفرد هو لبنة المجتمع، ولا صلاح للأفراد إلَّا بصلاح أنفسها، فالنفس هي أساس الصلاح الإنساني.

والإنسان ليس هو هذا الهيكل العظمي، وما يكسوه من لحم، وما يجري في عروقه وشعيراته من دم، هذا القالب ليس هو حقيقة الإنسان، إنَّما حقيقة الإنسان في داخله، في تلك الجوهرة الرُّوحانية، في تلك اللطيفة الربَّانية، في ذلك الشيء الذي نسمِّيه الرُّوح، أو النفس، أو القلب، أو الفؤاد، أو العقل، كما قال رسول الله ﷺ: «**ألا وإنَّ في الجسد مُضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب**»(١).

فلا بدَّ للإنسان أن يعمل على تزكية نفسه، وتطهير قلبه، وإصلاح حياته الداخلية، حتى تصح حياته كلها من الخارج وتسلم، على الإنسان أنْ يزكي نفسه، فلا فلاح إلَّا بزكاة تلك الأنفس، ﴿**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا**﴾ [الشمس: ٧ ـ ١٠]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٥].

وهناك معان لا بدَّ للإنسان أن يعرفها ويكتسبها، وهو في طريقه إلى الفلاح الأبدي الذي ينشده، هناك معان نفسيَّة ربانيَّة أخلاقيَّة، ينبغي أنْ يحرص عليها، وأنْ يعَضَّ عليها بالنواجذ، وأنْ يسعى في تحصيلها.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن النعمان بن بشير.

QaradawiBooks.com

وقــد كَتَبْتُ عدة كتب في «فقه تيسـير السـلوك إلـى الله»، وآخر ما نقدِّمه لك أيها الأخ المسلم في هذه السلسلة من الكتب التي تتعلق بالسير إلى الله، وقطْعِ الطريق إليه، وسلوكِ المنهاج الرشيد إلى عبادته الذي خَلَقَنا له، وأمدَّنا بكل ما يلزمنا مــن أدوات، وكل ما نحتاج إليه من مخلوقات وعناصر ولوازم، وبعث لنا الرسـل، وأنزل إلينا الكتب، وختمها بآخر كتاب أنزل إلى آخر نبي مرسل: محمد المنزَّل عليه القرآن العظيـم، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

وتحدثنا إليك في هذه المجموعة من الكتــب المهمة التي تحمل رسالة الإنقاذ لك، وخاتمة الطريق الموصلة لك إلى الجنة، لتلتقي فيها مع إخوانك من أهل الإيمان والتقى، وأعداء الكفر والفسوق والعصيان، كما قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦].

وقد حدَّثناك عــن المراحــل المهمة التــي يجــب أن تقطعها، والعقبات الصعبة التي يجب أنْ تسلكها، مستعينًا بالعلم والاستقامة، والعبادة والإخــلاص، والتوكل والتوبة، والــورع والزهد، والمراقبة

QaradawiBooks.com

والمحاسبة، والصبر والشكر، وأخيرًا الخوف والرجاء، اللذيْن سأحدِّثك عنهما في هذا الكتاب، الذي هو آخر هذه الكتب. أسأل الله أنْ يجعله ختام خير لي ولكل من عاوَنَ وسهَّل في إخراج هذه الكتب، وكل من قرأها أو استفاد منها، أو حاول أنْ يستفيد منها، فاللهمَّ يسِّر له أمره، وأصلح له بها عمله، وافتح بها قلبه وضميره، حتى يصل إليك هاديًا مهديًّا، راضيًا مرضيًّا. ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۝ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ۝ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ۝ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠].

* * *

QaradawiBooks.com

تمهيد

من مقامات الدين العظيمة، ومن منازله الكبيرة، التي يحرص عليها أهل البر والتقوى، ورجال السلوك الأخيار: الرجاء والخوف، أو قل: الرجاء في رحمة الله، والخوف من عذاب الله. وهو ما عبَّر عنه القرآن الكريم بآياته البيِّنات، في سوره المكِّيات والمدنيات، وعبَّرت عنه أحاديث الرسول الصحاح والحسان في دواوين السُّنَّة ومعاجمها ومصنفاتها ومسانيدها وأجزائها.

وهذان المقامان ـ أو هاتان المنزلتان ـ يجب أنْ يسكنا قلب الإنسان المسلم في اتساق وتجاور وتلاصق وتوازن، بحيث يكون لكل منهما قوته وتأثيره، دون أنْ يطغى أحدهما على الآخر.

وهذا هو شأن الثقافة الإسلامية، والتربية الإسلامية، والتشريع الإسلامي، فكلها حريصة على إقامة التوازن في حياة المسلم، إذا أحسن الأخذ عن القرآن بحسن الفهم وصفة العدل، واستطاع أنْ يَفْرِز السُّنَّة الصحيحة والحسنة من غيرها.

وقد هيَّأ الله للقرآن من يحفظه ويحسن حفظه، ومن يقرؤه ويحسن تلاوته، ومن يتعلَّمه ويعلِّمه، ومن يعرفه بقراءاته السبع أو العشر، ومن

QaradawiBooks.com

يحسن تفسيره وتفهيمه للناس، ومن يســتخرج منه الأحكام، ومن بينها الأصول، ومن يقيم القواعد، ومن يقيس، ومن يجمع، ومن يفصل، منذ عهد الصحابة فمن بعدهم من التابعين وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الناس هذا. فما زال للقرآن رجاله وأنصاره إلى أنْ تقوم الساعة.

وقد خدم السُّــنَّة الشــريفة رجال من أهل العلم والحكمة آتاهم الله البصيرة في العقل، والتقــوى في القلب، فحافظوا علــى مصادر الدين طوال العصور، وميَّــزوا الخبيث من الطيب، وجــاء عصرنا بما فيه من إمكانات عظيمة، وقــدرات هائلة، فانتفع بها أهــل العلم، وتفرغوا لها، وقامت الجامعات والجمعيات والمجامع والمدارس وكل الوســائل مع العلماء الكبار والمتوســطين والصغــار ومعاونيهم، وقرَّبوا السُّــنَّة إلى الناس، فعُرف الصحيح، وعُرف الضعيف، وعُرف المرفوض والموضوع، وأصبحت الأمة بمجموع أبنائها قادرة على أنْ تختار لعقيدتها وشريعتها وأخلاقها المنهج الأصوب، والصراط المســتقيم الــذي قال الله فيه في وصايا سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وجاء الحديث النبوي يقول: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»(١).

(١) رواه ابن وضاح في البدع حديــث رقم (١)، والبيهقي في الشــهادات (٢٠٩/١٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٨). عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن العذري. والحديث ذكره الإمام ابن القيم وقوّاه لتعدد طرقه. انظر: مفتاح دار الســعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة لابن القيم (١٦٣/١، ١٦٤) نشر دار الكتب العلمية، بيروت. وكذلك العلامة ابن الوزير الذي استظهر صحته أو حُسْنه، لكثرة طرقه مع ما نقل من تصحيح الإمام أحمد له، والحافظ ابن عبد البر، وترجيح العقيلي لإسناده، مع سعة اطلاعهم وأمانتهم، فهذا يقتضي التمسك به. =

QaradawiBooks.com

قال الله تعالى لرسوله ﷺ يخاطبه في سورة الحجر، فكان في خطابه هاتان الآيتان الجامعتان: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

الخوف والرجاء جناحا السير إلى الله:

لقد بيَّن الله تعالى طريق السير إليه، وما يجب أنْ يكون عليه حال السائر إلى الله، فقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

فقلب السـير إلى الله تعالى والتقرب إليه: الأعمال الصَّالحة مع الإخلاص فيها.

وجناحاه همـا: رجاء رحمـة الله، والخوف من عذابـه. وبذلك يحصل الفرار إلى الله تعالى. قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠].

دعاء الله سبحانه خوفًا وطمعًا:

وقال تعالى في صفة عباده المقرَّبين السابقين بالخيرات: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

= انظر: الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم لابن الوزير (٣٨/١ ـ ٤٣)، نشر دار عالم الفوائد للنشـر والتوزيع. وانظر كلامنا عن هذا الحديث في كتابنا: كيف نتعامل مع السُّنَّة النبوية صـ ٣٦ ـ ٤١، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ٢، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٢م.

QaradawiBooks.com

الله سبحانه شديد العقاب وغفورٌ رحيم:

كما أمر الله عباده أنْ يكونوا على علم يقيني بأنَّ الله تعالى شديد العقاب، وأنَّه غفور رحيم: ﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [المائدة: ٩٨].

إنَّ خوف المؤمن من ربِّه إنَّما هو خوف من قاضٍ عادل أنْ يُنزل به العقوبة على جُرمه، لا خوفٌ من مَلِك غشوم يأخذ البريء بذنب المسيء. إنَّه أشبه بخوف الابن من غضبة أبيه عليه إذا انحرف عن سواء الطريق، وهو مع هذا خوف مشوب بالرجاء أنْ يسامحه أبوه إذا اعتذر له، وأظهر الندم على ما فرط، شأنه شأن المؤمن الذي يخاف الله، ثمَّ يغلبه ما يرجوه من عفو الله، والأمل في سعة رحمته، على سنة أولئك الذين وصفهم القرآن بقوله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة: ١٦].

والقرآن يرشد دائمًا إلى الحدِّ الوسط بين الخوف والرجاء، فلا ينبغي أنْ ينتهي الخوف إلى اليأس من رَوْح الله، كما لا ينبغي أنْ يصل به الرجاء إلى الأمن من مكر الله، ﴿فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩]، كما أنَّه ﴿ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾ [يوسف: ٨٧].

وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم أن ينبِّئ عباده بهذا النبأ العظيم، فقال تعالى: ﴿ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۞ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. فجعل المغفرة والرحمة من أسمائه وصفاته، وجعل العذاب من أفعاله، فلم يقل: «وأنِّي أنا المُعذِّب». لم يصف نفسه بذلك، لأنَّ العذاب أمْر عرضي، الله تعالى يقول: ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٤٧]، ما يريد الله ليعذِّبنا،

QaradawiBooks.com

ولكــن يخوِّفنا به حتَّــى لا نقع في الخطــأ والخطر، فليس من أســمائه المُعذِّب. ولذلك قال ابن تيمية: «جعل المغفرة والرحمة من معاني أسمائه الحسنى، التي يسمِّي بها نفسه، فتكون المغفرة والرحمة من صفاته، وأما العقاب الذي يتَّصل بالعباد فهو مخلوق له، وذلــك هو الأليم، فلم يقل: وأنِّي أنا المعذِّب. ولا في أسمائه الثابتة عن النبي ﷺ اسم المنتقم، وإنَّما جــاء المنتقم فــي القرآن مقيَّــدًا كقولــه: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وجاء معناه مضافًا إلى الله في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٧]، وهذه نكرة في ســياق الإثبات، والنكرة في ســياق الإثبات مطلقة ليس فيها عموم على سبيل الجمع»[(١)].

ويقول ابن القيم: «أســماؤه تعالى منها ما يطلق عليه مفردًا ومقترنًا بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير والسميع والبصير والعزيز والحكيم، وهذا يســوغ أنْ يُدعى به مفردًا ومقترنًا بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم. وأنْ يفرد كلُّ اسم، وكذلك في الثناء عليه والخبر عنه، بما يسوغ لك الإفراد والجمع. ومنها ما لا يطلق عليه بمفرده، بل مقرونًا بمقابله، كالمانع والضار والمنتقم، فلا يجــوز أنْ يفرد هذا عن مقابله، فإنَّه مقرون بالمعطي والنافع والعفُوِّ، فهو المعطي المانع، الضار النافع، المنتقم العفو، المعزُّ المذلُّ؛ لأنَّ الكمال في اقتران كلِّ اسم من هذه بما يقابله؛ لأنَّه يراد به: أنَّه المنفرد بالربوبية، وتدبير الخلق، والتصرُّف فيهم عطاءً ومنعًا، ونفعًا وضرًّا، وعفوًا وانتقامًا.

وأما أنْ يُثنى عليه بمجرَّد المنع والانتقام والإضرار، فلا يسوغ، فهذه الأسماء المزدوجة تجري الأسماء منها مجرى الاسم الواحد الذي يمتنع

(١) مجموع الفتاوى (١٧/٩٤، ٩٥).

QaradawiBooks.com

فصل بعض حروفه عن بعض، فهي وإنْ تعدَّدت، جارية مجرى الاسم الواحد، ولذلك لم تجئ مفردة، ولم تطلق عليه إلَّا مقترنة، فاعلمه.

فلو قلت: يا مذلُّ، يا ضارُّ، يا مانع. وأخبرت بذلك، لم تكن مثنيًا عليه، ولا حامدًا له، حتى تذكر مقابلها»(١).

منهج القرآن في ذكر الوعد والوعيد:

والقرآن الكريم بعد أنْ يذكر الوعيد يذكر الوعد، بعد أن يذكر الترهيب يذكر الترغيب، يذكر الجلال فيقرنه بالجمال، كما في قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠]. وقوله: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]. أي سكنت أصوات الخلائق هيبةً من الرحمٰن جلّ جلاله فلا تسمع إلَّا صوتًا خفيًّا لا يكاد يسمع. فمع ظلال الجلال والخوف والرهبة التي ترسمها الآية إلَّا أنَّ القرآن استخدم اسم من أسماء الجمال وهو الرحمٰن سبحانه. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦]. وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾ [الحديد: ٢٠]، ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦].

والقرآن بعد أن يذكر النار يذكر الجنَّة، بعد ذكر المشهد الهائل الرعيب الرهيب، مشهد الذين برزوا لله جميعًا من الضعفاء والمستكبرين، الذين تبرَّأ بعضهم من بعض، ذكر مشهد الذين آمنوا وعَمِلوا الصَّالحات والذين أُدخلوا الجنة:

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١٦٧/١)، نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

QaradawiBooks.com

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۖ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ [إبراهيم: ٢١ ـ ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۝ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ۝ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ۝ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ۝ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ۝ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ۝ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ۝ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الدخان: ٤٣ ـ ٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وهكذا يقْرِن سبحانه بين آيات الثواب والعذاب، وأهل الجنة وأهل النار، وحال أهل الجنة وحال أهل النار.

لماذا يقرن الله ذكر الوعيد بالوعد والترغيب بالترهيب والجنة بالنار؟!

QaradawiBooks.com

ليُنشِئ في أنفس المؤمنين الحذرَ والأملَ، أو الخوفَ والرجاءَ: ﴿يَحْذَرُ ٱلْآخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وليتكامل هذان المعنيان المتقابلان في أنفس المؤمنين، في نفس كلِّ مؤمن، يكون عنده خوفٌ ورجاءٌ، لا يَغْلب عليه الخوف حتى ييْئس من رَوْح الله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، ولا يغلب عليه الرجاء حتى يأمَن مكرَ الله: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

ولكن يكون بينَ بينَ، راجيًا خائفًا، حَذِرًا آمِلًا: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]، وكما وصف بعض الأنبياء المصطفين الأخيار: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَـٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

هذا هو منهجُ القرآن وأسلوبُ القرآن في التخويف والتأمين، والتحذير والتبشير، والتحريك والتسكين.

يقول الإمام الغزالي في التعليق على قوله تعالى: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ﴾ [قٓ: ٣٣]، وتعليق الخشية باسم الله الرحمٰن: «علَّق الخشية باسم الرحمٰن، دون اسم الجبَّار أو المنتقم والمتكبِّر ونحوه، لتكون الخشية مع ذكر الرحمة، فلا تكون الخشية تُطِير قلبك بمرَّة، فيكون تخويفًا في تأمين، وتحريكًا في تسكين.

كما تقول: أما تخشى الوالدة الرحيمة؟ أما تخاف الوالد الشَّفيق؟ أما تحذر الأمير الكريم؟ والمراد من ذلك: أن يكون الطريق عدلًا، فلا تذهب إلى أمن، ولا قنوط»[1].

(١) منهاج العابدين صـ ٢٥٧.

QaradawiBooks.com

المبالغة في التخويف:

كثير من الناس يبالغـون في قضية التخويـف، خصوصًا بعض الدعاة، يكثرون مـن الترهيبات وإن كانت مـن الأحاديث الضعيفة والأحاديث الموضوعة، والقصص والحكايات، ولقد شكا إليّ بعض الآباء أنَّ ابنته ـ وهي طالبة ـ تقوم من الليل فزعة مذعورة، بسبب أنَّها استمعت إلى شريط يتحدَّث عن عذاب القبر، وما فيه من حيَّات كالأفيال، وعقارب كالبغال، على طريقة بعض الوُعَّاظ المبالغين في التخويف!! وهذا ما ننكره ولا نرضاه، ولا يتقبّله المنهج الوسطي الذي نؤمن به، والذي يدعو إلى التبشير لا التنفير «**بشّروا ولا تنفّروا**»(١).

وحين تقرأ القرآن، تجد أنَّ فيه إشارات عن عذاب القبر، ولكن ليس فيه الحيَّات التي كالأفيال، والعقارب التي كالبغال، تلدغ أحدهم اللدغة، فيحدث كذا وكذا..

وفي سَنَة من السنوات، أرسلت لي إحدى الأخوات، تقول لي: حدِّثنا عن عذاب القبر، فقلتُ: أنا أسير مع القرآن، فإذا جاء مكانه من القرآن تحدَّثنا عنه بما ذكره الله، أما هذه التهويلات المروِّعة لعباد الله، فلستُ من أنصارها، وإنَّما أسير على النهج القرآني، والنهج المحمدي، أهتمُّ بالشيء كما اهتمَّ به القرآن، وأعرض عنه إذا أعرض القرآن، فإذا كان القرآن اهتمَّ به وكرَّره وأكَّده، فأعرف أنَّ هذا شيء مهم في الإسلام، فمبالغات هؤلاء الناس، الذين يخوفون بها الناس، ليست من الإسلام في شيء.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد والسِّيَر (١٧٣٤)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

والمنهج القرآني في الترغيب والترهيب، يذكر الوعد مع الوعيد، والجنّة مع النّار، وموجبات الرجاء مع موجبات الخوف، يقدّم أحدها على الآخر بحسب السياق.

انظر قوله تعالى: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة: ٩٨]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقوله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وقوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞ﴾ [الحديد: ٢٠].

وبهذا يتوازن في نفس المؤمن: الرجاء في رحمة الله، والخوف من عذاب الله.

وهذا ما يجب أنْ يتيقَّظ له الداعية، ويعطي كل قوم ما يحتاجون إليه من الترجية والتخويف، بالقدر الذي يصلحهم، ولا يسرف فيه، فتضيع النتيجة.

أصلح الأمور الاعتدال:

وهذا ما نبَّه إليه الإمام الداعية الوسطي المصلح أبو الفرج بن الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) رحمه الله تعالى، فقال في أحد خواطره في بحث عنوانه: «أصلح الأمور الاعتدال»: «اعلم أنَّ أصلح الأمور الاعتدال في كل شيء، وإذا رأينا أرباب الدنيا قد غلبت آمالهم، وفسدت في الخير أعمالهم، أمرناهم بذكر الموت والقبور والآخرة، فأما إذا كان العالم لا يغيب عن ذكره الموت وأحاديثُ الآخرة تقرأ عليه وتجري على لسانه، فتذكّره

QaradawiBooks.com

الموت زيادة على ذلك لا يفيد إلَّا انقطاعه بالمرة. بل ينبغي لهذا العالم الشـديد الخوف من الله تعالى الكثير الذكر للآخرة: أن يشاغل نفسه عن ذكر الموت ليمتدَّ نَفَسُ أمله قليـلًا، فيصنّف ويعمل أعمال خير، ويقدر على طلب ولد.

فأما إذا لهج بذكر الموت كانت مفسدته عليه أكثر من مصلحته، ألم تسمع أنَّ النبي ﷺ سابق عائشة رضي الله عنها فسـبقته، وسابقها فسبقها فقال ﷺ: «**هذه بتلك**»[١] وكان يمزح ويشـاغل نفسـه؟ فإنَّ مطالعة الحقائق على التحقيق تفسد البدن وتزعج النفس.

وقد رُوِيَ عن أحمد بن حنبل: أنَّه سأل الله تعالى أن يفتح عليه باب الخوف، ففتح عليه، فخاف على عقله! فسأل الله أن يردَّ ذلك عنه. فتأمل هذا الأصل فإنَّه لا بدَّ من مغالطة النفس وفي ذلك صلاحها»[٢].

وقد قال الشاعر:

لـولا التَّعلُّـق بالرَّجـاء تقطَّعت نفْسُ المحـبِّ تحسُّـرًا وتمزُّقَا
لولا الرَّجا يحدو المَطِيَّ لما سَرَتْ بحُمُولها لديارهـم ترجو اللِّقا[٣]

أهمية استشعار الخوف والرجاء معًا في السير إلى الله:

وأنقل هنا ـ أيضًا ـ كلمة للإمام أبي حامد الغزالي بيَّن فيها بوضوح أهمية الترغيب والترهيب ـ أو الترجية والتخويف ـ في الدين، وضرورته

(١) رواه أحمد (٢٤١١٨)، وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيح على شرط الشـيخين. وأبو داود في الجهاد (٢٥٧٨)، وابن ماجـه في النكاح (١٩٧٩)، وابن حبان في السـير (٤٦٩١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٣١)، عن عائشة.

(٢) صيد الخاطر صـ ١٧٢، ١٧٣.

(٣) هو ابن القيم، انظر: مدارج السالكين (٤٣/٢).

QaradawiBooks.com

لسالك الطريق إلى الله تعالى، فقال في كتابه «منهاج العابدين» مخاطبًا كل مُريد لسلوك منهج العبادة والاستقامة:

«ولا يحصل لك السير المستقيم إلَّا باستشعار الخوف والرجاء، وإلزامهما حقَّهُما على حدِّهما.

لزوم الخوف من الله مطلوب:

أمَّا الخوف، فإنَّما يجب التزامه لأمرين:

أحدهما: **للزجْر عن المعاصي**، فإنَّ هذه النفس أَمَّارة بالسُّوءِ، ميَّالة إلى الشرِّ، طمَّاحة إلى الفتنة، فلا تنتهي عن ذلك إلَّا بتخويف عظيم، وتهديد بالغ، وليست هي في طبعها حُرَّةً يُهمُّها الوفاء، ويمنعها الحياء عن الجفاء، إنَّما هي كما قال القائل:

والعبد يُقْرَعُ بالعصا والحُرُّ تكفيه المقالةْ!(١)

والتدبير في أمرها: أن تُقرع أبدًا بسوطِ التخويف قولًا وفعلًا وفِكْرًا.

والثاني: **لِئلَّا يُعجبَ بالطَّاعات**، فيهلك، بل يقمعها بالذمِّ والعيْب والنقص بما فيها من الأسواء والأوزار، التي فيها ضروب الأخطار، ونحو ذلك.

لزوم الرجاء في رحمة الله مطلوب:

وأما الرجاء فإنَّما يلزمك استشعاره لأمرين:

أحدهما: للبعْث على الطاعات، أي: للحضِّ والحثِّ عليها، وذلك أنَّ الخير ثقيل، والشيطان عنه زاجر، والهوى إلى ضدِّه داعٍ، وحال أهل

(١) البيت لأبي داود الإيادي، كما في الأغاني (٥١٩/١٦)، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

الغفلة من عامَّة الخلق في النفس مُنطبع مُشاهَد، والثواب الذي يُطلب بالطاعات عن العيْن غائب، وأمدُ الوصول إليه فيما يحسبه بعيد، وإذا كان الحال على هذه الحالة، فلا تنبعث النفسُ للخير، ولا ترغب فيه حقَّه، ولا تهتزُّ له إلَّا بأمرٍ يُقابِل كلَّ هذه الموانع ويُساويها، بل يزيد عليها، وذلك الأمر هو الرَّجاء القوي في رحمة الله، والترغيب البالغ في حُسْن ثوابه وكريم أجره.

ولقد قال شيخُنا رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: الحُزن يَمْنَع عن الطعام، والخوفُ يمْنعُ من الذنوب، والرَّجاء يقوِّي على الطَّاعات، وذكْرُ الموت يزهِّد في الفضول.

من عرف قيمةَ ما يطلب هان عليه مقدارُ ما يبذُل:

والثاني: ليهوِّن عليك احتمال الشَّدائد والمَشَقَّات.

واعلمْ أنَّ مَن عرَف ما يطلُبُ، هانَ عليه ما يبذُلُ، ومَن طابَ له شيء ورغِب فيه حقَّ رغبته، احتملَ شِدَّتَه، ولم يبالِ بما يلْقَى من مُؤنته، ومَن أحبَّ أحدًا حقَّ محبَّته، أحبَّ أيضًا احتمال مِحْنته، حتى إنَّه ليجد تلك المحنة ضروبًا من اللذة، ألا ترى مشتارَ العسلِ[١] لا يُبالي بلسْع النحل، لِما يتذكَّر مِن حلاوة العسل، والأجير لا يعْبأ بارتقاء السُّلَّم الطويل، مع الحِمْل الثقيل، طولَ النهار الصائف المديد، لِما يتذكر في أخذ الدرهَمَيْن بالعشيِّ؟ وأنَّ الفلَّاح لا يتفكَّر بمقاساتِه الحرَّ والبرد، ومباشرة الشقاء والكدِّ طول السَّنَة، لِما يتذكر من البيدر[٢] أوان الغلَّة؟!

(١) مشتار العسل: الذي يجنيه.

(٢) البيدر: جرن القمح الذي يخزن فيه.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

وكذلك يا أخي العُبَّاد الذين هم أهـل الاجتهاد، إذا ذكروا الجنَّة في طِيب مَقِيلها، وأنواع نعيمها: من حُورها وقصورها، وطعامها وشـرابها، وحليِّها وحُلَلها، وسائر ما أعدَّه الله تعالى لأهلها، هان عليهم ما احتملوه من تعبٍ في العبادة، أو ما فاتهـم في الدنيا من لذَّة ونعمة، أو نالهم من ضرر وذِلَّة، أو نِقْمة أو مشقّة لأجلها.

العبادة تدور على أمرين:

فإن كان مدار أمر العبوديَّة على الأمرين: القيام بالطاعة، والانتهاء عن المعصية، وذلك لا يتمُّ مع هذه النفس الأمَّارة بالسوء إلَّا بترغيب وترهيب، وتَرْجِيـة وتخويف، فـإنَّ الدابَّة الحَرُون تحتـاج إلى قائد يقودها، وإلى سـائقٍ يسـوقها، وإذا وقعتْ في مَهْـواة، فرُبَّما تُضربُ بالسوط من جانب، ويُلوَّح لها بالشعير من جانب آخر، حتى تنهض، وتتخَّلص ممَّا وقعتْ فيـه. وأنَّ الصبيَّ العَرِم لا يمـرُّ إلى الكُتَّاب إلَّا بتَرْجِية من الوالدين، وتخويف من المُعلِّـم، فكذلك هذه النفس دابَّة حَرُون وقعت في مَهْواة الدنيا، فالخوف سـوْطها وسـائقها، والرجاء شعيرها وقائدها، وإنَّها الصبيُّ العَرِم يُحمل إلى كُتَّاب العبادة والتقوى، فذكْر النار والعقاب تخويفـه، وذكْر الجنة وثوابهـا ترجيته وترغيبه، فكذلك يلزم العبدَ الطالب للعبادة والرياضة أن يُشْعِر النفسَ بالأمرين، اللذين هما: الخوف والرجاء.

فعليك أيها الرجل بقطع هذه العقبة، في تمام الاحتياط والتَّحرُّز وحدِّ الرعاية، فإنَّها عقبة دقيقة المسـلك، خطِـرة الطريق، وذلك أنَّ طريقها بين طريقَين مَخُوفين مُهلِكين، أحدهما: طريق الأمن، والثاني: طريق اليأس.

QaradawiBooks.com

طريق الخوف والرجاء طريق عدل بين طريقَين جائرين:

وطريق الرجاء والخوف هو الطريق العَـدْل بين الطريقين الجائرين، فإن غلب الرجـاءُ عليك حتى فقـدتَ الخوف البتـة، وقعت في طريق الأمن: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعـراف: ٩٩]. وإن غلب الخوفُ حتى فقـدتَ الرجاء البتة، وقعتَ في طريـق اليأس، و﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسـف: ٨٧]. فإن كنـتَ ركبتَ بين الخوف والرجاء، واعتصمتَ بهما جميعًا، فهو الطريق العدل المستقيم، التي هي سـبيل أولياء الله وأصفيائـه، الذين وصفهـم الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]»(١).

قال الغزالي: «فإذن قد ظهرتْ لك في هذه العقبة طرقٌ ثلاث: طريق الأمن والجراءة، وطريق اليأس والقنوط، وطريق الخوف والرجاء ممتدًّا بينها، فإن مِلتَ عنه بقدم إلى يمينك أو يسـارك، وقعتَ في المَهلَكَين، وهلكتَ مع الهالكين، ثم الشأن أن الطريقَيْن الجائرين المُهلكين أوسعُ مجالًا، وأكثر داعيًا، وأسهل سـلوكًا من الطريق العَدْل؛ لأنك إذا نظرتَ من جانب الأمن، رأيتَ مِن سَـعَة رحمة الله، وكثرة فضله، وغاية جُوده، ما لا يبقى لك معه خوف، فتتَّكِل على ذلك بمرَّةٍ وتأمَن، وإن نظرت من جانب الخوف، رأيت من عظيم قدرة الله تعالى وسياسـته وكثرة هيبته، ودقَّة أمره، وغاية مناقشـته مع أوليائه وأصفيائـه، ما لا يكاد يبقى معه رجاء، فتيئَس بمرَّة وتقنط، فتحتاج ـ إذن ـ ألَّا تنظر إلى سَـعَة رحمة الله فقط، حتى تتَّكِل وتأمن، ولا إلى عظيم الهيبة والمناقشة فقط، حتى تقنط

(١) منهاج العابدين صـ ٢٤٧ ـ ٢٥٣ بتصرف.

QaradawiBooks.com

وتيئس، بل تنظر إلى هذا، وإلى هذا جميعًا، وتأخذ من هذا بعضًا، ومن هذا بعضًا، فتركب بينهما طريقًا دقيقًا، وتسلك ذلك لتسْلَم، فإنَّ طريق الرجاء المَحض سهلٌ واسع عريض، وعاقبته تؤديك إلى الأمن «أي من مكر الله» والخسران. وطريق الخوف المحض واسع عريض، وعاقبته تؤدِّيك إلى الضلال. وطريق العدْل بينهما، أعني: طريقَ الخوف والرجاء، وذلك وإن كان طريقًا دقيقًا عسيرًا، فإنَّه سبيلٌ سالِم، ومنهج بيِّن، يُؤدِّي إلى الغفران والإحسان، ثم إلى الجِنان والرضوان، ولقاء الملك الرحمٰن سبحانه، أَمَا تسمع قوله تعالى في أبناء هذا السبيل: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]. ثم قال: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]. فتأمَّل هذه الجملة جيدًا، وتشمَّر وتنبَّه للأمر فإنَّه لا يُجنَى بالهُوَيْنى، والله ولي التوفيق»[١]. انتهى كلام الإمام الغزالي.

التوازن بين الخوف والرجاء هو المطلوب:

إن الرجاء وحده قد يدفع إلى ترك العمل، اتكالًا على عفو الله تعالى ومغفرته وسعة رحمته، مع أنَّ الله تعالى قال: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]. وقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وفي هذا جاء الحديث النبوي: «**الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنَّى على الله الأمانيَّ**»[٢].

(١) منهاج العابدين صـ ٢٥٣، ٢٥٤.

(٢) رواه أحمد (١٧١٢٣) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٥٩) وقال: حديث حسن. وابن ماجه في الزهد (٤٢٦٠)، والحاكم في التوبة (٢٨٠/٤) وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، عن شداد بن أوس.

QaradawiBooks.com

ولا غرو أن أنكر القرآن علـى أهل الكتاب من اليهود والنصارى تعلُّقهم بالأماني في دخول الجنة بغير أسبابها، وموجباتها من الإيمان والعمل، يقول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢].

ولم يقف القرآن عند حدِّ الإنكار على أهل الكتاب، بل أشرك معهم المسلمين ممَّن حذا حذوَهم ممَّن ظنَّ أنَّ مجرَّد التسمِّي بالإسلام أو الانتساب إليه يُنجيه عند الله، قال تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

وقد قيل في سبب نزولها أنَّه احتج المسلمون وأهل الكتاب، فقال أهل الكتاب: نحن أهدى منكم، نبيُّنا قبل نبيِّكم، وكتابنا قبل كتابكم، ونحن أولى بالله منكم؛ وقال المسلمون: نحن أهدى منكم وأولى بالله، نبيُّنا خاتم الأنبيـاء، وكتابنا يقضي على الكتب التـي قبله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ثم أفلج الله حجة المسلمين على من ناوأهم من أهل الأديان بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ۝ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ [النساء: ١٢٤، ١٢٥].

QaradawiBooks.com

إنَّ القرآن ينكر الاعتماد على الأماني، ولكنَّـه لا ينكر الرجاء، وفرَّق بين الأمرين، وقد قال ابن عطاء الله: الرجاء ما قارنه عمل، وإلَّا فهو أمنية[(١)].

ولهذا اعتبر الحديث النبوي مـن العجز والحُمق اتِّباع هوى النفس، والجري وراء شهواتها.

وقال بعض الصالحين: طلـب الجنة بلا عملٍ ذنـبٌ من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا اتِّباعٍ للسُّنَّة نوعٌ من الغرور، وارتجاءُ رحمة الله مع المعاصي حُمقٌ وجهل[(٢)].

وقال الحسـن: إنَّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم، يقول أحدهم: أحسن الظن بربي! وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل له.. وتلا قول الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣][(٣)].

وكان يقول أيضًـا: يا أيها الناس، اتقـوا هذه الأمانـي، فإنَّها أودية النَّوكى (أي: الحمقى)، فيحلُّون فيهـا، فوالله ما آتى الله عبدًا بأمنية خيرًا في الدنيا ولا في الآخرة[(٤)].

وقال يحيى بن معاذ: من أعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة، وتوقُّع القـرب من الله تعالى بغير طاعة،

(١) الحكمة الثامنة والسبعون من الحكم العطائية، صـ ٦٠.

(٢) من قول معروف الكرخي، انظر: طبقات الصوفية صـ ٨٤، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في الوجل والتوثق بالعمل (٢)، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، نشر دار الوطن، الرياض، ط ١، ١٤١٨ ـ ١٩٩٧.

(٤) ذكره أبو طالب المكي في قوت القلوب (١٧٨/١).

QaradawiBooks.com

وانتظار زرع الجنة ببذر النار، وطلب دار المطيعين بالمعاصي، وانتظار الجزاء بغير عمل، والتمنِّي على الله ﷻ مع الإفراط[١].

ترجو النجاة ولم تسلُكْ مسالِكَها إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ[٢]

فالرجاء إذا لم يصاحبه خوف، تحوَّل إلى أمنية وجراءة واستخفاف بمعصية الله وتهاون في طاعته، لذلك يقول أبو سليمان الداراني: ما فارق الخوف قلبًا إلَّا خرب[٣]. وقال ذو النون المصري: الناس على الطريق ما لم يزل عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلُّوا الطريق[٤].

وفي المقابل: فإنَّ الخوف إذا لم يصاحبه رجاء، تحوَّل إلى يأس وقنوط، وكأنَّ ذنبه أعظم من عفو ربِّه، وخطيئته أكبر من مغفرته، ومعصيته أوسع من رحمته!

واليأس والقنوط من كبائر معاصي القلوب، فقد قال تعالى على لسان نبيِّه يعقوب: ﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]. وقال على لسان خليله إبراهيم: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(١) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (١٤٤/٤).
(٢) من شعر أبي العتاهية. والبيت في ديوانه صـ ٢٣٠.
(٣) الرسالة القشيرية (٢٥٤/١).
(٤) المصدر السابق نفسه.

QaradawiBooks.com

ولهذا قال ابن عطاء الله السكندري: لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدُّك عن حسن الظنِّ بالله تعالى، فإنَّ من عرف ربه استصغر في جنب كرمه ذنبه(١)!

وقال الواسطي: الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب(٢).

وقال مطرِّف: لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لوجدا سواءً لا يزيد أحدهما على صاحبه(٣).

وقال أبو عثمان المغربي: من حمل نَفسه على الرجاء تعطَّل (يعني عن العمل)، وَمن حمل نَفسه على الْخَوْف قنط، ولكن ساعة وساعة، ومرة ومرة(٤).

وقال مكحول الشامي: من عبد الله بالحبِّ والخوف والرجاء فهو صِدِّيق، ومن عبد الله بالحبِّ فقط فهو زنديق، ومن عبد الله بالخوف فقط فهو حروري، ومن عبد الله بالرجاء فقط فهو مُرْجِئي(٥).

وسبب هذا أنَّه يجب على المؤمن أنْ يعبد الله بهذه الوجوه الثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، ولا بدَّ له من جميعها، ومن أخلَّ ببعضها فقد أخلَّ ببعض واجبات الإيمان.

---

(١) الحكمة التاسعة والأربعون من الحكم العطائية، صـ ٥٥.

(٢) الرسالة القشيرية (١/١٠٨).

(٣) قوت القلوب (١/٣٦١).

(٤) الرسالة القشيرية (١/٢٦١).

(٥) العبودية لابن تيمية صـ ١١٢، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٧ المجددة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

يقول ابن حجر العسقلاني: لا يقطع النظر في الرجاء عن الخوف، ولا في الخوف عن الرجاء، لئلا يُفضي في الأول إلى المكر، وفي الثاني إلى القنوط، وكلٌّ منهما مذموم[١].

وقال الإمام الحافظ ابن الجوزي في «تبصرته»: أسباب الرجاء قوية، فمن خفنا عليه من غلبة الخوف قلنا له: عدِّل ما عندك بالرجاء، إلَّا أنَّه ينبغي أنْ يتوب ويرجو القبول، ويبذر ويرجو الحصاد[٢].

* * *

غير مرخصة للطباعة

(١) فتح الباري (١١/٣٠١).

(٢) نقله السفاريني في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (١/٤٦٦)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الخـــوف

معنى الخوف

الخوف من مادة «خ و ف» وهي تدُلُّ على الذعر والفزع، يقال: خفت الشيءَ خوفًا وخِيفة، ويَخاف الرجل، وهو خائف.

واصطلاحًا: تألُّم القلب واحتراقه؛ بسبب توقُّع مَكروه، أو فَوات مَحبوب في المستقبل.

فالخوف من الله: اضطـرابُ القلب وقلقـه وانزعاجه، لمـا يتوقعه ويَخشاه من عُقوبة الله، على فعل محرَّم، أو ترك واجب، أو التقصير في جنب الله، والإشفاق من عدم القبول.

معاني كلمة الخوف في القرآن:

كلمة الخوف في القرآن وردت على عـدَّة معاني ذكرها الفيروز في كتابه: «بصائر ذوي التمييز في لطائف القـرآن العزيز» حيث قال: «وقد ورد في القرآن الخوفُ على خمسة وجوه:

الأَوَّل: بمعنى القتل والهزيمة ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ [النساء: ٨٣] ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ ﴾ [البقرة: ١٥٥] أَي القتل.

QaradawiBooks.com

الثَّاني: بمعنى الحرب والقتال ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾ [الأحزاب: ١٩]. أي إذا انجلى الحرب، ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ١٩]. أَي الحرب.

الثَّالث: بمعنى العلم والدِّراية ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾ [البقرة: ١٨٢] أي عَلِمَ ﴿إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٢٩] أَي يعلما ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِي ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣] أَي علمتم.

الرَّابع: بمعنى النقص ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧] أَي تنقُّص.

الخامس: بعنى الرُّعب والخشية من العذاب والعقوبة ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦]»[١].

الخوف في أقوال الصالحين:

اختلفت عبارات العلماء وأهل التربية وفقهاء القلوب وأحوال النفوس وأرباب السلوك في معنى الخوف، على عادتهم في مثل هذه التعريفات، التي قلَّما تكون جامعة مانعة، لأنَّ كل واحد منهم يُعبِّر عن حاله، أو يراعي حال من يخاطبه.

فقال أبو القاسم الجُنَيد رضي الله عنه: الخوف توقُّع العقوبة على مجاري الأنفاس[٢].

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٢/٥٧٩)، تحقيق محمد علي النجار، نشر لجنة إحياء التراث الإسلامي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

(٢) مدارج السالكين (١/٥٠٧).

QaradawiBooks.com

وقال محمد بن خفيف: الخوف اضطـــراب القلوب، بما علمت من سطوة المعبود[١].

وقيل: الخوف: هرب القلب من حلول المكروه عند استشعاره[٢].

وقال محمد بن خُبَيق: أنفع الخوف مَا حجزك عَن المعاصي، وأطال منك الحزن على ما فاتك، وألزمك الفكرة في بقية عمرك، وأنفع الرجاء ما سهَّل عليك العمل[٣].

وقال خير النسَّاج: الخوف ســـوط الله يُقوِّم بِهِ أنفسًا قَدْ تعوَّدت سوء الأدب[٤].

قَالَ ابْن الكاتب: إِذَا سكن الخوف فِي القلب لَمْ ينطق اللسان إِلَّا بِمَا يعنيه[٥].

وقال القشيري: الخوف من الله تَعَالَى هُوَ أَن يخاف أَن يعاقبه الله تَعَالَى إِمَّا فِي الدنيا وإِمَّا فِي الآخرة.

وقال أبو علي الدقاق: الخوف أَن لا تعلّل نفسك بعسى وسوف.

وعن أبي عمر الدمشقي: الخائف من يخاف من نَفْسه أَكْثَر مِمَّا يخاف من الشَّيْطَان.

وقيل: لَيْسَ الخائف الَّذِي يبكي ويمسح عينيه، إِنَّمَا الخائف من يترك مَا يخاف أَن يُعذب عليه.

---

(١) حلية الأولياء (٣٨٦/١٠).

(٢) مدارج السالكين (٥٠٨/١).

(٣) حلية الأولياء (١٦٩/١٠).

(٤) الرسالة القشيرية (١١٣/١).

(٥) المصدر السابق (١٢٦/١).

QaradawiBooks.com

وسئل ذو النون المِصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: متى يتيسَّر على العبد سبيل الخوف؟ فَقَالَ: إِذَا أنزل نَفْسه منزلة السقيم يحتمي من كل شيء، مخافة طولِ السِّقام.

وَقَالَ معاذ بن جبل: إِنَّ المؤمن لا يطمئنُّ قلبه، ولا تسكن روعته حَتَّى يُخلِّف جسر جهنم وراءه.

وَقَالَ بشر الحافي: الخوف مَلَك لا يسكن إِلَّا فِي قلب مُتَّقٍ.

وقال النوري: الخائف يهرب من ربِّه إِلى ربِّه[1].

قال القرضاوي: يشير إلى قول الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠]، وقوله: ﴿لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٦].

وقال ابن المبارك: الذي يهيج الخوف حتى يسكن فِي القلب دوام المراقبة فِي السر والعلانية[2].

وقال مالك بن دينار: الخوف على العمل أَلَّا يُتقبَّل أشدُّ من العمل[3].

وقال شميط: إِنَّ المتقين أتاهم وعيد الله، فناموا على خوف، وقاموا على وقار[4].

يقول شيخنا الشيخ محمد الغزالي: الخوف من الله عاطفة تنبع من حسن معرفته، وكمال العلم به، فهي ليست وجلًا مبهمًا لا يدرى مأتاه أو

(١) هذه الآثار ذكرها القشيري في الرسالة القشيرية (١/٢٥١ ـ ٢٥٣).

(٢) المصدر نفسه (١/٢٥٥).

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٢/٣٧٧).

(٤) المصدر السابق (٣/١٢٦).

QaradawiBooks.com

نتائجه، بل الخوف شعور واضح بجلال الخلَّاق العليم، وما ينبغي إكنانه له من مهابة وإعظام[١].

غير مرخصة للطباعة

الفرق بين الخوف والخشية:

أصل الخشـية خوف مع نوع من التعظيم للمخوف ومع شـيء من العلم بقدَره، وقد تحدَّث الإمام ابن القيم في الفرق بين الخشية والسكون، فقال: «الخشـية أخصُّ من الخوف، فإنَّها للعلماء بـالله. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطـر: ٢٨] فهي خوف مقـرون بمعرفة. وقال النبي ﷺ: «**إنِّي أتقاكم لله، وأشدكم له خشية**»[٢].

فالخوف حركة، والخشية انجماع وانقباض وسكون. فإنَّ الذي يرى العدو والسيل ونحو ذلك له حالتان:

إحداهما: حركته للهرب منه وهي حالة الخوف.

والثانية: سكونه وقراره في مكان لا يصل إليه وهي الخشية»[٣].

وقيل: الخشـية أشـدُّ من الخوف. وقيل: الخشـية تكون من عظم المَخْشِيِّ، وإن كان الخاشـي قويًّا، والخوف يكون من ضعف الخائف، وإن كان المخوف أمرًا يسيرًا[٤].

وللعلامة الألوسـي كلام طيب في تفسـير قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

---

(١) الجانب العاطفي من الإسلام لمحمد الغزالي صـ ١٨٣، ١٨٤، نشر دار نهضة، مصر، ط١.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٦)، عن عائشة.

(٣) مدارج السالكين (١/٥٠٨).

(٤) الكليات لأبي البقاء الكفوي صـ ٤٢٨، تحقيق عدنان درويش، ومحمد المصري، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال: والحقُّ أنَّ مثل هذه الفـروق، أغلبيٌّ لا كلِّيٌّ وضعي، ولذا لم يفرق كثير بينهما[1].

الخوف من الله في القرآن

لقد ذكر الله تعالى في القـرآن كثيرًا من الآيات، فيها تخويف العباد، وتذكيرهم، وترهيبهم لأجل أن ينهضوا إلـى الجدِّ والعمل، ولا يخلدوا إلى الخمول والكسل.

ولذلك نبَّه الله تعالى عباده إلى أن يخافوا ممَّـا خوَّفهم الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۞ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر: ١٥، ١٦]. أي: فامتثلوا أوامر الله تعالى، واجتنبوا ما نهى عنه، خوفًا من عذابه وعقابه.

فتخويف الله تعالى عباده يوجـب عليهم أنْ يتَّقوه، بامتثال أوامره واجتناب مناهيه.

وقد نعى سـبحانه على أئمة مشـركي مكة بالمخوِّفات من البأساء والضرَّاء، فقال: ﴿وَنُخَوِّفُهُمۡ فَمَا يَزِيدُهُمۡ إِلَّا طُغۡيَٰنٗا كَبِيرٗا﴾ [الإسراء: ٦٠]. أي: تجاوزًا للحدّ في كفرهم وتمرُّدًا عظيمًا.

وقد ذكر القرآن قول ابن آدم الصالح لأخيـه حين هدَّده بالقتل: ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٨]. خـوف الله إذن هو الذي يكفُّ الأيدي أنْ تمتد بالأذى، وإن التهبت شهوة الغضب ودفعت إلى العدوان.

(١) روح المعاني في تفسـير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسـي (١٣٤/٧)، تحقيق علي عبد الباري عطية، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

QaradawiBooks.com

والذي يتأمل في القرآن وآياته يجده الربط بين الخوف منه وحده وخشيته لا خشية غيره وبين الإيمان، كما في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، ﴿فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

وذكر القرآن قول إبراهيم لقومه: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ﴾ أي: لست أبالي هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله، فهي أقلُّ وأحقر من أنْ تَضُرَّ مَنْ كفر بها، وجحد عبادتها، فإنَّها لا تنفع شيئا ولا تسمع ولا تعقل، فهي إمَّا مسخرة بأمر الله كالكواكب والنجوم، أو من صنع أيديكم كالأصنام والأوثان ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـًٔا﴾ أي: لا يقع بي مخوف من جهة آلهتكم أبدًا إلَّا أن يشاء ربي شيئًا فينفذ ما شاءه، كما قال ابن القيم[1] ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٨٠، ٨١].

لكنَّ الله سبحانه وتعالى أثبت الخوف من غيره لأخصِّ خلقه وهم الأنبياء، فقال سبحانه على لسان موسى وهارون: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ [طه: ٤٥]. وقال عن موسى لمَّا خُيِّل له أنَّ حبال السحرة وعصيَّهم تسعى: ﴿فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ﴾ [طه: ٦٧].

وقال سبحانه وتعالى للمؤمنين: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (٥٩/٤)، تحقيق محمد عبد السلام إبراهيم، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

وقال سبحانه عن أتباع الأنبياء: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور: ٥٥]. فأثبت لهم خوف، يبدِّله الله لهم أمنًا.

خوف الآخرة:

ومن الخوف الذي وصف الله به المؤمنين المتقين في كتابه: خوفهم من لقاء الله تعالى والوقوف بين يديه، فقد حدَّثنا الله تعالى عن الأبرار بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۞ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٧ ـ ١٠]. هذا الخوف من هذا اليوم العبوس دفعهم إلى البذل والإحسان وإطعام الطعام على حبِّه لهؤلاء الضعفاء من الناس، من المسكين واليتيم والأسير.

ويصف الله روَّاد مساجده بقوله: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

ويمدح عباده بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ويمدح أولي الألباب أهل التذكُّر والتفكُّر فيقول: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأٓخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

ويخاطب رسوله، فيقول: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۞ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٥، ١٦].

QaradawiBooks.com

خوف الأنبياء على أقوامهم من عذاب الله:

أنبياء الله ورسله هم أخوف الخلق وأخشاهم لله، غير أنَّ القرآن يعرض لبعد آخر من خوف الأنبياء وهو خوفهم على أقوامهم وتحذيرهم لهم من عذاب الله وعقابه، فلم يزل الأنبياء يخافون عذاب الله، ويخوِّفون منه أقوامهم، ويخافونه على أقوامهم.

فمن ذلك ما حكاه القرآن عن أول الرسل نوح عليه السلام، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وحكى لنا قول شعيب: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤].

وقال على لسان إبراهيم مخاطبًا أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ۝ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٤، ٤٥].

وهذا هود يذكِّر قومه عادًا بنعم الله، ويخوِّفهم عقابه، قائلًا لهم: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ۝ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ۝ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣١ ـ ١٣٥].

وهذا ليس موقف الأنبياء وحدهم بل موقف أتباع الأنبياء أيضًا، فهذا مؤمن آل فرعون يقول للملأ من قوم فرعون: ﴿يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۝ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ۝ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ۝ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [غافر: ٣٠ ـ ٣٣].

QaradawiBooks.com

جزاء الخوف من الله:

ومن الأمور التي يلفت القرآن إليها والمتعلقة بموضوع الخوف من الله، جزاء الخائفين، الذين حجزهم خوفهم من الله عن معصيته، وجعلهم يسارعون إلى طاعته، ويسارعون في الخيرات، ويدعونه رغبًا ورهبًا.

يقول تعالى حاكيًا عن المتقين: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ۞ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۞ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ۞ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۞ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۞ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۞ قَالُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۞ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ۞ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور: ١٧ ـ ٢٨].

وفي مصنف عبد الرزاق وغيره أنَّ عائشة رضي الله عنها مرَّت بهذه الآية: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧] فقالت: ربِّ مُنَّ عليَّ وقِني عذاب السَّموم[1].

وعن عَبَّاد بن حمزة قال: دخلت على أسماء وهي تقرأ: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ قال: فوقفت عليها، فجعلت تستعيذ وتدعو. قال عَبَّاد: فذهبت إلى السوق، فقضيت حاجتي، ثم رجعت وهي فيها بعد تستعيذ وتدعو[2].

---

(١) رواه عبد الرزاق في الصلاة (٤٠٤٨)، وابن أبي شيبة في صلاة التطوع (٦٠٩١)، وأحمد في الزهد (٩٠٩).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في صلاة التطوع (٦٠٩٢).

QaradawiBooks.com

وقام بها أبو حنيفة ليلة من بعد العشاء إلى الفجر يقرؤها ويردِّدها[١].

وذكر الله جزاء عباد الرحمٰن الذين يبيتون لربهم سُجَّدًا وقيامًا، والذين يسألونه أنْ يصرف عنهم عذاب جهنم، إنَّ عذابها كان غرامًا، إنها ساءت مستقرًّا ومقامًا، فهم مهتمون بأمر آخرتهم، خائفون وجلون، ذكر الله جزاءهم فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

إنَّ جزاء أهل الخوف والخشية ليس في الآخرة وحدها، بل قبل جزاء الآخرة وعدهم الله بالتمكين في الدنيا كما في قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ۝ وَٱسۡتَفۡتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٖ﴾ [إبراهيم: ١٣ ـ ١٥].

وقال عن جزائهم في الآخرة: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]. وقد فسَّر النبي ﷺ ذلك بقول: «**جنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلَّا رداء الكبرياء على وجهه في جنات عدن**»[٢].

وقال تعالى أيضًا: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. فوعدهم بالنصر والتمكين في الدنيا وبالجنة والرضوان في الآخرة.

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٤٨٧/١٥)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٨٧٨)، ومسلم في الإيمان (١٨٠)، عن أبي موسى الأشعري.

QaradawiBooks.com

إنَّ أهل الخشية هم الذين ينتفعون بالإنذار ويتأثرون به، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ وحق لهم تلك البشارة، مغفرة الذنوب في الدنيا وجنة الخلد في الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۞ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۞ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ۞ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١ ـ ٣٥].

أسباب الخوف من الله سبحانه

إنَّ خوف المؤمن من ربِّه لا يفارقه، ما دام في هذه الحياة، كما قال معاذ بن جبل: إنَّ المؤمن لا يأمن قلبه، ولا يُسكن روعته، ولا يأمن اضطرابه حتى يُخلِّف جسر جهنم[(١)].

١ ـ الخوف من ذنوبه السابقة:

فهو إمَّا خائف من ذنوبه السابقة، التي لا يكاد يسلم منها أحد، ومن سلم منها اليوم وقع في شراكها غدًا، سُنة الله في خلقه، ولن تجد لسُنَّة الله تبديلًا، فكل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون.

وكلما كان القلب حيًّا اشتد لوم الإنسان لنفسه، وخوفه من جرَّاء ذنبه، ولذا جاء في الحديث: **«المؤمن يرى ذنبه فوقه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب مرَّ على أنفه فأطاره»**[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه قال: إنَّكم لتعملون أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم من الشعر، كنَّا نعُدُّها على عهد رسول الله ﷺ من المُوبقات. يعني المهلكات[(٣)].

---

(١) الرسالة القشيرية (٢٥٣/١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨)، ومسلم في التوبة (٢٧٤٤)، عن ابن مسعود.

(٣) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٢)، عن أنس.

QaradawiBooks.com

وفي حديث أنس أيضًا: أن النبي ﷺ دخل على شابٍّ، وهو في الموت، فقال: «**كيف تجدُك؟**» فقال: أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**شيئان لا يجتمعان في قلب عبدٍ مؤمن في هذا الموطن إلَّا أعطاه الله ما يرجو، وأمَّنه ممَّا يخاف**»(١).

ولما حضرتْ عمر بن عبد العزيز الوفاة قال: اللهمَّ إنَّك أمرتني فقصَّرت، ونهيتَني فعصيتُ، وأنعمتَ عليَّ فأفضلت، فإن عفوتَ فقد مننتَ، وإن عاقبتَ فما ظلمت(٢).

فالمؤمن خائف من عقاب الله له، ومؤاخذته له على ذنوبه، مستشعر أنَّ الله لو عامل عباده بعدله لأهلك من في الأرض جميعًا، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]. وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١]. وقال ابن مسعود: كاد الجُعل يعذَّب في جُحره بذنب ابن آدم(٣).

فهو يُذيقهم بعض الذي عملوا، لا كل الذي عملوا، وهو لا يفعل ذلك انتقامًا، ولكن لعلَّهم يرجعون. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. فلولا عفوه عن كثير من ظُلمنا لأنفسنا لأهلكنا بعدله.

(١) رواه الترمذي في الجنائز (٩٨٣)، وقال: غريب. والنسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٨٣٤)، وابن ماجه في الزهد (٤٢٦١)، وجوَّد النووي إسناده في خلاصة الأحكام (٩٠٢/٢).

(٢) ذكره عبد الحق الإشبيلي في العاقبة في ذكر الموت صـ ١٢٧، تحقيق خضر محمد خضر، نشر مكتبة دار الأقصى، الكويت، ط١، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م.

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٧٠٧)، والحاكم في التفسير (٤٢٨/٢) وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

وهذا الخوف يثمر في نفس الخائف من ربِّه أنَّه يحاسب نفسه محاسبة الشريك الشحيح لشريكه، حتى إنَّ أحدهم كان يحاسب نفسه حتى على فضول الكلام، بل ربما على الخاطرة تخطر في باله.

وقد روى أنس بن مالك أنَّ عمر بن الخطاب دخل يومًا حائطًا، فسمعه يقول لنفسه: أمير المؤمنين! والله لتتقينَّ الله أو ليعذِّبنَّك[١].

وعن عبد الجبَّار بن النضر السلمي قال: مرَّ حسان بن أبي سِنان رحمه الله تعالى بغُرفة، فقال: مذ كم بُنيت هذه؟ قال ثم رجع إلى نفسه فقال: وما عليكِ مذ كم بُنيت؟ تسألين عمَّا لا يعينكِ! فعاقبها بصوم سنة[٢].

وقال السَّريُّ السقطي: حمدت الله مرة، وأنا أستغفر الله من ذلك الحمد منذ ثلاثين سنة. قيل: وكيف ذلك؟! قال: كان لي دكان، وكان فيه متاع، فوقع الحريق في سوقنا، فقيل لي، فخرجت أتعرَّف خبر دُكاني، فلقيت رجلًا، فقال: أبشر، فإن دكَّانك قد سلم. فقلت: الحمد لله. ثم فكَّرت فرأيتُها خطيئة[٣].

مجرَّد أن فرح لسلامة دكانه ولم يحزن لحزن من احترق دكانه عدَّها خطيئة تسلتزم أن يستغفر الله منها بقية عمره.

الخوف بعد التوبة:

وخوف المؤمن من ذنبه مستمرٌّ حتى بعد أنْ يتوب من ذنبه، ويستغفر ربه منه، كما قال أبو الفرج ابن الجوزي: «ينبغي للعاقل أنْ يكون على خوف من ذنوبه، وإنْ تاب منها، وبكى عليها.

(١) رواه أحمد في الزهد (٦٠٠)، وابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٣)، تحقيق مصطفى بن علي بن عوض، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١١٥/٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤٧٣١).
(٣) صفة الصفوة لابن الجوزي (٥٠٠/١).

QaradawiBooks.com

وإنِّي رأيتُ أكثر الناس قد سكنوا إلى قبول التوبة، وكأنهم قد قطعوا على ذلك! وهذا أمر غائب! ثم لو غُفِرت؛ بقي الخجل من فعلها.

ويؤيِّد الخوف بعد التوبة أنَّه في «الصحاح»: أنَّ الناس يأتون إلى آدم عليه السلام، فيقولون: اشفع لنا! فيقول: ذنبي. وإلى نوح عليه السلام، فيقول: ذنبي. وإلى إبراهيم.. وإلى موسى.. وإلى عيسى صلوات الله وسلامه عليهم(١).

فهؤلاء إذا اعتبرت ذنوبهم؛ لم يكن أكثرها ذنوبًا حقيقة، ثم إن كانت، فقد تابوا منها، واعتذروا، وهم بعدُ على خوفٍ منها.

ثم إنَّ الخجل بعد قبول التوبة لا يرتفع، وما أحسن ما قال الفُضَيل بن عِيَاض رحمه الله تعالى: واسوأتاه منك، وإن عفوت!

فأفٍّ والله لمختار الذنوب، ومؤثر لذَّة لحظة تبقى حسرة، لا تزول عن قلب المؤمن، وإن غُفر له، الحذر الحذر من كل ما يوجب خجلًا!

وهذا أمر قل أن ينظر فيه تائب أو زاهد؛ لأنَّه يرى أنَّ العفو قد غمر الذنب بالتوبة الصادقة! وما ذكرته يوجب دوام الحذر والخجل»(٢).

وقال الحسن البصري: إنَّ الرجل يذنب الذنب فما ينساه، وما يزال متخوِّفًا منه حتى يدخل الجنة(٣).

الخوف من إعراض الله تعالى:

والخائفون يخافون من إعراض الله، فإنَّ العبد إذا أعرض عن طاعة الله واشتغل بمعاصيه أعرض الله عنه، وهو ما حذَّر الله المؤمنين منه فقال:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧١٢)، ومسلم في الإيمان (١٩٤)، عن أبي هريرة.

(٢) صيد الخاطر لابن الجوزي صـ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٣) رواه أحمد في الزهد (١٥٨١).

QaradawiBooks.com

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩]، قال صاحب الظلال: «الذي ينسى الله، يهيم في هذه الحياة بلا رابطة تشدُّه إلى أفقٍ أعلى، وبلا هدف لهذه الحياة يرفعه عن السائمة التي ترعى. وفي هذا نسيان لإنسانيته. وهذه الحقيقة تضاف إليها أو تنشأ عنها حقيقة أخرى، وهي نسيان هذا المخلوق لنفسه، فلا يدّخر له زادًا للحياة الطويلة الباقية، ولا ينظر فيما قدَّم لها في الغداة من رصيد»(١).

وقد قال ذو النون المصري: إذا رأيتَ العبد ساهيًا لاهيًا معرضًا عن ذكر الله عز وجل، فذاك حين يُعرض الله عنه(٢).

إنَّ الله إذا أعرض عن العبد وكله إلى نفسه، وإذا وكله إلى نفسه، وكله إلى عجز وخطيئة، وضعف وعورة، لذا علَّم رسول الله ﷺ فاطمة ابنته أن تقول إذا أصبحت وإذا أمست: **«يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»**(٣).

وقال بعض السلف: رأيت العبد ملقى بين الله سبحانه وبين الشيطان، فإن أعرض الله عنه تولاه الشيطان، وإن تولاه الله لم يقدر عليه الشيطان(٤).

وقال الإمام ابن القيم: «من أعرض عن الله بالكلية، أعرض الله عنه بالكلية، ومن أعرض اللهُ عنه لزمه الشقاءُ والبؤس والبخس فى أحواله وأعماله، وقارنه سوءُ الحال وفساده فى دينه ومآله، فإنَّ الربَّ تعالى إذا

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب (٣٥٣١/٦)، نشر دار الشروق، القاهرة، ط ١٧.
(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٤٣/٩)، والبيهقي في الزهد الكبير (٧٢).
(٣) رواه النسائي في الكبرى في عمل اليوم والليلة (١٠٣٣٠)، والبزار (٦٣٦٨)، والحاكم في الدعاء (٥٤٥/١)، وصححه على شرط الشيخين، وصحَّح إسنادَ النسائي المنذري في الترغيب والترهيب (٩٨٤)، عن أنس.
(٤) رواه أحمد في الزهد (١٣٥١).

QaradawiBooks.com

أعرض عن جهة دارت بها النحوس، وأظلمت أرجاؤها، وانكسفت أنوارها، وظهرت عليها وحشة الإعراض، وصارت مأْوى للشياطين، وهدفًا للشرور، ومصبًّا للبلاءِ، فالمحروم كل المحروم من عرف طريقًا إليه، ثم أَعرض عنها، أو وجد بارقة من حبه، ثم سُلبها لم ينفذ إلى ربِّه منها»(١).

وقد حُكِيَ عن منصور بن زاذان، أنَّه توضأ يومًا فلما فرغ دمعت عيناه، ثم جعل يبكي حتى ارتفع صوته، فقيل له: رحمك الله ما شأنك؟ فقال: وأي شيء أعظم من شأني؟ إنِّي أريد أن أقوم بين يديْ مَن لا تأخذه سنة ولا نوم، فلعله أن يُعرض عني(٢)!

الخوف من تغيُّر النعم:

وأهل الخوف يخافون أنْ يغيِّر الله ما هم فيه من النعم المادية والمعنوية، وهو سبحانه يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]، وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وتوعَّد المعرضين عن ذكره فقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤]. ومن تغيير النعم المعنوية ما ذكره القرآن من قصة الذي آتاه الله آياته، ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين صـ ١٨١.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (١٤٩)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ٣، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

ولهذا قال الفُضَيل بن عِيَاض: إنِّي لأعصي الله، فأعرف في خلق حماري وخادمي[١].

ولقد أحسن القائل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارْعها فإنَّ الذنوب تزيلُ النِّعم
وحُطْها بطاعة ربِّ العباد فربُّ العبادِ سريعُ النِّقَم[٢]

واستطال رجلٌ على أبي معاوية الأسود رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فقال: أستغفر الله من الذنب الذي سُلِّطتَ به عليَّ[٣].

٢ ـ الخوف حذر التقصير في الواجبات:

المؤمن يشعر دائمًا أنه مقصِّر في حق الله، مفرط في جنبه، لم يؤد حقَّ الله كما ينبغي لجلال وجهه، وسابغ نعمه وفضله.

وشعوره بالتقصير يجعله يستغفر الله على كل حال، وقد وصف الله المتقين المحسنين من أوليائه فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥ ـ ١٨].

قال الحسن: كابَدُوا قيام الليل، فلا ينامون إلَّا أقلَّه، ونشطوا فمدُّوا إلى السحر، حتى كان الاستغفار بسحر[٤].

---

(١) الرسالة القشيرية (٤١/١).

(٢) سبق تخريجه صـ١٦٤.

(٣) عيون الأخبار للدينوري (٣٩٨/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

(٤) ذكره ابن عطية في تفسيره (١٧٤/٥)، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

غير مرخصة للطباعة نسخة مجانية QaradawiBooks.com

فيا عجبًا! يقضون الليل في عبادة وصلاة، ثم يأتي السحر فيستغفرون! كأنَّهم ما زالوا يشعرون بالتقصير.

وقال أيضًا: صحبتُ أقوامًا كانوا لحسناتهم أن تردَّ عليهم أخوف منكم من سيئاتكم أن تعذَّبوا بها(١).

وقال: المؤمن أحسن الناس عملًا، وأشدُّ الناس خوفًا(٢).

وقد وصف الله السابقين إلى الخيرات بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧ ـ ٦٠]. وقد سألتْ عائشة رضي الله عنها رسول الله عن هذه الآية قالت: يا رسول الله، هو الذي يسرق ويزني ويشرب الخمر، وهو يخاف الله؟ قال: «**لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنَّه الذي يصلِّي ويصوم ويتصدَّق، وهو يخاف الله عز وجل**»(٣).

وقال عمر: وددت أنِّي خرجت من عملي خيره بشره وشره بخيره كفافًا، لا عليَّ ولا لي، وخلص لي عملي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم(٤).

وفي الحديث: «**لو أنَّ رجلًا يُجرُّ على وجهه من يوم وُلِدَ إلى يوم يموت هَرَمًا في مرضاة الله تعالى، لحقَّره يوم القيامة**»(٥).

---

(١) ذكره الجاحظ في البيان والتبيين (٩١/٣)، نشر دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الزهد (١٩٦)، نشر دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

(٣) رواه أحمد (٢٥٢٦٣) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في التفسير (٣١٧٥)، وابن ماجه في الزهد (٤١٩٨).

(٤) المُخَلِّصيَّاتُ لأبي طاهر المخلص صـ٦٠٤، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م، وهو عند البخاري في مناقب الأنصار (٣٩١٥) من طريق أبي بردة بنحوه.

(٥) رواه أحمد (١٧٦٤٩) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والطبراني (١٢٢/١٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٥٤): رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه بقية وهو مدلس، ولكنه صرح بالتحديث، وبقية رجاله وثقوا. عن عُتبة بن عبد السلمي.

QaradawiBooks.com

٣ ـ الخوف من السابقة أن تكون على ما يكره:

إن الخائف كما قلنا لا يزول خوفه إلى إذا وطئت قدماه الجنة، وقبل ذلك يخشى أن يغفل عن نفسه ولومها ومحاسبتها، فيغويه الشيطان، فتسوء خاتمته، والأعمال بالخواتيم، وفي الحديث الصحيح عن سهل بن سعد: «**إنَّ العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة، وإنَّه لمن أهل النار، ويعمل فيما يرى الناس عملَ أهل النار، وهو من أهل الجنة، وإنَّما الأعمال بخواتيمها**»[1].

لذا فمن دعاء أولي الألباب في القرآن: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

ومن الدعاء المأثور: «**اللهمَّ اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك**»[2].

قال أبو طالب المكي: «وأعلى الخوف أن يكون قلبه معلقًا بخوف الخاتمة، لا يسكن إلى علم ولا عمل، ولا يقطع على النجاة بشيء من العلوم وإن علت، ولا لسبب من أعماله وإن جلَّت، لعدم علمه تحقيق الخواتم، فقد قيل: إنَّما يوزن من الأعمال خواتمها».

ثم قال: «وأكثر ما يقع سوء الخاتمة لثلاث طوائف من الناس:

• أهل البدع والزيغ في الدين؛ لأنَّ إيمانهم مرتبط بالمعقول، فأول آية تظهر لهم من قدرة الله تعالى أن يطيح عقله عند شهودها،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩٣)، ومسلم في الإيمان (١١٢).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٩٤١١)، وابن السني في عمل اليوم والليلة (١٢١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٦٩٧٤): رواه الطبراني في الأوسط، وفيه أبو مالك النخعي، وهو ضعيف. عن أنس بن مالك.

QaradawiBooks.com

فيذهب إيمانه، ولا يثبت لمعاينتها، كما تحترق الفتيلة فيسقط المصباح.

• والطبقة الثانية أهل الكبر والإنكار لآيات الله ﷻ وكراماته لأوليائه في الحياة الدنيا؛ لأنَّهم لم يكن لهم يقين يحمل القدرة ويمده الإيمان، فيعتورهم الشك، ويقوى عليهم لفقد اليقين.

• والطبقة الثالثة ثلاثة أصناف متفرقون متفاوتون في سوء الخاتمة، وجميعهم دون تَينِك الطائفتين في سوء الخاتمة؛ لأنَّ سوء الختم على مقامات أيضًا كمقامات اليقين والشرك في عمر الحياة: منهم المدَّعي المتظاهر الذي لم يزل إلى نفسه وعمله ناظرًا، والفاسق المُعلن، والمصرّ المدمن.

يتصل بهم المعاصي إلى آخر العمر، ويدوم تقلُّبهم فيها إلى كشف الغطاء، فإذا رأوا الآيات تابوا إلى الله تعالى بقلوبهم، وقد انقطعت أعمال الجوارح، فليس يتأتى منهم، فلا تقبل توبتهم، ولا تُقال عثرتهم، ولا تُرحم عبرتهم، وهم من أهل هذه الآية، ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨] فهم مقصودون بقوله ﷻ: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]، وهم معنيُّون بمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ﴾ [غافر: ٨٤]، فنصوص الآية للكُفَّار ومعناها ومقام منها لأهل الكبائر وذوي الإصرار من الفاسقين الزائغين، من حيث اشتركوا في سوء الخاتمة، ثم تفاوتوا في مقامات منها، تظهر لهم شهوات معاصيهم، ويعاد عليهم تذكُّرها، لخلوِّ قلبهم من الذكر والخوف، حتى يختم لهم بشهادتها؛ فهذه الأسباب تجلب الخوف وتقطع قلوب ذوي الألباب.

QaradawiBooks.com

وقد كان أبو محمد سهل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر.

وكذلك قال أبو يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قبله: إذا توجهت إلى المسجد كان في وسطي زنار (كان يلبسه أهل الذمة) أخاف أن يذهب بي إلى البِيعة وبيت النار حتى أدخل المسجد، فيُقطع عني الزِّنَّار، فهذا لي في كل يوم خمس مرات، هذا لعلمهم بسرعة تقلُّب القلوب في قدرة علام الغيوب»[(١)].

وأنقل هنا ما سطره ابن رجب الحنبلي في كتابه «جامع العلوم والحكم» إذ يقول: «إنَّ خاتمة السوء تكون بسبب دسيسةٍ باطنةٍ للعبد، لا يطلع عليها الناس، إمَّا من جهة عمل سيِّئ ونحو ذلك، فتلك الخصلة الخفية توجب سوء الخاتمة عند الموت»[(٢)].

ثم يحكي ابن رجب طرفًا من قصص أهل الخشية، وكيف أنَّهم كانوا دائمي الخوف من سوء الخاتمة، فقال: «بكى بعض الصحابة عند موته، فسئل عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله تعالى قبض خلقه قبضتين، فقال: هؤلاء في الجنة، وهؤلاء في النار». ولا أدري في أي القبضتين كنتُ.

قال بعض السلف: ما أبكى العيون ما أبكاها الكتاب السابق!

وقال سفيان لبعض الصالحين: هل أبكاك قط علمُ الله فيك؟ فقال له ذلك الرجل: تركتني لا أفرح أبدًا[(٣)].

(١) قوت القلوب (٣٧٨/١، ٣٧٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٧٢/١، ١٧٣).

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا في الهم والحزن (١٣)، تحقيق مجدي فتحي السيد، نشر دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩١م.

QaradawiBooks.com

وكان سفيان يشتدُّ قلقه من السوابق والخواتيم، فكان يبكي ويقول: أخاف أن أكون في أمِّ الكتاب شقيًّا. ويبكي ويقول: أخاف أن أُسلب الإيمان عند الموت[١].

وكان مالك بن دينار يقوم طول ليله قابضًا على لحيته، ويقول: يا رب، قد علمتَ ساكنَ الجنَّة من ساكن النار، ففي أيِّ الدارين منزل مالك[٢]؟

وقال حاتم الأصم: من خلا قلبه من ذكر أربعة أخطار فهو مغترٌّ، فلا يأمن الشقاء:

الأول: خطر يوم الميثاق، حين قال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي. فلا يعلم في أي الفريقين كان.

والثاني: حين خُلق في ظلمات ثلاث، فنادى المَلَك بالشقاوة والسعادة، ولا يدري أمن الأشقياء هو أم من السعداء.

والثالث: ذكر هَوْل المَطْلع، فلا يدري أيبشَّر برضا الله أم بسخطه.

والرابع: يوم يصدر الناس أشتاتًا، فلا يدري أي الطريقين يُسلك به[٣].

وقال سهل التُسْتري: المريد يخاف أن يبتلى بالمعاصي، والعارف يخاف أن يبتلى بالكفر[٤].

ومن هنا كان الصحابة ومَن بعدهم من السلف الصالح يخافون على أنفسهم النفاق، ويشتد قلقهم وجزعهم منه، فالمؤمن يخاف على نفسه

(١) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/٨٧).
(٢) ذكره الغزالي في الإحياء (١/٣٥٥).
(٣) التبصرة لابن الجوزي (١/٨٢، ٨٣)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.
(٤) قوت القلوب (١/٣٧٩).

QaradawiBooks.com

النفاق الأصغر، ويخاف أنْ يغلب ذلك عليه عند الخاتمة، فيُخرجه إلى النفاق الأكبر، كما تقدم أنَّ دسائس السوء الخفية توجب سوء الخاتمة.

غير مرخصة للطباعة

وقد كان النبي ﷺ يكثر أن يقول في دعائه: «**يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**». فقيل له: يا نبي الله، آمنَّا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ فقال: «**نعم، إنَّ القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمٰن ﷻ يقلبها كيف شاء**». خرَّجه الإمام أحمد والترمذي من حديث أنس(١).

وخرَّج الإمام أحمد من حديث أم سلمة أن النبي ﷺ كان يكثر في دعائه أنْ يقول: «اللهمَّ يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك». فقلت: يا رسول الله، أوَ إنَّ القلوب لتتقلَّب؟ قال: «**نعم، ما من خلق الله من بني آدم من بَشَر إلَّا أن قلبه بين إصبعين من أصابع الله ﷻ، فإن شاء ﷻ أقامه، وإن شاء أزاغه، فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب**». قالت: قلت: يا رسول الله، ألا تعلِّمني دعوة أدعو بها لنفسي؟ قال: «**بلى قولي: اللهمَّ رب النبي محمد ﷺ، اغفر لي ذنبي، وأذهب غيظ قلبي، وأجرني من مُضلَّات الفتن ما أحييتني**»(٢). وفي هذا المعنى أحاديث كثيرة.

وخرَّج مسلم من حديث عبد الله بن عمرو، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن ﷻ**

(١) رواه أحمد (١٢١٠٧) وقال مخرِّجوه: إسناده قويٌّ على شرط مسلم. والترمذي في القدر (٢١٤٠) وحسَّنه، وابن ماجه في الدعاء (٣٨٣٤).

(٢) رواه أحمد (٢٦٥٧٦) وقال مخرِّجوه: بعضه صحيح بشواهده. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٣٨١): إسناده حسن.

نسخة مبدئية

QaradawiBooks.com

كقلب واحد، يُصرِّفه حيث يشاء». ثم قال رسول الله ﷺ: «**اللهمَّ مصرِّف القلوب صرِّف قلوبنا على طاعتك**»[(١)][(٢)].

ومن تفكر فيما عليه في السابق لم يزل منزعجًا خائفًا خوفًا لا يملك رده، «ومن هنا كان الصحابة يخافون النفاق على أنفسهم، وكان عمر يسأل حذيفة عن نفسه[(٣)]. وسئل أبو رجاء العطاردي: هل أدركتَ من أدركت من أصحاب رسول الله ﷺ يخشون النفاق؟ فقال: نعم، إنِّي أدركت منهم بحمد الله صدرًا حسنًا، نعم شديدًا، نعم شديدًا. وقال البخاري في «صحيحه»: وقال ابن أبي مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلُّهم يخاف النفاق على نفسه[(٤)]»[(٥)].

٤ ـ خوف الإجلال والتعظيم:

السبب الرابع الذي يجعل الخوف ملازمًا للمؤمن طوال حياته هو إجلال الله تعالى وتعظيمه، كما قال تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ**﴾ [النحل: ٥٠]. وكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيبته له وخشيته إياه، لذا قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ**﴾ [فاطر: ٢٨]. وهم العلماء به وبأسمائه وصفاته وأفعاله. وقال النبي ﷺ: «**أنا أَعْلَمُكُم بالله، وأشدُّكم له خشية**»[(٦)].

---

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، وأحمد (٦٥٦٩).

(٢) جامع العلوم والحكم (١٧٣/١ ـ ١٧٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في الفتن (٣٨٥٤٥).

(٤) ذكره البخاري في الإيمان قبل الحديث (٤٨)، ووصله الفريابي في صفة النفاق (٧٥).

(٥) جامع العلوم والحكم (٤٩١/٢).

(٦) سبق تخريجه صـ٢٠٧.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وقال: «**إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أَطَّت السماء وحُقَّ لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربعِ أصابع إلَّا ومَلَك واضع جبهته ساجدًا لله تعالى، والله لو تعلمون ما أعلم لَضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصُعُدات تجأرون إلى الله ﷻ**»[(١)].

وقال رجل للشعبي: أيها العالم. فقال: لسنا بعلماء، إنَّما العالم من يخشى الله[(٢)].

وقال ابن مسعود: وكفى بخشية الله علمًا، وبالاغترار بالله جهلًا[(٣)].

وكان من دعاء طَلْق بن حَبِيب: اللهمَّ إنِّي أسألك علم الخائفين لك، وخوف العالمين بك[(٤)].

عن مسروق قال: قال رجل عند عبد الله: ما أحب أن أكون من أصحاب اليمين، أكون من المقربين أحب إليَّ. فقال عبد الله: لكن هاهنا رجل ودَّ أنَّه إذا مات لا يبعث. يعني نفسه[(٥)].

وعن الحسن قال: قال عبد الله بن مسعود: لو وقفتُ بين الجنة والنار، فقيل لي: اختر نخيِّرك من أيهما تكون أحب إليك أو تكون رمادًا؟ لأحببت أن أكون رمادًا[(٦)].

---

(١) رواه أحمد (٢١٥١٦) وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. والترمذي في الزهد (٢٣١٢) وحسَّنه، وابن ماجه (٤١٩٠) كلاهما في الزهد، والحاكم في الفتن (٥١٠/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، **عن أبي ذر**.

(٢) إبطال الحيل لابن بطة صـ ٣٣، تحقيق زهير الشاويش، نشر المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٣) المصدر السابق صـ ١٧.

(٤) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٦٣/٣).

(٥) رواه أحمد في الزهد (٨٦٩).

(٦) رواه ابن المبارك في الزهد (١٠٠٥)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٨٣)، والطبراني (١٠٢/٩).

QaradawiBooks.com

وقال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز كأنَّ النار لم تخلق إلَّا لهما[١].

وعن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال: أخوف ما أخاف أن يقال لي يوم القيامة: يا عويمر، أعلمت أم جهلت؟ فإن قلت: علمتُ؛ لا تبقى آية آمرة أو زاجرة إلَّا أُخذت بفريضتها، الآمرة هل ائتمرت؟ والزاجرة هل ازدجرت؟ وأعوذ بالله من علم لا ينفع، ونفس لا تشبع، ودعاء لا يسمع[٢].

وقال أسد بن وداعة: كان شداد بن أوس إذا أوى إلى فراشه كأنَّه حبة على مقلى فيقول: اللهمَّ إنَّ ذكر جهنم لا يدعني أنام فيقوم إلى مصلَّاه[٣].

كان عليُّ بن الحسين إذا توضَّأ اصفرَّ وتغيَّر، فيقال: ما لك؟ فيقول: أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم[٤]؟

كلام قيم لابن القيم:

وللإمام ابن القيم هنا كلام قيِّم ذكره في أثناء ردِّه على من قال: إنَّ الخوف من مقامات العوام وليس من مقامات الخواص يجدر بنا أن ننقله، يقول رحمه الله تعالى: «الخوف من لوازم الإيمان وموجباته، فلا يتخلَّف عنه، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

---

(١) رواه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٥/٣١١)، تحقيق محمد عبد القادر عطا، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

(٢) رواه أبو داود في الزهد (٢١٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/٢١٣).

(٣) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/١٢٢).

(٤) مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة صـ ٣١٤، نشر مكتبة دار البيان، دمشق، ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م.

QaradawiBooks.com

وقد أثنى الله عَزَّوَجَلَّ على أقرب عباده إليه بالخوف منه، فقال عن أنبيائه بعد أن أثنى عليهم ومدحهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. فالرغب الرجاء والرغبة والرهب الخوف والخشية، وقال عن ملائكته الذين قد أمَّنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠]. وفي الصحيح عن النبي أنَّه قال: «**إنِّي أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية**»[١]. وفي لفظ آخر: «**إنِّي أخوفكم لله وأعلمكم بما أتَّقي**»[٢]. وكان يصلِّي ولصدره أزيز كأزيز المِرْجل من البكاء[٣]. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

الخوف والخشية على قدر المعرفة بالله:

فكلما كان العبد بالله أعلم كان له أخوف. قال ابن مسعود: وكفى بخشية الله علمًا[٤].

ونقصان الخوف من الله إنَّما هو لنقصان معرفة العبد به، فأعرف الناس أخشاهم لله.

ومن عرف الله اشتدَّ حياؤه منه، وخوفه له، وحبُّه له، وإجلاله له.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٧.

(٢) رواه مسلم في الصحيح (١١١٠)، وأحمد (٢٤٣٨٥)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (١٦٣١٢) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الصلاة (٩٠٤)، والنسائي في السهو (١٢١٤)، والحاكم في التأمين (٢٦٤/١) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، عن عبد الله بن الشخير.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٦٧٤)، وأحمد في الزهد (٨٦٤).

QaradawiBooks.com

وكلما ازداد معرفةً ازداد حياءً وخوفًا وحبًّا.

فالخوف من أجلِّ منازل الطريق، وخــوف الخاصة أعظم من خوف العامة، وهم إليه أحوج وهم بهم أليق، وله ألزم.

فخوف الله جلَّ جلاله من أجلِّ منــازل الطريق إلى الله، فإنَّ العبد له حالتان: إمَّا أن يكون مستقيمًا، أو مائلًا عن الاستقامة.

فإن كان مائلًا عن الاستقامة فخوفه من العقوبة على ميله، ولا يصح الإيمان إلَّا بهذا الخوف، وهذا الخوف ينشأ من ثلاثة أمور:

أحدها: معرفة العبد بالجناية وقبحها.

الثاني: تصديق الوعيد، وأنَّ الله رتَّب على المعصية عقوبتها.

الثالث: أنَّــه لا يعلم لعلَّه يُمنع مــن التوبة، ويحال بينــه وبينها إذا ارتكب الذنب.

فبهذه الأمور الثلاثة يتمُّ له الخوف، وبحســب قوتها وضعفها تكون قوة الخوف وضعفــه، فإنَّ الحامل على الذنب، إمَّــا أن يكون عدم علم العبد بقبحه، وإمَّا عدم علمه بســوء عاقبته. وإمَّــا أن يجتمع له الأمران (يعني: علمه بقبحه، وعلمه بســوء عاقبته) لكن يحمله عليه اتكاله على التوبة، وهو الغالب على ذنوب أهل الإيمان.

فإذا علم العبد قبح الذنب، وعلم ســوء مغبَّته، وخاف أن لا يفتح له باب التوبة، اشتدَّ خوفُه، فابتعد عنه.

وهذا قبل الذنب، فإذا عمله كان خوفه أشد.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

وبالجملة: فمن استقر في قلبه ذكر الدار الآخرة وجزاؤها، وذكر المعصية والتوعد عليها، وعدم الوثوق بإتيانه بالتوبة النصوح؛ هاج في قلبه من الخوف ما لا يملكه ولا يفارقه حتى ينجو.

خوف المستقيم على أمر الله:

وأما إن كان المسلم مستقيمًا مع الله، فخوفه يكون مع جَرَيان الأنفاس، لعلمه بأن الله مقلِّب القلوب، وما من قلب إلَّا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمٰن عَزَّوَجَلَّ، كما ثبت عن النبي ﷺ[(١)]، وكانت أكثر يمينه: «**لا ومقلِّب القلوب**»[(٢)].

وقال بعض السلف: القلب أشد تقلُّبًا من القِدْر إذا استجمعت غليانًا[(٣)].

وقال بعضهم: مثل القلب في سرعة تقلبه كريشة ملقاة بأرض فلاة، تقلبها الرياح ظهرًا لبطن. ويكفي في هذا قوله تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، فأيُّ قرار لمن هذه حاله؟ ومن أحق بالخوف منه؟ بل خوفه لازم له في كل حال، وإن توارى عنه بغلبة حالة أُخرى عليه، فالخوف حشو قلبه، لكن توارى عنه بغلبة غيره، فوجود الشيء غير العلم به، فالخوف الأول ثمرة العلم بالوعد والوعيد، وهذا الخوف ثمرة العلم بقدرة الله وعزته وجلاله، وأنه الفعال لما يريد وأنه المحرِّك للقلب المصرِّف له المقلِّب له كيف يشاءُ لا إِلٰهَ إلَّا هو...»[(٤)].

(١) رواه مسلم في القدر (٢٦٥٤)، وأحمد (٦٥٦٩)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه البخاري في الأيمان والنذور (٦٦٢٨)، عن ابن عمر.

(٣) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (١١١/٢٨) عن عبد الله بن رواحة موقوفًا عليه.

ورواه مرفوعًا أحمد (٢٣٨١٦)، وقال مخرِّجوه: حسن. والحاكم في التفسير (٢٨٩/٢) وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن المقداد بن الأسود.

(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم صـ ٢٨٢ ـ ٢٨٤.

نسخة تجريبية

QaradawiBooks.com

خوف النبي ﷺ

أنبياء الله تعالى هم أشدُّ الخلق خشية من الله، وأشدُّهم منه خوفًا، فكما قلنا كلما زادت علم العبد ومعرفته بربِّه وأسمائه الحسنى وصفاته العلا، وعلم عظمة ربِّه وقدرته وحكمته، زادت خشيته وخوفه لله، فالخوف وليد المعرفة، فكلما اتَّسعت معرفة المرء بالله ازداد مهابة له، وحذرًا من مخالفته، وإكبارًا لحقه.

ومعرفة رسول الله ﷺ بربه لا تسبقها معرفة في الأولين والآخرين؛ لأنَّها ـ كما قال الشيخ الغزالي ـ معرفة تنبع من شهود لا يخبو سناه، ولا يغيم ضحاه[1].

وهو ﷺ يتحدث عن نفسه صادقًا مصدوقًا فيقول: «**إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»[2]. ويقول: «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إنِّي لأعلمهم بالله، وأشدُّهم له خشية**»[3].

إن شدة خشيته من الله وتعظيمه وإجلاله له، وخوفه من أنْ يقصِّر فيما أُمر به، أشابت شعره ﷺ، ففي الحديث عن ابن عباس، قال: قال أبو بكر: يا رسول الله قد شبت، قال: «**شيَّبتْني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، و﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾**»[4]. وهذه السور فيها ذكر القيامة وأهوالها وأخبار الحشر والبعث، وقصص الأمم السابقة وما حلَّ بها، وهي أمور توجب للموقن بها الأحزان والهموم.

---

(١) فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء للغزالي صـ ٧، نشر دار نهضة، مصر، ط١.

(٢) سبق تخريجه صـ٢٠٧.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦١٠١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٦)، عن عائشة.

(٤) رواه الترمذي في التفسير (٣٢٩٧) وقال: حسن غريب. والحاكم في التفسير (٣٤٣/٢) وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

QaradawiBooks.com

قال البيضاوي: أي شبتُ في غير أوانه، لما عراني من الهمِّ والحزن بسبب ما في هذه السورة وأخواتها من أهوال يوم القيامة والحوادث النازلة بالأمم[1].

وقد روى البيهقي عن أبي عبد الرحمٰن السلمي أنَّ أحد الصالحين رأى رسول الله ﷺ، في المنام، فقال: يا رسول الله بلغنا عنك أنك قلت: «شيَّبتْني هود وأخواتها». فماذا شيَّبك من سورة هود؟ قال: قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٢، ١١٣][2].

وذكر البغوي عن ابن عباس أنَّه قال: ما نزلت على رسول الله ﷺ آية هي أشد عليه من هذه الآية: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ﴾[3].

إنَّ خوف الله لم يكن يفارقه في كل أحواله، فعن عائشة زوج النبي ﷺ أنَّها قالت: ما رأيتُ رسول الله ﷺ قط مستجمعًا ضاحكًا، حتى أرى منه لهواته، إنَّما كان يتبسَّم، وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عُرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيتَه عرفتُ في وجهك الكراهية! فقال: «**يا عائشة، ما يؤمِّنُني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذِّب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: هذا عارض ممطرنا**»[4].

---

(١) تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة للبيضاوي (٣/٣٠٩)، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ١٤٣٣هـ ـ ٢٠١٢م.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢٢١٥).

(٣) تفسير البغوي (٢/٤٦٨).

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في تفسير القرآن (٤٨٢٨، ٤٨٢٩)، ومسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٩).

QaradawiBooks.com

وفي رواية: إذا تخيَّلَتْ السـماء، تغيَّر لونه، وخـرج ودخل، وأقبل وأدبر، فإذا مطرتْ، سُرِّي عنه(١). وتخيلت السماء يعني: تهيَّأت للمطر.

وكان ذكر السـاعة لا يفارقه، وقال يومًا لأصحابه: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ**» قال المسـلمون: فكيف نقول يا رسـول الله؟ قال: «**قولوا: حسـبنا الله ونعم الوكيل، توكَّلنا على الله ربِّنا**»(٢). والمعنى كيف أنعم: كيف يطيب عيشـي وأتنعم بهذه الدنيا وأفرح وأسـر فيها وقد اقتربت الساعة وقرب أن يؤمر إسرافيل بالنفخ في الصور؟

تتأخر الخـادم عنه بعد أن ناداها، فيهم بعقابهـا، وهو في ذلك غير ظالم لها، لكنَّه يذكر أنَّ الله يقتصُّ للمظلـوم من ظالمه، وللضعيف من القوي، فيمنعه ذلك من عقابها، فعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان في بيتها، فدعـا وصيفة له ـ أو لها ـ فأبطأت، فاسـتبان الغضب في وجهه، فقامت أم سـلمة إلى الحجاب، فوجدت الوصيفة تلعب، ومعه سواك، فقال: «**لولا خشية القود يوم القيامة، لأوجعتُك بهذا السواك**»(٣).

لذلك تقول عائشة: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئًا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادمًا، إلَّا أن يجاهد في سبيل الله(٤).

---

(١) رواه مسلم في صلاة الاستسقاء (٨٩٩) (١٥).

(٢) رواه أحمد (١١٠٣٩) وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي في التفسـير (٣٢٤٣) وقال: حديث حسن. عن أبي سعيد.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (١٨٤)، وأبو يعلـى (٦٩٤٤)، والطبراني (٣٧٦/٢٣)، وجوَّد إسنادَه الهيثميُّ في المجمع (١٨٤١١)، وضعَّفه الألباني في الصحيحة (٤٣٦٣)، عن أم سلمة. ولكن القود (يوم القيامة) ثابت بأحاديث أخرى صحاح.

(٤) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٢٨) عن عائشة.

QaradawiBooks.com

وأما قصص بكائه ﷺ من خشية الله، فهي أكثر من أن تحصى، منها: ما رواه عبد الله بن الشخير رضي الله عنه قال: أتيت رسـول الله ﷺ وهو يصلِّي، ولجوفه أزيز كأزيز المرجل من البكاء[١].

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ عليَّ**» قلتُ: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**فإني أحبُّ أن أسـمعه من غيري**» فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] قال: «**أمسك**» فإذا عيناه تذرفان[٢].

لماذا يخاف النبي مع عصمته؟

وهنا سـؤال قد يطرحه بعض من ينظر للأمور نظرة سـطحية، ولا يتعمق في معانيها، وهو: لماذا يخاف النبي ﷺ كل هذا الخوف من ربه، وهو المعصوم من الذنوب والمعاصي بعصمة الله له، والمبشَّر برضا الله عنه وعن أصحابه، والموعود بالشفاعة العظمى للخلق أجمعين؟

هذا السؤال قد أجاب عنه الإمام ابن القيم، فقال: «فإن قيل: فما وجه خوف الملائكة وهم معصومون من الذنوب التي هي أسـباب المخافة وشدة خوف النبي مع علمه بأن الله قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأنه أقرب الخلق إلى الله، قيل عن هذا أربعة أجوبة:

الخوف على حسب قرب المنزلة:

الجواب الأول: أن هذا الخوف على حسَب القُرب من الله والمنزلة عنده، وكلما كان العبد أقرب إلى الله كان خوفه منه أشد؛ لأنَّه يطالب

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٠.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٥٠٥٠)، ومسلم في صلاة المسافرين (٨٠٠)، عن عبد الله بن مسعود.

QaradawiBooks.com

بما لا يطالب به غيره، ويجب عليه من رعاية تلك المنزلة وحقوقها ما لا يجب على غيره، ونظير هذا في المُشاهِد أن الماثل بين يدي أحد الملوك المشاهد له أشد خوفًا منه من البعد عنه، بحسَب قربه منه ومنزلته عنده، ومعرفته به وبحقوقه، وأنَّه يطالب من حقوق الخدمة وأدائها بما لا يطالب به غيره، فهو أحق بالخوف من البعيد، ومَن تصوَّر هذا حقَّ تصوُّره فهِم قوله: «**إنِّي أعلمُكم بالله، وأشدُّكم له خشية**»[1]، وفهم قوله في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره من حديث زيد بن ثابت عن النبي أنَّه قال: «**إنَّ الله تعالى لو عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم كانت رحمته لهم خيرًا من أعمالهم**»[2]. وليس المراد به لو عذَّبهم لتصرَّف في ملكه، والمتصرّف في ملكه غير ظالم، كما يظنُّه كثير من الناس، فإنَّ هذا يتضمَّن مدحًا، والحديث إنَّما سيق للمدح بغير استحقاق، فإن حقَّه سبحانه عليهم أضعاف أضعاف ما آتَوْا، ولهذا قال بعده: «ولو رحمهم كانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم». يعني أن رحمته لهم ليست على قدر أعمالهم، إذ أعمالُهم لا تستقلُّ باقتضاء الرحمة، وحقوق عبوديته وشكره التي يستحقُّها عليهم، لم يقوموا بها، فلو عذَّبهم والحالة هذه لكان تعذيبًا لحقِّه، وهو غير ظالم لهم فيه، ولا سيما فإنَّ أعمالهم لا توازي القليل من نعمه عليهم، فتبقى نعمه الكثيرة لا مقابل لها من شكرهم، فإذا عذَّبهم على ترك شكرهم، وأداء حقِّه الذي ينبغي له سبحانه عذَّبهم، ولم يكن ظالمًا لهم.

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٠٧.

(٢) رواه أحمد (٢١٥٨٩) وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. وأبو داود في السنة (٤٦٩٩)، وابن حبان في الرقائق (٧٢٧)، وصحَّحه الألباني في صحيح أبي داود (٣٩٣٢).

QaradawiBooks.com

فإن قيل: فهم إذا فعلوا مقدورهم من شكره وعبوديته لم يكن ما عداه ممَّا ينبغي له مقدورًا لهم، فكيف يحسن العذاب عليه؟

قيل: الجواب من وجهين:

أحدهما: أنَّ المقدور للعبد لا يأتي به كله، بل لا بدَّ من فتور وإعراض وغفلة وتوانٍ.

وأيضًا ففي نفس قيامه بالعبودية لا يوفِّيها حقَّها الواجب لها من كمال المراقبة والإجلال والتعظيم والنصيحة التامة لله فيها، بحيث يبذل مقدوره كله في تحسينها وتكميلها ظاهرًا وباطنًا، فالتقصير لازم في حال الترك، وفي حال الفعل، ولهذا سأل الصِّدِّيقُ النبيَّ دعاءً يدعو به في صلاته، فقال له: «**قل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم**»(١). فأخبر عن ظلمه لنفسه، مؤكِّدًا له بـ «أن» المقتضية ثبوت الخبر وتحقُّقه، ثم أكَّده بالمصدر النافي للتجوُّز والاستعارة، ثم وصفه بالكثرة المقتضية لتعدُّده وتكثُّره، ثم قال: «**فاغفر لي مغفرة من عندك**». أي لا ينالها عملي ولا سعيي، بل عملي يقصر عنها، وإنَّما هي من فضلك وإحسانك، لا بكسبي، ولا باستغفاري وتوبتي.

ثم قال: «**وارحمني**» أي ليس مُعَوّلي إلَّا على مجرَّد رحمتك، فإنْ رحمتني، وإلَّا فالهلاك لازم لي، فليتدبَّر اللبيب هذا الدعاء، وما فيه من المعارف والعبودية، وفي ضمنه أنه لو عذَّبتني لعدلتَ فيَّ ولم تظلمني، وإنِّي لا أنجو إلَّا برحمتك ومغفرتك.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٢٦)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٧٠٥)، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

ومِنْ هـذا قولـه: «**لن يُنجي أحـدًا منكـم عمله**» قالـوا: ولا أنت يا رسـول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل**»(١). فإذا كان عمل العبد لا يستقلُّ بالنجاة، فلو لم ينجه الله، فلم يكن قد بخسه شيئًا من حقه، ولا ظلمه، فإنه ليس معه ما يقتضي نجاته، وعمله ليس وافيًا بشكر القليل من نعمه، فهل يكون ظالمًا لو عذَّبه؟ وهل تكون رحمته له جزاءً لعمله ويكون العمل ثمنًا لها مع تقصيره فيه وعدم توفيته ما ينبغي له من بذل النصيحة فيه وكمـال العبودية من الحياء والمراقبة والمحبة والخشوع وحضور القلب بين يدي الله في العمل له؟

ومن علم هذا علم السرَّ في كون أعمال الطاعات تُختم بالاستغفار، ففي صحيح مسـلم عن ثوبان قال: كان رسول الله إذا سلَّم من صلاته استغفر ثلاثًا، وقال: «**اللهمَّ أنت السـلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**»(٢).

قال تعالـى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨]. فأخبر عن استغفارهم عَقِيب صلاة الليل، قال الحسن: مدُّوا الصلاة إلى السحر، فلمَّا كان السحر، جلسوا يستغفرون الله(٣). وأمر الله تعالى عباده بالاستغفار عَقِيب الإفاضة في الحج، فقال: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسۡتَغۡفِرُوا۟ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٩٩]. وشرع رسول الله للمتوضئ أن يختم وضوءه بالتوحيد والاستغفار فيقول: «**أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشـهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، اللهمَّ اجعلني**

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٣)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨١٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في المساجد ومواضع الصلاة (٥٩١)، وأحمد (٢٢٣٦٥).

(٣) رواه ابن المبارك (١٢٠٨)، وأحمد (١٤٨٢)، كلاهما في الزهد.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من التوَّابين واجعلنـــي من المتطهِّرين»[(١)]. فهذا ونحــوه ممَّا يبيِّن حقيقة الأمــر، وأن كل أحد محتاج إلى مغفرة الله ورحمته، وأنه لا ســبيل إلى النجاة بدون مغفرته ورحمته أصلًا.

الذي لله علينا أضعاف أضعاف ما نقدر عليه:

الجواب الثاني: أنه لو فــرض أن العبد يأتي بمقدوره كله من الطاعة ظاهرًا وباطنًا فالذي ينبغي لربه فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، فإذا عجز العبد عنه لم يســتحق ما يترتب عليه من الجزاء، والذي أتى به لا يقابل أقل النعم، فإذا حُرم جزاء العمل الذي ينبغي للربِّ من عبده، كان ذلك تعذيبًا له، ولم يكن الربُّ ظالمًا له في هذا الحرمان، ولو كان عاجزًا عن أسبابه فإنه لم يمنعه حقًّا يســتحقه عليه، فيكون ظالمًا بمنعه، فإذا أعطاه الثواب كان مجرَّد صدقة منه وفضل، تصدق بها عليه، لا ينالها عمله، بل هي خير من عمله وأفضل وأكثر، ليست معوَّضة عليه، والله أعلم.

علمه بأن الله يقلِّب القلوب ويحول بين المرء وقلبه:

الجواب الثالث عن السؤال الأول: أن العبد إذا علم أن الله سبحانه وتعالى هو مقلِّب القلوب، وأنَّه يحول بين المرء وقلبه، وأنَّه تعالى كل يوم هو في شأن، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، وأنه يهدي من يشاء، ويضلُّ من يشاء، ويرفع من يشاء، ويخفض من يشاء، فما يؤمنه أن يقلِّب الله قلبه، ويحول بينه وبينه، ويزيغه بعد إقامته، وقد أثنى الله على عباده المؤمنين بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عمران: ٨]. فلولا خوف الإزاغة

---

(١) رواه مسـلم في الطهارة (٢٣٤)، وأحمـد (١٧٣٩٣)، وجملة «اللهم اجعلنـي...» من زيادة الترمذي في الطهارة (٥٥) وقال: في إسناده اضطراب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٦١٦٧)، عن عمر بن الخطاب.

QaradawiBooks.com

لَمَا سألوه ألَّا يزيغ قلوبهم، وكان من دعاء النبي: «**اللهمَّ مصرِّف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك**»(١)، و«**مُثَبِّتَ القلوب، ثبِّت قلوبنا على دينك**»(٢).

وفي الصحيح عنه أنه يدعو: «**أعوذ بعزتك أن تُضلَّني، أنت الحيُّ الذي لا يموت**»(٣).

وكان من دعائه: «**اللهمَّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك**»(٤).

فاستعاذ بصفة الرضا من صفة الغضب، وبفعل العافية من فعل العقوبة، واستعاذ به منه باعتبارين. وكأن في استعاذته منه جمعًا لما فصَّله في الجملتين قبله، فإن الاستعاذة به منه ترجع إلى معنى الكلام قبلها، مع تضمنها فائدة شريفة، وهي كمال التوحيد، وأن الذي يستعيذ به العائذ ويهرب منه إنَّما هو فعل الله ومشيئته وقدَره، فهو وحده المنفرد بالحكم، فإذا أراد بعبده سوءًا لم يُعذه منه إلَّا هو، فهو الذي يريد به ما يسوءه، وهو الذي يريد دفعه عنه، فصار سبحانه مستعاذًا به منه، باعتبار الإرادتين ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرࣲّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧، يونس: ١٠٧]. فهو الذي يمسُّ بالضرِّ وهو الذي يكشفه لا إلٰه إلَّا هو، فالمهرب منه إليه، والفرار منه إليه، واللُّجْأ منه إليه، كما أنَّ الاستعاذة

(١) سبق تخريجه صـ٢٢٧.

(٢) رواه أحمد (١٧٦٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وابن ماجه في المقدمة (١٩٩)، والنسائي في الكبرى في النعوت (٧٦٩١)، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» (٢٠٩١)، عن النوَّاس بن سمعان.

(٣) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧١٧)، وأحمد (٢٧٤٨)، عن ابن عباس.

(٤) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٤٣١٢)، عن عائشة.

QaradawiBooks.com

منه، فإنَّه لا ربَّ غيره، ولا مدبِّر للعبد سواه، فهو الذي يحرِّكه ويقلبه ويصرفه كيف يشاء.

افتقار العبد إلى هداية الله يجعلها في قلبه:

الجواب الرابع: أنَّ الله ﷻ هو الذي خلق أفعال العبد الظاهرة والباطنة، فهو الذي يجعل الإيمان والهدى في القلب، ويجعل التوبة والإنابة والإقبال والمحبة والتفويض وأضدادها، والعبد في كل لحظة مفتقرٌ إلى هداية يجعلها الله في قلبه، وحركات يُحرِّكه بها في طاعته، وهذا إلى الله ﷻ، فهو خلقه وقدره.

وكان من دعاء النبي: «**اللهمَّ آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها**»[1].

وعلَّم حُصَين بن المنذر أن يقول: «**اللهمَّ ألهمني رشدي، وقِني شرَّ نفسي**»[2]. وعامة أدعيته متضمِّنة لطلب توفيق ربه، وتزكيته له، واستعمالِه في محابِّه.

فمَنْ هُداه وصلاحه وأسباب نجاته بيد غيره، وهو المالك له ولها، المتصرِّف فيه بما يشاء، ليس له من أمره شيء، مَن أحقُّ بالخوف منه؟

وهَبْ أنَّه قد خلق له في الحال الهداية، فهل هو على يقين وعلم أنَّ الله ﷻ يخلقها له في المستقبل، ويلهمه رشده أبدًا، فعُلم أن خوف المقرَّبين عند ربهم أعظم من خوف غيرهم، والله المستعان»[3].

---

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٤٨٣) وقال: حديث غريب. وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦٩٠)، عن عمران بن الحصين.

(٣) طريق الهجرتين صـ ٢٨٥ ـ ٢٨٩.

QaradawiBooks.com

توجيه الإمام أحمد والإمام الغزالي لخوف النبي ﷺ:

وقد روى الإمام البيهقي في كتابه شعب الإيمان حديث رسول الله ﷺ: «**لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله، لا تدرون أتنجون أم لا تنجون**»(١).

ثم ذكر قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «وكل ذلك يدل على أن كل من كان بالله عز وجل أعرف كان منه أخوف. وبشارة من بُشِّر منهم بالمغفرة ودخول الجنة لا تمنع من الخوف عند ذكر الآيات، فقد يُنسيه الله تعالى تلك البشارة في ذلك الوقت، لتكميل أحواله في العبودية، وقد يطمئن لها في العاقبة بخبر الصادق به، ثم لا يأمن حدوث ما يستحق عليه العقاب إلى أنْ يُدرك بالرحمة والمغفرة في العاقبة، وقد يكون خوف النبي ﷺ بعد أن أومن على أمته، وبالله التوفيق»(٢).

وما أجمل ما قال أبو حامد الغزالي! قال بعد أن ذكر ما ذكره من قصص مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين: «ليس الخوف بكثرة الذنوب، بل بصفاء القلوب وكمال المعرفة، وإلَّا فليس أمنُنا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا، بل قادتنا شهوتُنا، وغلبت علينا شِقْوتنا، وصدتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا، فلا قُرْبَ الرحيل ينبِّهنا، ولا كثرة الذنوب تُحرِّكنا، ولا مشاهدة أحوال الخائفين تُخوِّفنا، ولا خطر الخاتمة يُزعجنا»(٣).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٧٧٢)، وابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٧٤٥)، والحاكم في الرقاق (٣٢٠/٤)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، عن أبي الدرداء.

(٢) «شعب الإيمان» (٢٣٠/٢).

(٣) إحياء علوم الدين (١٨٨/٤).

نسخة مجانية
غير مرخصة للبيع
QaradawiBooks.com

خوف النبي ﷺ على أمته:

لقد تعدى خوف النبي ﷺ من ربه خوفه على نفسه فشمل خوفه على أمتــه أن تبتعد عن طريق الهداية فيســخط الله عليها، أو تتنكَّب سبيل الأمم الســابقة ممَّن طال عليهم الأمد فقســت قلوبهم، ونسوا كثيرًا ممَّا ذُكِّروا به.

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وفي صحيح مسـلم عن عمرو بن العـاص: أنَّ النبي ﷺ: تلا قول الله عز وجل في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ...﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائـدة: ١١٨]، فرفع يديـه وقال: «**اللهمَّ أمتي أمتي**»، وبكى. فقـال الله عز وجل: يا جبريل، اذهب إلى محمد، وربك أعلم، فسَـلْه ما يبكيك؟ فأتاه جبريل عليه الصلاة والسلام، فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال، وهو أعلم، فقـال الله: يا جبريل، اذهب إلـى محمد، فقل: إنا سنرضيك في أمتك، ولا نسوءك[(١)].

إن خوفه على أمته ممتد عبر الزمن إلى قيام السـاعة، ونظرة سريعة إلى هذه الأحاديث من (صحيـح الجامع الصغير وزياداته) تعطي صورة عن مدى خوف النبي ﷺ على أمته:

«**إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي الأئمة المضلُّون**»[(٢)].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (٢٠٢).

(٢) رواه أحمد (٢٧٤٨٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. والطيالسي (١٠٦٨)، عن أبي الدرداء.

QaradawiBooks.com

«إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي عمل قوم لوط»[١].

«إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي كل منافق عليم اللسان»[٢].

«إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر: الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تُراؤون في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاءً؟»[٣].

«والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على مَن كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم»[٤].

ومن خوفه وشفقته عليهم أنْ حذَّرهم كل ما يضرُّهم في دنياهم وآخرتهم، ومن ذلك قوله:

«إيَّاكم والشح، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا»[٥].

---

(١) رواه أحمد (١٥٠٩٣) وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي (١٤٥٧)، وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢٥٦٣)، والحاكم (٣٩٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، ثلاثتهم في الحدود، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥٢)، عن جابر.

(٢) رواه أحمد (١٤٣)، وقال مخرِّجوه: إسناده قوي. والبزار (٣٠٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨٨٦): رواه البزار وأحمد وأبو يعلى، ورجاله موثقون. وصححه الألباني في الصحيحة (١٠١٣)، عن عمر بن الخطاب.

(٣) رواه أحمد (٢٣٦٣٠)، وقال مخرِّجوه: حسن. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٧٥): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. وحسَّن إسناده ابن حجر في «بلوغ المرام» (١٤٨٤)، عن محمود بن لبيد.

(٤) متفق عليه: رواه البخاري في المغازي (٤٠١٥)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٦١)، عن عمرو بن عوف الأنصاري.

(٥) رواه أحمد (٦٤٨٧) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الزكاة (١٦٩٨)، والنسائي في الكبرى في التفسير (١١٥١٩)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

«إيَّاكم والظن، فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[١]، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك»[٢].

«إياكم والغلو في الدين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين»[٣].

ومن شفقته وخوفه عليهم تركه لبعض الأمور خشية أنْ تشق عليهم، كتركه صلاة التراويح جماعة في المسجد خشية أنْ تفرض عليهم فيعجزوا عنها.

ومن ذلك تركه بعض ما أحبَّ أن يأمر به:

«لولا أن أشقَّ على المؤمنين لأمرتهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة»[٤].

«لولا أنْ أشقَّ على أمَّتي لأمرتهم أنْ يؤخِّروا العشاء إلى ثلث الليل أو نصفه»[٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الآداب (٦٠٦٦)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٦٣)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥١٤٢)، ومسلم في البيوع (١٤١٢)، عن ابن عمر.

(٣) رواه أحمد (١٨٥١) وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن خزيمة (٢٨٦٧)، ثلاثتهم في الحج، والحاكم في الصوم (٤٦٦/١)، وصحَّحه على شرطهما، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٤٥٥)، عن ابن عباس.

(٤) رواه أحمد (٧٣٣٩)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الطهارة (٤٦)، وصححه ابن الملقن في البدر المنير (٧١٦/١)، عن أبي هريرة. وهو متفق عليه: بلفظ «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك». رواه البخاري في الجمعة (٨٨٧)، ومسلم في الطهارة (٢٥٢).

(٥) رواه أحمد (٧٤١٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. والترمذي (١٦٧) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الصلاة (٦٩١)، كلاهما في الصلاة، وصحَّحه ابن الملقن في البدر المنير (٢٢٢/٣)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

خوف النبي شمل أمة الدعوة أيضًا:

وخوف النبي وحرصه، لم يكن على أمة الإجابة فقط، ممَّن آمنوا به وعـزَّروه ونصروه واتَّبعوا النـور الذي أنزل معه، بل شـمل أمة الدعوة ـ أيضًا ـ وهم كل من أُرْسـل النبي ﷺ إليهم، فقد كان ﷺ حريصًا على هداية كل نفس، وإيمان كل إنسـان، ونجاة كل البشـرية من عذاب الله وعقابه، حتى عاتبه القرآن في ذلك، قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨]. أي: فلا تهلك نفسك حزنًا على الكافرين الذين زين لهم سـوء عملهم، فهم قد اختاروا بأنفسـهم سبيل الكفر على سبيل الإيمان، فحق عليهم عذاب شديد من الله.

كان النبـي ﷺ خائفًا أن ينالهم بإعراضهم عـن الإيمان عذاب الله وعقابه، كما نال الأمم السـابقة، ولذلك كان أحيانًا يَحْزَنُ وَيَشْـقَى، ولذلك قال الله تعالى: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ﴾ [طه: ١، ٢]، وقال ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦]. ﴿طسٓمٓ ۝ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١ ـ ٣].

ويقول هو ﷺ عن نفسه: «**إنَّما مثلي ومثل الناس، كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله، جعل الفَرَاش وهذه الدوابُّ التي تقع في النار يقعن فيها، فجعل يَنْزَعُهن، ويغلِبْنَه فيقتحمـن فيها، فأنا آخذٌ بحُجَزكم عن النار، وهم يقتحمون فيها**»(١).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٨٣)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فضل الخوف من الله في السُّنَّة النبوية

تحدثنا عن الخوف في القرآن، وذكرنا بعض ما ذكره الله من فضل الخوف منه، وجزاء الخائفين، والحق أنَّ السُّنَّة النبوية أيضًا اهتمت بذكر الخوف وقصص الخائفين وأجزيتهم وفضل الخوف، وهذه بعض الأحاديث في فضل الخوف انتقيتها من كتاب الترغيب والترهيب للإمام عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، وقد أعلق على بعضها بما يفتح الله به:

الترغيب في الخوف وفضله:

• عن أبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلَّا ظله... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إنِّي أخاف الله...**»(1).

إنه لم يترك المعصية حرصًا على سمعته، أو تساميًا فوق شهوته، وإنَّما تركه لسبب أجل هو الخوف من جلال الله، خاف الله بالغيب فترك ما يهوى، كقوله تعالى: ﴿**وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ**﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] وقوله: ﴿**وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ**﴾ [الرحمٰن: ٤٦].

• وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يحدِّث حديثًا لو لم أسمعه إلَّا مرة أو مرتين، حتى عدَّ سبع مرات. ولكن سمعته أكثر من ذلك، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كان الكِفْل من بني إسرائيل، وكان لا يتورَّع من ذنب عمله، فأتته امرأة، فأعطاها ستين دينارًا على أن يطأها،**

(1) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٦٠)، ومسلم في الزكاة (١٠٣١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

فلمَّا أرادها على نفسـها ارتعدت، وبكت، فقال: ما يُبكيك؟ قالت: لأنَّ هذا عملٌ ما عملتُه، وما حملني عليه إلَّا الحاجة. فقال: تفعلين أنت هذا من مخافـة الله؟ فأنا أحـرى، اذهبي فلك ما أعطيتـك، ووالله لا أعصيه بعدها أبدًا، فمـات من ليلته، فأصبح مكتوبًا علـى بابه: إنَّ الله قد غفر للكفل، فعجب الناس من ذلك»[1].

إن الخوف من الله له أثره العظيم فى تطهير النفس الإنسانية، وتقويم السلوك المعوج، وقيادة الإنسان نحو الصراط المستقيم.

يقول حجة الإسلام أبو حامد الغزالي: «من ثمرات الخوف، أنه يقمع الشهوات، ويكدر اللذات، فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة، كما يصير العسـل مكروها عند من يشـتهيه إذ علم أن فيه سـمًّا، فتحترق الشـهوات بالخوف، وتتأدب الجوارح، ويذل القلب ويستكين، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، ويصير مسـتوعب الهم لخوفه، والنظر في خطر عاقبته، فلا يتفرغ لغيره، ولا يكون له شـغل إلَّا المراقبة والمحاسـبة، والمجاهدة، والضنة بالأنفاس واللحظات، ومؤاخذة النفس في الخطرات والخطوات والكلمـات، ويكون حاله كحال من وقع في مخالب سـبع ضار لا يدري أيغفل عنه فيفلت، أو يهجم عليه فيهلكه، ولا شغل له إلَّا ما وقع فيه، فقوة المراقبة والمحاسبة بحسب قوة الخوف، وقوة الخوف بحسب قوة المعرفة بجلال الله تعالى، وصفاته، وبعيوب النفس، وما بين يديها من الأخطار والأهوال»[2].

---

(١) رواه أحمـد (٤٧٤٧) وقال مخرِّجوه: إسـناده ضعيف. والترمذي في صفـة القيامة (٢٤٩٦) وحسَّنه، وابن حبان في البر والإحسان (٣٨٧)، والحاكم في التوبة والإنابة (٤/٢٥٤)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) إحياء علوم الدين (٤/١٥٦).

QaradawiBooks.com

إن خوف المرأة من الله، فاض حتى ملأ قلب الكفل، فأثمر صلحًا مع الله وتوبة إليه، جعلت الكفل يقلع عن الفاحشة بعد أن أمكنته، غيَّره الخوف من الله، فآلى على نفسه لا يعصيه أبدًا، وأقبل على الله وندم وتاب، فمات مغفورًا له.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**كان رجل يسرف على نفسه لمَّا حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا متُّ فاحرقوني، ثم اطحنوني، ثم ذرُّوني في الريح، فوالله لئن قدر الله عليَّ ليعذبنِّي عذابًا ما عذبه أحدًا. فلمَّا مات فُعِل به ذلك، فأمر الله الأرض فقال: اجمعي ما فيك. ففعلت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتُك يا رب ـ أو قال: مخافتك ـ فغفر له**»(١).

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال: «**قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا متُّ فحرِّقوه، ثم ذرُّوا نصفَه في البر، ونصفه في البحر، فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبه عذابًا لا يعذِّبه أحدًا من العالمين، فلمَّا مات الرجل فعلوا به ما أمرهم، فأمر الله البرَّ فجمع ما فيه، وأمر البحر أن يجمع ما فيه، ثم قال: لِمَ فعلت هذا؟ قال: من خشيتِكَ يا رب، وأنت أعلم، فغفر الله تعالى له**»(٢).

جهل الرجل أنَّ قدرة الله لا تقف عن حد، ولا يعجزها شيء، فقال: «**لئن قدر الله علي ليعذبنِّي عذابًا ما عذبه أحدًا**». ومع هذا غفر الله له هذا الجهل رحمة به، ومراعاة لحاله، وفي هذا ردٌّ على غلاة المتكلمين الذين

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٨١)، ومسلم في التوبة (٢٧٥٦)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٦)(٢٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

يجعلون مثل هـذا كافرًا، لجهله صفة من صفات الله تعالى! فعسَّروا ما يسَّر الله سبحانه.

• وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أخرجوا من النار من ذكرني يومًا، أو خافني في مقام**»(١).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**يقول الله عز وجل: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة، فلا تكتبوها عليه حتى يعملها، فإن عملها فاكتبوها بمثلها، وإن تركها من أجلي فاكتبوها له حسنة..**» الحديث(٢).

وفي لفظ لمسلم: «**إن تركها فاكتبوها له حسنة، إنَّما تركها من جَرَّاي**»(٣). أي من أجلي.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ فيما يروي عن ربِّه جل وعلا أنه قال: «**وعزَّتي لا أجمع على عبدي خَوْفين وأمنين: إذا خافني في الدنيا أمَّنْته يوم القيامة، وإذا أمَّنني في الدنيا أخفته في الآخرة**»(٤).

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إنَّ سلعة الله الجنة**»(٥).

---

(١) رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٥٩٤)، وقال: حسن غريب. وابن أبي عاصم في السنة (٨٣٣)، والحاكم في الإيمان (٧٠/١)، وصحَّح إسناده، ووافقه الذهبي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥٠١)، ومسلم في الإيمان (١٢٨).

(٣) رواه مسلم في الإيمان (١٢٩).

(٤) رواه ابن حبان في الرقائق (٦٤٠)، وقال الأرناؤوط: إسناده حسن. والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥٩)، وقال الألباني في الصحيحة (٧٤٢): حسن صحيح.

(٥) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤٥٠)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الرقائق (٣٠٧/٤)، وصحَّحه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٣٣٥).

QaradawiBooks.com

أدلج بسكون الدال: إذا سار من أول الليل.

ومعنى الحديث: أن من خاف ألزمه الخوف السلوك إلى الآخرة، والمبادرة بالأعمال الصالحة خوفًا من القواطع والعوائق.

• وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنَّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من رحمته**»(١).

• وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيرًا، ولضحكتم قليلًا، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله، لا تدرون تنجون أو لا تنجون**»(٢).

• وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] حتى ختمها، ثم قال: «**إنِّي أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطَّت السماء، وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلَّا ملكٌ واضع جبهته ساجدًا لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله، والله لوددتُ أنِّي شجرة تُعضَد**»(٣).

أطَّت بفتح الهمزة، وتشديد الطاء المهملة. من الأطيط: وهو صوت القتب والرحل ونحوهما إذا كان فوقه ما يُثقله، ومعناه أن السماء من كثرة ما فيها من الملائكة العابدين أثقلها حتى أطَّت.

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٥)، وأحمد (٩١٦٤).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٤٣.

(٣) سبق تخريجه صـ٢٢٨.

QaradawiBooks.com

الصُّعُدات ـ بضم الصاد والعين المهملتين ـ هي الطرقات.

• وعن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعتُ مثلها قط، فقال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**». فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم خَنِين[1].

وفي رواية: بلغ رسول الله ﷺ عن أصحابه شيء، فخطب فقال: «**عُرِضت عليَّ الجنة والنار، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**». فما أتى على أصحاب رسول الله ﷺ يوم أشد منه، غطوا رؤوسهم ولهم خَنِين[2].

الخنين ـ بفتح الخاء المعجمة بعدها نون ـ هو البكاء مع غُنَّة بانتشار الصوت من الأنف.

* * *

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٢١)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٩).
(٢) رواه مسلم في الفضائل (٢٣٥٩).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

الـرجـــاء

من الأخلاق الإيمانية الربانية العظيمة، التي يهتم بها أساتذة السلوك، ورجال الأخلاق والتصوف النقي السُّنِّي: خُلق الرجاء.

معنى الرجاء:

والرجاء في اللغة: الأمل، فهو ضد اليأس.

وفي الاصطلاح: ظنٌّ يقتضي حصول ما فيه مَسرَّة، كما قال الراغب في «مفرداته»[(١)]. وهو: تعلُّق القلب بحصول محبوب في المستقبل، كما في «التعريفات»[(٢)] للجرجاني.

فالرجاء هو: ابتهاج النفس بفضل الله سبحانه وتعالى، والاسترواح إلى سَعة رحمته عز وجل، وهذا أمر نفسي، من قبيل الأحوال والخواطر التي ترد على الإنسان، ولا يملك لها استحضارًا ولا دفعًا، ولكنَّه يملك من مقدماتها وأسبابها.

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، مادة (ر. ج. ا).

(٢) التعريفات للجرجاني صـ ١٠٩.

QaradawiBooks.com

وقال ابن القيم: «الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة. ويطيّب لها السير.

وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الربِّ تبارك وتعالى. والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه.

وقيل: هو الثقة بجود الربِّ تعالى»(١).

وقال الحارث المحاسبي: الرجاء هو أن ترجو قبول الأعمال، وجزيل الثواب عليها، وتخاف مع ذلك أن يرد عليك عملك أو يكون قد دخلته آفة أفسدته عليك(٢).

الفرق بين الرجاء والتمنِّي:

لقد فرّق علماء التربية الصوفية بين الرجاء والتمني، وقالوا: الرجاء ما قارنه عمل، وإلَّا فهو أمنية! والرجاء هو حافز المؤمنين، والأماني هي شغل الفارغين.

وقد عاب القرآن على أهل الكتاب الذين جعلوا الجنة حكرًا عليهم، بلا إيمان ولا عمل: ﴿تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢]. وقال للمؤمنين محذرًا إياهم أن يسلكوا مسلك أهل الكتاب: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

(١) مدارج السالكين (٢/٣٦ ـ ٣٧).

(٢) آداب النفوس للمحاسبي صـ ٦٧، ٦٨، تحقيق عبد القادر أحمد عطا، نشر دار الجيل، بيروت.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

قال ابن الجوزي: الرجاء مع العصيان حماقة[١].

وقال الإمام ابن القيم في الفرق بين الرجـــاء والأمنية: «والفرق بينه وبين التمنِّي أنَّ التمني يكون مع الكسل. ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد. والرجاء يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل. فالأول كحال من يتمنَّى أن يكون له أرض يبذرها ويأخـــذ زرعها. والثاني: كحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها. ويرجو طلوع الزرع.

ولهذا أجمع العارفون على أنَّ الرجاء لا يصح إلَّا مع العمل.

قال شاه الكرماني: علامة صحة الرجاء حسن الطاعة.

الرجاء المحمود والرجاء المذموم:

والرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان، ونوع غرور مذموم.

فالأولان رجاء رجل عمل بطاعة الله على نور من الله فهو راج لثوابه، ورجل أذنب ذنوبًا ثـــم تاب منها، فهـــو راجٍ لمغفـــرة الله تعالى وعفوه وإحسانه وجوده وحلمه وكرمه.

والثالث: رجل متمادٍ في التفريط والخطايا، يرجو رحمة الله بلا عمل، فهذا هو الغرور والتمني والرجاء الكاذب»[٢].

وكلام ابن القيم يكاد يكون متَّفقًا عليه بين الربَّانيِّين من أهل التصوف النقي، يقول الحارث المحاسبي:

«الراجون ثلاثة:

(١) ينظر: غذاء الألباب للسفاريني (٤٦٦/١).

(٢) مدارج السالكين (٣٧/٢).

QaradawiBooks.com

• رجل عمل حسنة وهو صادق في عملها، مخلص فيها، يريد الله بها، ويطلب ثوابه، فهو يرجو قبولها وثوابها، ومعه الإشفاق فيها.

• ورجل عمل سيئة ثم تاب منها إلى الله، فهو يرجو قبول توبته وثوابها، ويرجو العفو عنها والمغفرة لها، ومعه الإشفاق ألَّا يعاقبه عليها.

• وأما الثالث، فهو الرجل يتمادى في الذنوب، وفيما لا يحبه لنفسه، ولا يحبُّ أن يلقى الله به، ويرجو المغفرة من غير توبة، وهو مع ذلك غير تائب منها، ولا مقلع عنها، وهو مع ذلك يرجو. فهذا يقال له مفترٍ متعلِّق بالرجاء الكاذب والأماني الكاذبة والطمع الكاذب.

والقيام على هذا يقطع مواد عظمة الله من قلب العبد، فيدوم إعراضه عنه، ويأنس بجانب مكر الله، ويأمن تعجيل العقوبة، وهذا هو المفتر المخدوع المستدرج»(١).

دخول الجنة ليس بالأماني:

بعض الناس يغلب عليه الرجاء، ويسير في طريق الشيطان، ويتَّكل على الشفاعة، كما كان المشركون يتكلون على شفاعة آلهتهم، قال الله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ۝ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١، ٨٢]. ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وكان كثير من أهل الكتاب ـ أيضًا ـ يظنُّون أنَّ أنبياءهم وأحبارهم ورهبانهم، سيشفعون لهم يوم القيامة، مهما عملوا، والنصارى إلى اليوم،

(١) آداب النفوس صـ ٦٨.

QaradawiBooks.com

يعتقدون أنَّ المسيح سيشفع لهم، لمجرد الإيمان به، ولذلك يسمُّونه المخلِّص، فكل مولود ـ في زعمهم ـ يولد محملًا بخطيئة آدم الأولى، والذي يُخلِّصه هو الإيمان بالمسيح.

وقد ذكرنا أنَّ الله تعالى ردَّ على اليهود والنصارى الذين طمعوا في الجنة بغير إيمان صحيح ولا عمل صالح، فقال: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١، ١١٢]، فإسلام الوجه لله، وإحسان العمل، هو الذي يستحق العبد به الجنة، أما من يدعي أنه على دين، ولم يؤمن الإيمان الصحيح، ولم يعمل العمل الخالص، فهذه مجرَّد أمانيّ.

هذا شأن من يريدون الجنة ولا يعملون لها، وفي الأثر الإلٰهي: «ما أقل حياء من يطلب جنتي بغير عمل! كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي؟!»[1].

وقد ذكر المفسرون أنَّ جماعة من المسلمين وأهل الكتاب التقوا، فادعى كل منهم أنه أولى بالله وأحق بالجنة من غيره، فأنزل الله قرآنًا يتلى، ليكون قولًا فصلًا، وحكمًا عدلًا، وذلك قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النساء: ١٢٣، ١٢٤].

(١) ذكره أبو حيان في تفسيره (٣/٣٥٠، ٣٥١) في تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣٦]، تحقيق صدقي محمد جميل، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

وقد قال الإمام عبد الله بن المبارك:

ما بـــال قلبك ترضى أن تدنِّســـه وثوبُك الدهرَ مغسول من الدنس؟
ترجو النجاةَ ولَمْ تسلك مسالكها إنَّ السفينةَ لا تجري على اليَبَسِ(١)

الرجاء الصحيح:

الرجـــاء يقتضي العمل، الله تعالى يقـــول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨]، بعد الإيمان وبعد الهجرة، وبعد الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، بعـــد ذلك يرجون رحمـــة الله، هذا هو رجاء رحمـــة الله، تؤمن وتهاجر وتجاهد وتبـــذل وتعمل وتعطي، أما أن ترجـــو الجنة ولم تقدِّم عملًا، ولم تدفع ثمنًا، فهي الأمانيُّ الكاذبة.

أرأيت سِلْعة بلا ثمن؟ كل سِلْعة لها ثمن، وللجنة ثمن، والحديث يقول: «**ألا إنَّ سِـــلْعة الله غالية، ألا إنَّ سِـــلْعة الله الجنة**»(٢)، وقد قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، فهل بذلت النفـــس والمال؟ أم تريد الجنة دون أن تقدِّم لها عوضًا؟

وقال سبحانه: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) من شعر أبي العتاهية، وقد سبق تخريجه صـ١٩٩.

(٢) رواه الترمـــذي في صفـــة القيامة (٢٤٥٠)، وقال: حســـن غريب. والحاكـــم في الرقائق (٣٠٧/٤)، وصحَّحه ووافقه الذهبـــي، وصححه الألباني فـــي الصحيحة (٢٣٣٥)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

وقال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

فكل هذه الآيات تدلُّ على أنَّ الرجاء المعتبر شرعًا شرطه العمل، وأنَّه بدونه غرور لا قيمة له، فالاتكال على عفو الله دون عمل غرور.

قال بعض الصالحين: طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب، وارتجاء الشفاعة بلا اتِّباع للسُّنَّة نوع من الغرور، وارتجاء رحمة الله مع المعاصي جهل وحمق[1].

وقال الحسن: إنَّ قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا، ولا حسنة لهم، يقول أحدهم: أحسن الظن بربي! وكذب، لو أحسن الظن لأحسن العمل له. وتلا قول الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣][2].

استطراد لا بدَّ منه:

والمؤمن مع قيامه بالأعمال الصالحة لا يتَّكل عليها، لكنه لا يتكل إلَّا على رحمة ربه؛ لأنَّ الأعمال وإنْ عظمت فإنها لا تكافئ أدنى نعمة من نعم الله تعالى على عبده، على أنَّ التوفيق للعمل إنَّما هو من الله تعالى، فهو صاحب الفضل أولًا وآخرًا، فلا يقتضي العمل في ذاته ثوابًا في نظر المخلص، بل يرى الثواب إحسانًا من الله إليه، كما قال النبي ﷺ: «**لن ينجي أحدًا منكم عمله**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني الله**

(١) من كلام معروف، رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣٦٧/٨).
(٢) سبق تخريجه صـ١٩٨.

نسخة مجانية
غير مرخصة للطباعة
QaradawiBooks.com

برحمته، سَدِّدوا وقاربوا واغدوا ورُوحوا وشيءٌ من الدُّلجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا»(١).

قال ابن رجب الحنبلي: «إنَّ عمل الإنسان لا يُنْجِيه من النَّار ولا يُدْخِله الجنَّة، وإنَّ ذلك كلَّه إِنَّمَا يحصل بمغفرة الله ورحمته.

وقد دلَّ القرآن العزيز عَلَى هذا المعنى في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٥] وقوله: ﴿يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٢١]. وقوله: ﴿تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۞ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الصف: ١١ ـ ١٢].

فَقَرَن بين دخول الجنة والنجاة من النار وبينَ المغفرة والرحمة، فدلَّ عَلَى أنّه لا يُنال شيء من ذلك بدون مغفرة الله ورحمته»(٢).

الله الذي نرجوه

ومن المقدمات المهمَّة، والأسباب التي تنمِّي الرجاء في نفس الإنسان: أنْ يتذكَّر دائمًا فضل الله تبارك وتعالى عليه منذ كان في المهد صبيًّا، بل منذ كان جنينًا في بطن أمه، يذكر كل من حوله سعة رحمة الله ونعمته عليه، أنه لم يتخلَّ عنه قبل أنْ يكون منه عمل صالح، وقبل أنْ

(١) سبق تخريجه صـ٢٣٩.

(٢) مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي (٣٩٢/٤)، تحقيق طلعت بن فؤاد الحلواني، نشر الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

QaradawiBooks.com

يقدم شيئًا.. يتذكر هذا الفضل العظيم، والإحسان العميم، من الله تبارك وتعالى.. يتذكر تلك النعم التي تغمره من قرنه إلى قدمه، وتحوطه عن يمين وشمال، ومن جهاته الأربع، أو جهاته الست.

إنَّ عناية الله ورعايته يراها المؤمن في كل شيء حوله، فكل ذرة في الأرض أو في السماء منحة من الله له، تيسِّر للإنسان معيشته، وتعينه على القيام برسالته في الحياة، إنه يرى نعمة الله في هبة الريح، وسير السحاب، وتفجُّر الأنهار، وبزوغ الشمس، وطلوع الفجر، وضياء النهار، وظلام الليل، وتسخير الدواب، وإنبات النبات، ولنقرأ في مثل هذا قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]. ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٢، ١٣].

الله هو واهب الحياة، ومصدر الخلق والأمر، والإيجاد والإمداد، وهي كلها كانت محض فضل من الله، من غير طلب ولا سؤال، يقول ابن عطاء الله: عنايته فيك لا لشيء منك، وأين كنت حين واجهتك عنايته، وقابلتك رعايته؟ لم يكن في أزله إخلاص أعمال، ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلَّا محض الإفضال وعظيم النوال[1].

فالله هو الذي أوجد الإنسان و﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، هو الذي أمدَّه بما يحتاج إليه في حياته، من العقل والجسم، والمواهب الرُّوحية والإدراكية والوجدانية، ووهب له وسائل التعلُّم، وهي السمع

(١) الحكمة المائة وتسعة وستون من الحكم العطائية صـ ٧٣.

QaradawiBooks.com

والبصر والعقل، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨].

يتذكر هذا كله فيحصل عنده رجاء في رحمة الله سبحانه وتعالى، وقد قال ابن عطاء: «إذا أردتَ أن ينفتح لك باب الرجاء، فاشهد ما منه إليك». يعني فاشهد ما منه إليك من النعم التي تغمرك من كل جانب، والتي هي متصلة بك من قبل ميلادك إلى موتك، بل وبعد موتك، يقول ابن عجيبة: «اشهد ما منه إليك من الإحسان واللطف والمبرَّة والامتنان، فهل عوَّدك إلَّا حسنًا؟ وهل أسدى إليك إلَّا مِننًا؟ عليك بَسَط مِنَّته، ولك هيَّأ جنته، أنعم عليك في هذه الدار بغاية الإنعام، وما قنع لك بذلك حتى أعدَّ لك دار السلام، باقية مستمرة على الدوام، ثم أتحفك بالنظر إلى وجهه الكريم تمامًا على سابق إحسانه القديم»[1].

الرحمة عامَّة والعذاب خاصٌّ:

يتذكر العبد رحمة الله التي وصفها الله تعالى بأنَّها وسعت كل شيء، ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، فالعذاب خاص والرحمة عامة، وقد حدَّثنا الله عن الملائكة من حملة العرش، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝ إِنَّ

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم لابن عجيبة صـ ٣٤٦، نشر دار المعارف، القاهرة.

QaradawiBooks.com

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۞ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴾ [غافر: ٧ ـ ١١].

رحمة الله واسعة:

رحمة الله كعلم الله، كما وسع علمه كل شيء، وسعت رحمتُه كل شيء، فلا يغيب شيء عن علمه، في الأرض، ولا في السماء، ولا يغيب شيء عن رحمته، في الأرض، ولا في السماء، رحمة الله وسعت كل شيء، حتى وسعت الكفار، ووسعت الفجّار، ووسعت المشركين، ووسعت الملحدين، فإنَّهم يعيشون في ظلِّ رحمة الله! فهو الذي يرزقهم، وهو الذي يسخِّر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعًا منه، لم يحجب رزقه عن كافر ولا فاجر، شمسه تطلع على الجميع، وخيراته تنزل على الجميع.

وحينما دعا سيدنا إبراهيم ربَّه لذريته: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]. ليس الأمن والرزق من الثمرات مقتصرًا على مَنْ آمن بالله واليوم الآخر فقط، بل ومَن كفر سأُمتِّعه قليلًا، ثم مأواه إلى جهنم وبئس المصير.

رحمة الله وسعت كلَّ شيء، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»(١). فهو سبحانه يغضب، ولكنَّ رحمته فاقت وسبقت وغلبت غضبه، فهو الرحمٰن الرحيم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

الرحمٰن الرحيم:

الله تعالى تعرَّف إلى عباده باسم **الرحمٰن الرحيم**، وبدأ القرآن بهذه البسملة ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]، وبُدأت السُّورُ كلُّها، إلَّا سورة واحدة بـ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وذلك لعظيم رحمته، وواسع فضله.

كم في القرآن الكريم من ذكر (الرحمٰن الرحيم)؟

وكم ورد ذكر (الجبَّار المتكبر) في القرآن؟ مرَّة واحدة، في أواخر سورة الحشر.

كم ذُكر اسم القهار في القرآن الكريم؟ ست مرَّات، الله تعالى يقول على لسان سيدنا يوسف: ﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، وقال عَجَّلَ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

أما اسم الرحمٰن الرحيم، فما أكثر ما ورد في القرآن الكريم! لقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مائة وثماني عشرة مرة، ونحن في كل يوم نصلِّي ونقرأ الفاتحة ما لا يقل عن سبع عشرة مرة، في الصلوات المفروضة، إذا اقتصرنا على الفرائض فقط، نقرأ في كل ركعة الرحمٰن الرحيم، ونحن نقرأ الفاتحة.

أرحم الراحمين خير الراحمين:

القرآن يذكِّرنا بأن الله تعالى أرحم الراحمين، وخير الراحمين، كما جاء ذلك على لسان الأنبياء، جاء على لسان سيدنا يعقوب:

QaradawiBooks.com

﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤]. وجاء على لسان سيدنا يوسف لأخوته: ﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٢].

وجاء على لسان سيدنا أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣].

وجاء على لسان سيدنا موسى: ﴿رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِأَخِي وَأَدۡخِلۡنَا فِي رَحۡمَتِكَۖ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١].

وذكرنا القرآن كذلك، بأن الله تعالى خير الراحمين، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱغۡفِرۡ وَٱرۡحَمۡ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٨].

ومن دعاء المؤمنين في سورة المؤمنون: ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٩].

كل هذا لتمتلئ القلوب بالرجاء في عظيم فضل الله تبارك وتعالى ورحمته الواسعة.

لقد حثَّ القرآن على التخلُّق بخُلُق الرجاء، فقال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

انظر إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ﴾، رغم أنهم أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي، لكن الله تعالى لم يحرمهم شرف النسبة إليه، وقال: يا عبادي.

وهذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه، فقد أضاف العباد إلى نفسه تشريفًا لهم وبشارةً، ووصفهم بالإسراف في المعاصي والاستكثار من الذنوب، ونهاهم عن القنوط واليأس، وقال لهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾، وأنه سبحانه كثير المغفرة عظيم الرحمة، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

QaradawiBooks.com

وقال الله تعالى لرسوله ﷺ يخاطبه في سورة الحجر، فكان في خطابه هاتان الآيتان الجامعتان: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠].

يقول الشافعي:

فلمّا قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلتُ الرَّجا منِّي لعفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلمَّا قرنته ... بعفوك ربِّي كان عفوُك أعْظَما
فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذَّنب لم تزل ... تجود وتعفو مِنَّةً وَتكرُّما[1]

وقال أبو عمران السلمي:

وإنِّي لآتي الذَّنب أعرف قدره ... وأعلم أنَّ الله يعفو ويغفر
لئن عظَّم النَّاس الذنوب فإنَّها ... وإنْ عظمت في رحمة الله تصغر[2]

جميع الخلق عباد الله: الطائعون والعصاة:

وهنا ينبغي أن نقف وقفة مهمة، وخصوصًا للذين يُعنون بفهم القرآن، وتوجيه الناس والحياة على أساسه، والذين يهتمون بدعوة الناس إلى الإسلام العظيم وإرشادهم ووعظهم.

الله تعالى يقول: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ المخاطب الأول هنا هو محمد رسول الله المنزل عليه هذا الكتاب، وكل من يفهم القرآن مخاطب بما خوطب به.

(١) انظر ديوان الشافعي صـ ٩٩، تحقيق نعيم زرزور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م.

(٢) حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا (١١٤)، تحقيق مخلص محمد، نشر دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ثم مَنْ هم عباده الذين نسبهم الله إلى ذاته؟ هل عباده هم الصالحون المطيعون لأوامره، المجتنبون لنواهيه، فقط! أم أن (عبادي) هنا تشمل العصاة والخاطئين والمنحرفين عن الطريق المستقيم؟

لا شك أن الجميع عباده، المطيع من عباده، والعاصي من عباده.

والآية الأخرى التي تقدَّمت في سورة الزمر: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]، فالذين أسرفوا على أنفسهم بالمعاصي وارتكاب ما نهى الله عنه، لم يحرمهم الله من شرف الانتماء إلى عبوديَّته، وقال: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ..﴾.

وهنا في هذه الآية: ﴿نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ يشمل المطيعين والعصاة. فحتى العصاة لم يُحرموا من مغفرة الله ورحمته.

الله غفور رحيم:

وكلمة الغفور في اللغة العربية، تدلُّ على المبالغة، فعلماء اللغة يقولون: هذه صيغة مبالغة. ورحيم أيضًا: صيغة مبالغة. فهناك: «غافر»، وهناك «غفور» و«غفَّار».

و«غفور» و«غفَّار» يدلان على عِظَم المغفرة، أي: لا يدانيه في المغفرة أحد، وكذلك هناك «راحم» وهناك «رحيم»، والرحيم صيغة مبالغة في الرحمة من الله عز وجل.

فالله غفور: يغفر لمن أساء وأذنب، مهما كانت إساءته، ومهما كان ذنبه، فمغفرة الله أعظم وأوسع، فإياك أن تظن أنَّ ذنبك أعظم من مغفرة الله، ولذلك قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

QaradawiBooks.com

حتى أعظم الذنوب، وهو الشرك والكفر، يغفره الله بالتوبة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]، مهما كان كافرًا بالله، ملحدًا، جاحدًا، إذا دخل في الإسلام، وشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، انتهى هذا الماضي، وبدأتْ صفحة جديدة، وعفا الله عمَّا سلف، ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩].

فالله غفور، وهو رحيم أيضًا، فهناك ما هو أكبر من مجرد الستر والعفو والمسامحة في الإسلام، فحين يسرق منك إنسان مالًا، وتسامحه، هناك ما هو أكبر من ذلك، وهو أن تعطيَه على ذلك مالًا أيضًا، هذه هي الرحمة، فالله يعفو ويغفر ويسامح، ويُدخل الجنة أيضًا؛ فالجنة هي رحمة الله؛ لأنها دليل على ذلك، ولذلك قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧].

وهو الذي يقبل التوبة عن عباده:

آيات وفيرة في كتاب الله تنبئ عن قبول توبة التائبين إذا صدقت توبتهم، بأساليب شتَّى، معلَّلة بفضل الله تعالى ومغفرته ورحمته، التي لا تضيق بعاصٍ، وإن عظُمت معصيته.

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَأۡخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٤].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الشورى: ٢٥].

وفي وصف ذاته سبحانه ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ [غافر: ٣].

QaradawiBooks.com

وخصوصًا من تاب وأصلح، وبعبارة أخرى: من تاب وعمل صالحًا كما في قوله في السارق والسارقة: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩].

﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام: ٥٤].

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النحل: ١١٩].

وجاء مدح الله تعالى باسمه «التوّاب» في أحد عشر موضعًا في القرآن، كما في دعاء إبراهيم وإسماعيل: ﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٨].

وكما في قول موسى لبني إسرائيل بعد عبادتهم العجل: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٥٤].

وقال تعالى مخاطبًا رسوله: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٦٤].

الله شكور:

ومن أسماء الله وصفاته التي تفتح في قلب المؤمن طاقة الأمل والرجاء، اسم الله الشكور.

والشكور: صيغة مبالغة من اسم فاعل: شكر، يشكر، فهو شاكر، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمٗا﴾ [النساء: ١٤٧].

QaradawiBooks.com

ومعنى صيغة المبالغة: أنه تعالى يُكثِر من شكر عباده، وإن كان ما يقدِّمونه إليه قليلًا، ولكنَّه من فضله يضاعف العمل القليل من الحسنات، ويعفو عن الذنب الكثير، كما قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٠]. فهو يغفر الكثير، ويشكر القليل.

قال الله تعالى: ﴿إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

وقال الله تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧].

قال أبو حامد الغزالي: «الشكور هو الذي يجازي بيسير الطاعات كثير الدرجات، ويعطي بالعمل في أيام معدودة نعيمًا في الآخرة غير محدود، ومن جازى الحسنة بأضعافها يقال: إنه شكر تلك الحسنة، ومن أثنى على المحسن أيضًا يقال: إنه شكر.

فإن نظرت إلى معنى الزيادة في المجازاة، لم يكن الشَّكور المطلق إلَّا الله ﷻ؛ لأنَّ زياداته في المجازاة غير محصورة ولا محدودة، ذلك أنَّ نعيم الجنّة لا آخر له، والله ﷻ يقول: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

وإن نظرنا إلى معنى الثناء فإنَّ ثناء كل مُثْنٍ يكون على فعل غيره، والرب ﷻ، إذا أثنى على أعمال عباده فقد أثنى على فعل نفسه، لأنَّ أعمالهم من خلقه، فإن كان الذي أُعطي فأثنى شكورًا، فالذي أعطى وأثنى على المعطي أحق بأن يكون شكورًا، ومن ثنائه ﷻ على عباده قوله سبحانه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]،

QaradawiBooks.com

وقوله جلَّ من قائل: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [صٓ: ٣٠]. كل ذلك وما يجري مجراه عطية منه سبحانه»(١).

مضاعفة الحسنات:

وممَّا يفتح باب الرجاء مضاعفة الله ثواب الحسنات: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]. فالسيئة تجزى بسيئة مثلها، أو يعفو الله عنها، أو يتوب العبد منها، أو يشفع له الملائكة أو الأنبياء أو المؤمنون فيها.

والسيئة إذا أقبل عليها الإنسان ثم غلب عليه خوف الله وحساب الآخرة، فتركها، تكتب في ميزان حسناته.

والحسنة يمكن أن تضاعف أكثر من عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله، كما قال تعالى في وصف الصدقة في سبيل الله: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]. وما يصفه الله جل شأنه بالعظمة، فهو شيء فوق تصوُّرنا للعظمة.

فالله لا يضيع ثواب الحسنة يقدمها الإنسان الصالح، وإن كانت مثقال ذرة، أو مثقال حبة خردل، ويضاعف له أجرها، بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما هو أكثر، ثم يزيد على ذلك ليؤتي من لدنه أجرًا عظيمًا.

---

(١) المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى للغزالي صـ ١٠٥، ١٠٦.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وهكذا ترى في مجال الحسنات يُعامِل بغَيْرِ ما يعامل به السيئات؛ الحسنات تضاعف وتزداد: بالنية، وبدعاء الصالحين، أو بمصاب المصابين، وبأسباب كثيرة، ولكن السيئة لا تضاعف ولا تزداد على المكلَّف، بل إنَّ الله تعالى بأدنى الأشياء يزيلها، ولو بشفاعة الشافعين، أو بدعاء الصالحين، أو بفضله ورحمته، وهو أرحم الراحمين.

وقد جاء في الحديث الذي رواه الشيخان عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ، فيما يرويه عن ربِّ العزَّة تبارك وتعالى، أنه قال: «**إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك، فمن همَّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها فعملها كتبها الله له عشر حسنات، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، وإن همَّ بسيئة فلم يعملها كتبها الله له حسنة كاملة، وإن همَّ بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة**»[(١)].

وهناك من الحسنات ومن الصالحات ما يثاب عليه الإنسان أضعافًا مضاعفة، تبلغ السبعمائة وما فوق السبعمائة، كالنفقة في سبيل الله، ونصرة الإسلام، وإعلاء كلمة الله في الأرض، يقول الله عز وجل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقد ورد في الصيام، عن النبي ﷺ، أنَّه يخبر عن ربِّ العزة: «**كل عمل ابن آدم يضاعف له، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلَّا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به**»[(٢)].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٤٩١)، ومسلم في الإيمان (١٣١).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٠٤)، ومسلم (١١٥١)(١٦٤)، كلاهما في الصيام، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

أي يضاعف الله ثواب الصيام بأكثر من سبعمائة ضعف، إن الله يضاعف بنفسه، ويجزي بنفسه، والكريم إذا أعطى بيده، ولم يَكِلْ إلى خدمه أو أعوانه أو وكلائه، إذا أعطى بنفسه، ومنح بيده، فإنه يُجزل العطاء ويُعظِّم الأجر.

ولهذا ورد عن أبي هريرة في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠]، فقال: الأجر العظيم من الله، فمَن يقدر قدره؟[١].

وقال الله تعالى في شأن الصابرين: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠].

الرجاء في القرآن

قد نوَّه الله ﷻ بأهل الرجاء، وبيَّن أنَّ الرجاء من أخلاق المؤمنين التي يستوجبون بها رحمة الله وغفرانه، فقرنه بالإيمان فقال:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة: ٢١٨].

وقد قارن الله بين أهل الإيمان وبين أعدائهم ممَّن هم حرب على الله ورسوله، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤]، أي: قد اشتركتم معهم في الألم، وامتاز المؤمنون برجاء الأجر والزُّلْفى من الله تعالى.

---

(١) رواه أحمد (١٠٧٦٠) وقال مُخرِّجوه: إسناده ضعيف.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

فوصفهم سبحانه بالقنوت والطاعة، والخوف من عذابه، والطمع في رحمته، وهي صفات أولي الألباب من العالِمين الذين تنفعهم الذكرى.

ووصف القرآن أهل الرجاء الحق بأنهم مهَّدوا لهذا الرجاء وقرنوه بالعمل الصالح من تلاوة كتاب الله وإقام الصلاة والإنفاق في سبيل الله سرًّا وعلانية، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ۞ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠]. فلم يضيع الله هذا الرجاء الحار، فأربح تجارتهم، وأنجح سعيهم، ووفاهم أجورهم، وزادهم من فضله، إنه غفور شكور.

وقرن الله تعالى بين الائتساء بالنبي ﷺ، ورجاء الله واليوم الآخر، فقال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقد قرنه كذلك بالتبرؤ من الشرك وأهله، فقال: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۞ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۞ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾ [الممتحنة: ٤ ـ ٦].

QaradawiBooks.com

وقَرَن القــرآن الرجاء بالخوف، فالخوف والرجــاء قرينان لا ينفكُّ أحدهما عن الآخر. ﴿ وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًا ﴾ [الأعراف: ٥٦]. ﴿ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ ﴾ [الأنبياء: ٩٠]. ﴿ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وكما بيَّنَّا، فينبغي على المؤمن أن يكون في حال وسط بين الرجاء والخوف، فلا يبالغ فــي الرجاء فيوصله إلى ترك العمــل فيكون غرورًا وخداعًا للنفس، ولا يبالغ في الخــوف فيوصله إلى اليأس والقنوط من رحمة الله.

أشدُّ الآيات رجاءً:

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز كثيرًا من آيات الرجاء في مناســبات متعدِّدة ليثبِّت بذلك المؤمنين، ويشــرح صدورهم، فتستبشــر نفوسهم، وليضاعف في نشــاطهم للعمــل الصالــح، والإقلاع عــن المخالفات والسَّيِّئات، وليتحبَّب إلى عباده، فيزدادون له حبًّا، ويتسارعون إليه قُربًا، وذكــر كل آيات الرجاء في القــرآن يطول، فالقرآن مشــحون بما يرجِّي المؤمن في الله تعالى وعفوه ولقائه وحسن جزائه، ونصره ومعونته لأهل الإيمان، وتبديله العسر يسرًا، لكننا سنقتصر من تلك الآيات على ما عدَّه العلماء أرجى آيات القرآن.

وقد اختلف العلماء في أعظم الآيات رجاء، أو أرجى آية في كتاب الله:

١ ـ فقال بعضهم: أرجى آية قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣].

وإليه ذهب عبد الله بن عمرو بن العاص.

QaradawiBooks.com

٢ ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أرجى آية: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]. قال: فَرَضِيَ منه سبحانه بقوله: بلى.

فقد ذكر ابن كثير عن الطبري وابن أبي حاتم بسندهما عن محمد بن المنكدر، قال: التقى عبد الله بن عباس وابن عمرو، فقال له ابن عباس: أي آية في كتاب الله أرجى عندك؟ قال عبد الله بن عمرو: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]. فقال: فقال ابن عباس: لكن أنا أقول: قول الله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] فرضي من إبراهيم قوله: ﴿بَلَىٰ﴾، فهذا لما يعترض في النفوس ويوسوس الشيطان[1].

٣ ـ وقال بعضهم: أرجى آية قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]. فجعل كلَّ الذنوب دون الشرك في رجاء المغفرة.

قال العلامة الشوكاني: «واعلم أن هذه الآية أرجى آية في كتاب الله سبحانه، لاشتمالها على أعظم بشارة، فإنه أولًا أضاف العباد إلى نفسه لقصد تشريفهم، ومزيد تبشيرهم، ثم وصفهم بالإسراف في المعاصي، والاستكثار من الذنوب، ثم عقَّب ذلك بالنهي عن القنوط من الرحمة لهؤلاء المستكثرين من الذنوب، فالنهي عن القنوط للمذنبين غير المسرفين من باب الأولى، وبفحوى الخطاب، ثم جاء بما لا يبقى بعده

(١) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥٠٩/٢)، والطبري في تفسيره (٤٨٩/٥)، والحاكم في الإيمان (٦٠/١)، وقال: صحيح على شرط الشيخين. وقال الذهبي: فيه انقطاع؛ وذكره ابن كثير في تفسيره (٦٩٠/١).

QaradawiBooks.com

شك، ولا يتخالج القلب عند سماعه ظن، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ﴾، فالألف واللام قد صيَّرت الجمع الذي دخلت عليه للجنس الذي يستلزم استغراق أفراده، فهو في قوة: إنَّ الله يغفر كلَّ ذنب كائنًا ما كان، إلَّا ما أخرجه النص القرآني وهو الشرك: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦] ثم لم يكتف بما أخبر عباده من مغفرة كل ذنب، بل أكَّد ذلك بقوله: ﴿جَمِيعًا﴾ فيا لها من بشارة ترتاح لها قلوب المؤمنين المحسنين ظنَّهم بربِّهم الصادقين في رجائه، الخالعين لثياب القنوط، الرافضين لسوء الظن بمن لا يتعاظمه ذنب، ولا يبخل بمغفرته ورحمته على عباده المتوجِّهين إليه في طلب العفو الملتجئين به في مغفرة ذنوبهم! وما أحسن ما علَّل سبحانه به هذا الكلام قائلًا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾. أي: كثير المغفرة والرحمة عظيمهما بليغهما واسعهما، فمن أبى هذا التفضُّل العظيم والعطاء الجسيم وظنَّ أنَّ تقنيط عباد الله وتأييسهم من رحمته أولى بهم ممَّا بشَّرهم الله به، فقد ركب أعظم الشطط، وغلط أقبح الغلط، فإن التبشير وعدم التقنيط الذي جاءت به مواعيد الله في كتابه العزيز، والمسلك الذي سلكه رسوله ﷺ، كما صحَّ عنه من قوله: «**يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا**»[(١)]»[(٢)].

٤ ـ وقال عبد الله بن المبارك: أرجى آية قوله تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢][(٣)]. فكأنه جعل التحريض على طلب المغفرة من الله، مفيدًا للرجاء في الآية.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (٦٩)، ومسلم في الجهاد (١٧٣٤)، عن أنس.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني (٥٣٨/٤، ٥٣٩)، نشر دار الكلم الطيب، دمشق، ط ٢، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

(٣) رواه مسلم في التوبة عقب حديث رقم (٢٧٧٠) (٥٦).

QaradawiBooks.com

وهذه الآية نزلت في شأن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد حلف ألَّا يعطي قريبه مِسْطَحًا ما كان يعطيه من قبل، بعدما شارك في حديث الإفك، وقال في ابنته عائشة رضي الله عنها ما قال، فقال أبو بكر: بلى، أحبُّ أن يغفر الله لي(١).

٥ ـ وقال بعضهم: أرجى آية قول الله تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وهو قول أبي عثمان النهدي، ذكره ابن أبي الدنيا في كتاب التوبة(٢).

وذلك لأنَّ «عسى» من الله تعالى فيها إطْمَاعٌ، وفتْح باب الرجاء، والكريم إذا أَطمع لم يمنع، فكيف والله تعالى الأكرم والأجل؟! فلذلك كانت: «عسى» و«لعل» من الله تعالى واجبة التحقيق كما في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ﴾ [الإسراء: ٨]، وقد قال ابن عباس: إن «عسى» من الله واجبة، نقله عنه علي بن أبي طلحة(٣).

٦ ـ وقال بعضهم: أرجى آية قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦].

٧ ـ وقال بعضهم: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٦١)، ومسلم في التوبة (٢٧٧٠) (٥٦)، عن عائشة.

(٢) انظر: كتاب التوبة لابن أبي الدنيا (٤٥)، تحقيق مجدي السيد إبراهيم، نشر مكتبة القرآن، مصر.

(٣) رواه ابن جرير في تفسيره (١٤/١٦٧ ـ ١٦٨). ورواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس مرسلة، فإن ابن أبي طلحة لم ير ابن عباس.

QaradawiBooks.com

قال أبو جعفر النحاس: إن هذه الآية عندي أرجى آية في القرآن إلَّا أنَّ ابن عباس قال: أرجى آية في القرآن ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] ـ وكذا حكاه عنه مَكِيُّ ـ ولم يقل على إحسانهم.. نقله السيوطي في «الإتقان»[١].

٨ ـ وقال بعضهم: أرجى آية: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨]. والعذاب في الآية مقصور على الكافرين المكذبين.

قاله الكرماني في «غرائب التفسير»[٢]، وقال الثعلبي: ورأيت في بعض التفاسير أنّ هذه أرجى آية للموحّدين في القرآن[٣].

٩ ـ وقال بعضهم: أرجى آية: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]. فالكافر إذا أتى بالتوحيد والشهادة يُغْفر له، فيكف بالموحِّد؟ أو كما قال بعضهم: يغفر لمن كفر سبعين سنة بإيمان ساعة، كسحرة فرعون.

قال الشبلي: لما أذن للكافرين بدخول الباب، إذا أتوا بالتوحيد والشهادة، أتُراه يخرج الداخل فيها والمقيم عليها[٤].

---

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (١٥٠/٤)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

(٢) غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني (٧١٨/٢)، نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي (٢٤٦/٦)، تحقيق أبي محمد بن عاشور، نشر دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي (٤٤٦/١، ٤٤٧)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي، ط١، ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م.

QaradawiBooks.com

١٠ ـ ويروى عن عمر بن الخطاب[١] أنَّ أرجى آية قوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣].

فإنَّه سبحانه قدَّم مغفرة الذنب على التوبة، فكأنَّه يغفر للمذنب قبل أن يتوب، ثم عقَّب على ذلك بوعيد عظيم (**شَدِيدِ العِقَابِ**)، لكن ختمه بوعد كريم فقال: (**ذِي الطَّوْلِ**).

فذكر الوعيد بين وعودٍ كريمةٍ سابقةٍ ولاحقةٍ، فإنَّ رحمة الله سبحانه سبقت وغلبت غضبه.

وقد ذكر القرطبي في تفسيره والسيوطي وغيرهما: أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه افتقد رجلًا من أهل الشام، فقيل له: تتابع في هذا الشراب.

فقال عمر لكاتبه: اكتب. من عمر إلى فلان، سلام عليك، فأنا أحمد الله إليك الذي لا إله إلَّا هو ﴿حمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۞ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [غافر: ١ ـ ٣].. وختم الكتاب.

وقال عمر لحامل الكتاب: لا تدفعه إليه حتى تجده صاحيًا، ثم أمر عمر من عنده بالدعاء لذلك الرجل بالتوبة.

فلمَّا أتته الصحيفة جعل يقرؤها، ويقول: قد وعدني ربي، قد وعدني الله أن يغفر لي، وحذَّرني عقابه، فلم يَبْرَح يردِّدها حتى بكى، ثم نزع عن الشرب، وحَسُنَت توبته.

---

(١) ذكره القرطبي في تفسيره (١٠/٣٢٢)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

QaradawiBooks.com

فلمَّا بلغ عمرَ توبتُه. قال: هكذا فاصنعوا إذا رأيتم أخاكم قد زلَّ زَلَّةً فسدِّدوه، ووقِّفوه، وادعوا الله له أن يتوب عليه، ولا تكونوا أعوانًا للشياطين عليه! أي: بالسبِّ واللعن والشتم وتعجيل إقامة الحدِّ عليه[1].

١١ ـ وقال الصِّدِّيق رضي الله عنه: لم أر آية أرجى من قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٣، ٨٤].

أي: كلُّ أحدٍ يعمل على شاكلته، ثم قال: لا يشاكل بالعبد إلَّا العصيان، ولا يشاكل بالربِّ إلَّا الغفران. وهذا من باب:

إنْ تغفر اللهُمَّ تغفر جمًّا وأيُّ عبدٍ لك لا ألمَّا[2]

ومن آيات الرجاء قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الزمر: ٣٣ ـ ٣٥].

ولا شك أنَّ الذي تكرَّم وكفَّر عنهم أسوَأ ما عملوا، قد كفَّر عنهم ممَّا دونه من كل شيء، ثم جزاهُم أجرهم على نسبةِ أحسن عملٍ عملوه، فرفع عملهم الحسن إلى رتبة الأحسن، وجزاهم أجرهم على ذلك.

---

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٤/٩٧)، والقرطبي في تفسيره (١٥/٢٥٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٧/٢٧٠، ٢٧١).

(٢) رواه الترمذي في التفسير (٣٢٨٤)، وقال: حسن صحيح غريب. والحاكم في التفسير (٢/٤٦٩)، وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٧٩)، عن ابن عباس مرفوعًا.

QaradawiBooks.com

١٢ ـ وقال علي بن أبي طالب: إن أرجى آية هي قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥]. وهي الشفاعة. رواه ابن خزيمة في التوحيد(١).

والحق أن ما يُعطى لمحمد رسول الله ﷺ من خيرات وفضائل ومُقوِّمات حتى يرضى، بعضها ممَّا يكون في الآخرة، من الشفاعة العظمى، والموقف المشهود، واللواء المعقود، والمقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة لعصاة المؤمنين، وأنَّه أول مَن يُفتح له باب الجنة، إلى آخره. والمهم هنا أنَّ الله سيعطيه ممَّا عنده من فضل وخير، فيرضى.

وكما قلنا إنَّ آيات الرجاء في القرآن فوق العد والحصر، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧].

ومن آيات الرجاء العظيمة قوله تعالى في وصف المؤمن: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦].. فانظر كيف قال تعالى: ﴿نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ﴾ ولم يقل: نتقبل منهم، لأنه ضمَّن التَّقبُّل معنى العَفْو والصَّفح.

والمعنى: نعفُو ونَصْفَحُ عنهم ونتقبَّل منهم، ولولا صَفْحُه عن تقصيرهم ما قَبِلَ منهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فما أعظم عَفْوَه! وما أوسَعَ مغفرتَهُ!

---

(١) «التوحيد وإثبات صفات الرب عَزَّوَجَلَّ» لابن خزيمة (٦٧٣/٢)، تحقيق عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط ٥، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

QaradawiBooks.com

رجاء الرسول ﷺ

كان الرسول ﷺ سيِّد الراجين، كيف لا وهو أعلم الناس بالله تعالى وأخشاهم له، وقد شَهِدَ الله سبحانه له بهذا الخُلق، فقال سبحانه: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨].

وقد جعل الله ـ كما ذكرنا ـ طريق الرجاء بالاقتداء به ﷺ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

فمن كان يرجو الله واليوم الآخر فعليه أن يتأسَّى برسول الله ﷺ حتى يصدق رجاؤه.

حثُّه ﷺ أمته على الرجاء:

وقد حثَّ عليه الصلاة والسلام أمته على أن تتمسك في طريقها إلى الله بالرجاء في رحمة الله، فمن ذلك ما روى مسلم عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذْنِبُون، فيستغفرون الله فيغفر لهم**»(١).

وروى مسلم عن أبي هريرة، أنَّ النبي ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمنُ ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنَّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة، ما قنط من جنَّته أحد**»(٢).

---

(١) رواه مسلم في التوبة (٢٧٤٩)، وأحمد (٨٠٨٢)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٥).

QaradawiBooks.com

رجاء النبيِّ ﷺ لنفسه ولأمته:

١ ـ ومن ذلك: رجاؤه لنفسه أن يكون صاحب الوسيلة في الجنَّة، وهي المنزلة التي لا ينبغي أن تكون لأحد سواه.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذِّن، فقولوا مثلما يقول، ثم صلُّوا عليَّ، فإنَّه من صلَّى عليَّ مرةً صلَّى الله عليه بها عشرًا، ثم سَلُوا الله ﷻ لي الوسيلة، فإنَّها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة**»(١).

٢ ـ رجاؤه أن تكون أمَّتُه أكثر الأمم:

ومن ذلك: أن تكون أمته يوم القيامة أعظم الأمم وأكثرها أتباعًا لنبيٍّ.

قال الرسول ﷺ: «**ما من الأنبياء من نبيٍّ إلَّا قد أُعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنَّما كان الذي أُوتيت وحيًا أوحى الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»(٢).

٣ ـ رجاؤه لأمته أن تكون نصف أهل الجنة:

ومن هذه الكثرة المأمولة لأمة محمد أن تكون نصف أهل الجنة:

روى البخاري ومسلم، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنا مع النبي في قُبَّة، فقال: «**أترضَوْن أن تكونوا رُبُع أهل الجنة؟**».

---

(١) رواه مسلم في الصلاة (٣٨٤)، وأحمد (٦٥٦٨).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في فضائل القرآن (٤٩٨١)، ومسلم في الإيمان (١٥٢)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قلنا: نعم.

قال: «أترضَوْن أن تكونوا ثُلُث أهل الجنة؟».

قلنا: نعم.

قال: «**أترضون أن تكونوا شَطْرَ أهل الجنة**».

قلنا: نعم.

قال: «**والذي نفس محمد بيده، إنِّي لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلَّا نفسٌ مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلَّا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر**»[1].

والله ﷻ هو المأمول أن يُحقِّق رجاءه، ويُؤْتيه سُؤْله، كما وعده ربُّه سبحانه: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥].

ومع ذلك، فقد كان ﷺ يلجأ إلى الله ﷻ لتحقيق ما يؤمِّله ويرجوه، وكان من دعائه ﷺ: «**رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين**»[2].

وهل يمكن أن تزيد الأمة عن النصف من أهل الجنة؟

أعتقد أن رجاء الرسول الكريم من ربِّه لا يمنع من ذلك، وخصوصًا أنَّ الامة تتَّسع رُقعتها، ويزيد عددها يومًا بعد يوم، وهي اليوم تزيد كثيرًا بين الأمم في المقدار على السوداء في الجلد الأبيض، وهي اليوم ومن

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٢٨)، ومسلم في الإيمان (٢٢١).

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٣٠)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن في المتابعات والشواهد. وأبو داود في الأدب (٥٠٩٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٧٠١)، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨)، عن أبي بكرة.

QaradawiBooks.com

سنين مضت يقدَّر عددها بنحو مليار وسبعمائة وخمسين ألفًا، مع أنَّ بعض البلاد كالصين تقلِّل عدد المسلمين عن حقيقتهم، وكل يوم يزداد الإسلام اتساعًا.

غير مرخصة للطباعة

وقد صحَّ من الأحاديث ما يدل على أنَّ العالم كلَّه سيدخل الإسلام في أواخر الزمان، عند نزول المسيح عيسى بن مريم، وحكمه بالإسلام، كما جاء في الحديث: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر أو وبر إلَّا أدخله الله هذا الإسلام**»[1].

بواعث الرجاء في الله عز وجل ومعوقاته:

الباعث الأول: الإيمان بسَعَة رحمة الله تعالى

إن المؤمن عظيم الرجاء في الله عز وجل؛ لأنَّه يؤمن بسَعَة رحمته، وعظيم مغفرته، ويحسن الظنَّ بربِّه عز وجل.

قال الله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد توسَّل بتلك الرحمة حملة العرش ومن حوله في دعائهم، قال تعالى: ﴿**ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ**﴾ [غافر: ٧]. فلولا أنَّ في ذلك مَطْمَعًا ورجاءً ما توسَّلت به ملائكة الله تعالى في دعائهم.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنَّ الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعةً**

---

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. والحاكم في الفتن والملاحم (٤/٤٣٠)، وصحَّحه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (٣)، عن تميم الداري.

QaradawiBooks.com

وتسعين رحمةً، وأرسل في خلقه كلهم رحمة واحدة، فلو يعلم الكافر بكلِّ الذي عند الله من الرحمة لم ييْئس من جنَّته، ولو يعلم المؤمن بكلِّ الذي عند الله من العذاب لم يأْمن من النار»[١].

ورواه مسلم بلفظ: «**إنَّ لله مائة رحمة، واحدة بين الجنِّ والإنس والبهائم والهوامِّ، فبها يتعاطفون، وبها يتراحمون، وبها تَعْطِفُ الوحْشُ على ولدها، وأخَّر الله تعالى تسعًا وتسعين رحمةً، يرحم بها عباده يوم القيامة**»[٢].

فما أحوجَ الخلائق إلى رحمة الله تعالى يوم القيامة، لقد وسعهم كلهم جزءٌ واحدٌ في الدنيا، أما يوم القيامة فيُرحمون بمائة جزء.

فرحمة الله تعالى واسعة، كما قال النبي ﷺ حينما رأى امرأةً أسيرةً في إحدى الغزوات، جاءت وقد ألصقت طفلًا بصدرها، واحتضنته وضمَّته، إشفاقًا عليه، فقال النبي ﷺ لأصحابه: «**أترون هذه المرأة طارحةً وَلَدَها في النار؟**». قلنا: لا، والله وهي تقدر على أن لا تطرحه. فقال رسول الله ﷺ: «**للهُ أرحم بعباده من هذه بولدها**»[٣].

وروى البخاري ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا قضى الله الخلق**[٤] - وعند مسلم: لمَّا خلق الله الخلق - **كَتَبَ في كتابه، فهو عنده فوق العرش، إنَّ رحمتي تَغْلب غضبي**»[٥].

(١) رواه البخاري في الرقاق (٦٤٦٩).

(٢) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥٢).

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٩٩)، ومسلم في الأدب (٢٧٥٤)، عن عمر بن الخطاب.

(٤) رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٤).

(٥) رواه مسلم في التوبة (٢٧٥١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

وعند البخاري: «**إنَّ رحمتي غَلَبت غضبي**»(١). وفي رواية له: «**إنَّ رحمتي سبقت غضبي**»(٢).

رحمة الله واسعةٌ قضى بها لمن يستحقُّها:

قال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

روى الترمذي، عن أنس، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من ذكرني يومًا، أو خافني في مقام**»(٣).

وتتجلَّى الرحمة الإلهية في هذا اليوم العصيب، يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه.

وقال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح(٤).

الباعث الثاني: الإيمان بسَعَة مغفرة الله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]. فمهما اتَّسعت رقعة الذنب فميدان المغفرة أوسع، ولذلك أرشد النَّبيُّ ﷺ إلى التوسُّل إلى الله تعالى بسَعَة مغفرته.

---

(١) رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٤).

(٢) رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢).

(٣) رواه الترمذي في صفة جهنم (٢٥٩٤)، وقال: حسن غريب. والحاكم في الإيمان (٧٠/١)، وصحَّح إسناده ووافقه الذهبي، وضعَّفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٤٣٦).

(٤) رواه أحمد (٦٤٩٤) وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الأدب (٤٩٤١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٤)، والحاكم في البر والصلة (١٥٩/٤) وقال: بعد أن ذكره مع أحاديث عدة في الباب: وهذه الأحاديث كلها صحيحة، ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في الصحيحة (٩٢٥)، عن عبد الله بن عمرو.

QaradawiBooks.com

روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: واذنوباه! قال هذا القول مرتين أو ثلاثًا.

فقال له رسول الله ﷺ: «**قل: اللهمَّ مغفرتُك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي**». فقالها، ثم قال له ﷺ: «**عدْ**». فعاد، ثم قال له: «**عد**»، فقالها ثلاثًا. فقال له ﷺ: «**قم، فقد غفر الله لك**»(١).

وروى مسلم عن أبي ذر مرفوعًا: «**يقول الله تعالى: من تقرَّب منِّي شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا، ومن تقرَّب منِّي ذراعًا تقرَّبت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقُراب الأرض** ـ أي بملئها ـ **خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة**»(٢).

وروى الترمذي عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله تبارك وتعالى: يا ابنَ آدم، إنَّك ما دعوتَني ورجَوْتَني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي.**

يا ابنَ آدم، إنَّك لو بلغت ذنوبُك عَنان السماء (أي: السحاب الذي فيها) ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي.

يا ابنَ آدم، إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة»(٣).

---

(١) رواه الحاكم في الدعاء (٥٤٣/١)، وقال: رواته عن آخرهم مدنيون ممَّن لا يعرف واحد منهم بجرح، ولم يخرِّجاه. ووافقه الذهبي.

(٢) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٦٨٧)، وأحمد (٢١٣١٥).

(٣) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٤٠)، وقال: حسن غريب. عن أنس. وهو الحديث الأخير من أحاديث الأربعين النووية، وقال ابن رجب في شرحه جامع العلوم والحكم (٤٠٠/٢): وإسناده لا بأس به، و«قراب الأرض» أي ما يقارب ملأها.

QaradawiBooks.com

ومعنى قوله: «ولا أبالي» أي: لا تهمُّني كثرة ذنوبك، ولا يعظم عليَّ مغفرتها، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣] إلَّا الشِّرك به: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. ولكن الشِّرك يُغفر بالتوبة.

وفي هذا الحديث القدسي يفتح الله ﷻ لعباده باب الرجاء فتحًا كبيرًا، فَيُصَوِّر له كَثْرَةَ ذنوبه كثرةً فاحشة، بحيث إنَّها بلغت وعمَّت ما بينه وبين سَحَاب السَّماء، ثم تاب إلى الله توبةً صادقة، فإنَّ الله يغفر له هذه الذنوب الكثيرة ولا يبالي سبحانه بكَثْرتها.

والمغفرة: وقاية شرِّ الذنوب مع سَتْرها، فالمغفرة من الله تقي صاحبها من شرِّ الذنوب، وذلك بسَتْر الله لها.

والتوبة: العودةُ والرجوع إلى الله ﷻ، ولتكون التوبة توبةً صادقةً ينبغي أن تستوفي شروطها، وهي ثلاثة:

١ ـ الإقلاع عن الذنب في الحاضر.

٢ ـ والندم على ما فَرَط منه في الماضي.

٣ ـ والعزم على ألَّا يعود في المستقبل.

ومن سَعَة مغفرته سبحانه أنَّه يغفر لبني آدم خطاياهم المتواصلة في الليل والنهار، من كبائرَ أو صغائر أو فَرَطَاتٍ أو تقصيرات إذا هم استغفروه.

وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه فيما يرويه عن ربِّه ﷻ أنَّه قال: «**يا عبادي، إنَّكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا، فاستغفروني أغفر لكم**»(١).

(١) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٧٧).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فآثام العباد وذنوبهم كثيرة مستمرة، لا تنقطع ليل نهار، ولكنَّ عفو الله تعالى ومغفرته أعظم وأوسع، ولذلك تمدَّح الله عَزَّ وَجَلَّ بقوله عقبه: «**وأنا أغفر الذنوب جميعًا**».

من أسباب المغفرة:

وإنَّ مغفرة الله تعالى لا حَظْر عليها، ولا ضيق فيها، فإنَّ الله تعالى يغفر لمن يشاء بأيِّ سببٍ شاء، من أسباب ظاهرة: كالتوبة، والاستغفار، والدعاء، والصَّدقات، والصَّلوات، والحسنات، والأوراد.. إلخ. ومنها أسباب باطنة خفيَّة هو أعلمُ بها سبحانه، كالخشية والإنابة وحسن الظن بالله.. إلخ.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

التوبة تَجُبُّ ما قبلها:

كل الذنوب قابلة للمغفرة بالتوبة، حتى الشرك والكفر بالله عَزَّ وَجَلَّ، ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ ﴾ [الأنفال: ٣٨]، الإسلام يجُبَّ ما قبله، والتوبة تَجُبُّ ما قبلها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، إنَّ فضل الله تعالى علينا عظيم، ولكنَّا لا نقابل هذا الفضل بما يستحق.

إن الله سبحانه بمجرد توبة العبد الصادقة، يجعل الله تعالى سيئاته حسنات، كما قال تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]. فبمجرد أن يجتنب المؤمن الكبائر

QaradawiBooks.com

والموبقات من الذنوب، مبتعدين عنهـــا، مقتصرين على الصغائر، فإنَّ الله تعالى يمحو هذه الصغائر، ويدخلهم مدخلًا كريمًا.

بل حتى أصحـــاب الذنوب الكبائر إن تابوا إلـــى الله قبل توبتهم وفرح بها.

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلَّه بأرض فلاة**»(١).

وعن أبي ســعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن نبيَّ الله ﷺ قـــال: «**كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتســعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدُلَّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له مـــن توبة؟ فقال: نعم، من يحول بينه وبيـــن التوبة؟ انطلق إلـــى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسًـــا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض ســـوء. فانطلق حتى إذا نَصَف الطريقَ، فأتاه مَلَك الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله تعالى. وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط. فأتاهم مَلَك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم، فقال: قيســـوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما أدنى كان فهو له. فقاســـوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة**».

وفي رواية: «**فكان إلى القرية الصالحة أقرب بشبر، فجُعل من أهلها**».

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٩)، ومسلم في التوبة (٢٧٤٧).

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

وفي رواية: «**فأوحى الله إلى هذه أن تباعـدي، وإلى هذه أن تقرَّبي، وقال: قيسوا بينهما، فوجدوه إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له**».

قال قتادة: قال الحسن: «ذُكِر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نأى بصدره نحوها» رواه البخاري، ومسلم، وابن ماجه(١) بنحوه.

وعن أبي هريرة ﵁ أن رسـول الله ﷺ قال: «**قال الله ﷿: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرنـي، واللهِ للهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالَّتـه بالفلاة، ومن تقرَّب إليَّ شـبرًا تقرَّبت إليه ذراعًا، ومن تقرَّب إليَّ ذراعًا تقرَّبت إليه باعًا، وإذا أقبل إلي يمشي أقبلت إليه أهرول**» رواه مسلم(٢).

وعن شـريح ـ هو ابن الحارث ـ قال: سـمعت رجلًا من أصحاب النبي ﷺ يقول: قال النبي: «قال الله ﷿: يا ابن آدم، قم إليَّ أمْشِ إليك، وامشِ إليَّ أُهرول إليك»(٣).

في كل كبدٍ رطْبة أجر:

ومن أسباب المغفرة من الله: ما رواه الصحابي الحافظ للحديث أبو هريرة ﵁، أن النبيَّ ﷺ قال: «**بَيْنا رجل يمشـي فاشـتدَّ عليه العطش، فنزل بئرًا، فشـرب منها، ثم خرج، فإذا هو بكلب يلهث(٤)، يأكل الثَّرى**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٧٠)، ومسلم في التوبة (٢٧٦٦)، كما رواه ابن ماجه في الديات (٢٦٢٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في التوبة (٢٦٧٥).

(٣) رواه أحمـد (١٥٩٢٥) وقال مخرِّجوه: إسـناده صحيـح. وقال الهيثمي فـي مجمع الزوائد (١٧٥٠٠): رجاله رجال الصحيح غير شريح بن الحارث، وهو ثقة.

(٤) واللهث: ارتفاع النَّفَس من شدة الإعياء. ولهث الكلب: إخراج لسانه.

QaradawiBooks.com

من العطش، فقال: لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي. فملأ خُفَّه، ثم أمسكه بفيه، ثم رَقِيَ، فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له».

قالوا: يا رسـول الله، وإنَّ لنا في البهائم أجـرًا؟ ـ أي: إذا رحمناها وأحسـنَّا إليها؟ ـ قال ﷺ: «**في كلِّ كبدٍ رَطْبَةٍ أجر**»[1]. أي: إن الله تعالى جعل في كل كبـد رطْبة ثواب وأجر ومعفرة. ورطوبـة هذه الكبد دليل على «حيويتها»، فكل من أحسن إليها يستحق الأجر.

إيصال الخير ودفع الشر:

وعنه أيضًا: قال ﷺ: «**بينما رجلٌ يمشـي بطريق، وَجَد غُصْنَ شَوْكٍ على الطريق، فأخَّره** (أي: أزاله وأبعده عن الطريق) **فَشَكَرَ الله تعالى له، فغفر له**»[2].

فكلُّ عمل فيه إيصال خيرٍ لإنسـان أو بهيمة أو طير أو دفع شرٍّ عنه، فإنَّ الله يشكر صاحبه عليه، ومن شكره مغفرته للعامل بذلك العمل.

مغفرة الله للكفْل من بني إسرائيل:

روى أحمد في مسـنده، والترمذي، والحاكم في مستدركه، عن ابن عمر ﵄، قال: لقد سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لو لم أسمعه إلَّا مرةً أو مرتين ـ حتَّى عَدَّ سبعَ مرار ـ ولكن قد سـمعتُه أكثرَ من ذلك، قال: «**كان الكفْـل من بني إسـرائيل، لا يتورَّع من ذنب عملـه، فأتته امرأة، فأعطاها سـتين دينارًا على أن يطأهـا، فلما قعد منهـا مَقْعَد الرجل من امرأته، أُرعدت** (أي اضْطَربت وارتعشت) **وَبَكت. فقال: ما يُبكيكِ؟ هل**

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المساقاة (٢٣٦٣)، ومسلم في السلام (٢٢٤٤).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٦٥٢)، ومسلم في الإمارة (١٩١٤).

QaradawiBooks.com

أكرهتك؟ (أيْ: هل أرغمتك وحملتك على الفاحشة كُرْهًا؟) **قالت: لا، ولكنه عمل ما عملته قط، وما حملني عليه إلَّا الحاجة. فقال: أتفعلينَ هذا وما فعلتِه، اذهبي فهي لك. وقـال: واللهِ لا أعصي الله بعدها أبدًا. فمات من ليلته، فأصبح مكتوبًا على بابه: إنَّ الله قد غَفَر للكِفْل**»[١].

فمن أعظم أسباب المغفرة: الصبر عن المعصية بعد القدرة عليها والتمكن منها.

لا تَحَكُّم للمخلوقِ في مغفرة الله عَزَّوَجَلَّ:

روى مسلم، عن جندب: أنَّ رســول الله ﷺ حدَّث أن رجلًا قال: والله لا يغفر الله لفلان. وأنَّ الله تعالى قال: مَنْ ذا الذي يتألّى عليَّ (أي: يحلف) أن لا أغفر لفلان، فإنِّي قد غفرتُ لفلان، وأحبطتُ عملك[٢].

فمن حَلَف أنَّ الله تعالى لا يغفر لفلان، واستبعد ذلك على الله تعالى، فإنَّ الله تعالى يُحبط عمله، ويغفر لذلك المذنب، فلا حكم لأحد على الله تعالى، وإنَّما الحكم لله تعالى.

الرجلان المتآخيان: المذنب والطائع من بني إسرائيل:

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ســمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كان رجلان في بني إسرائيل متآخِيَيْن، فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخـر على الذنب، فيقول: أقصر** ـ أي: كُفَّ وأمسـك ـ **فوجده يومًا على ذنبٍ، فقال له: أقصر. فقـال: خَلِّني وربي، أبُعثتَ عليَّ رقيبًا؟ فقال: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الله الجنة.**

(١) سبق تخريجه صـ٢٤٩.
(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٦٢١).

QaradawiBooks.com

فقبض أرواحَهما، فاجتمعا عند رب العالمين، فقال لهذا المجتهد (في العبادة): أكنت بي عالمًا أو كنتَ على ما في يدي قادرًا؟ (أي: حتى حلفت عليَّ أن لا أغفر له).

وقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي. وقال للآخر: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلَّم (أي: العابد) بكلمةٍ أوبقت دنياه وآخرته»[١] أي: أهلكته في الدنيا والآخرة.

فيجب على العابد الطائع ألَّا يحتقر غيره من المذنبين، وألَّا ينظر إليهم بعين الازدراء، وينظر إلى حاله بعين التعظيم والإكبار والإعجاب، فإنَّ ذلك من موجبات الهلاك والطرد والشقاء.

قال أحد الصَّالحين: انكسار العاصي خير من صَوْلة المطيع[٢].

وقال العارف ابن عطاء الله: معصية أورثت ذلًّا واحتقارًا، خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزًّا واستكبارًا[٣].

وقال الإمام ابن القيم: تعيِيرُك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا من ذنبه، وأشدُّ من معصيته، لما فيه من صَوْلة الطاعة، وتزكية النفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة من الذنب، وأن أخاك باء به، ولعل كَسْرَتَه بذنبه، وما أحدث له من الذلة والخضوع، والإزراء على نفسه،

(١) رواه أحمد (٨٢٩٢)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٤٩٠١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٧١٢).

(٢) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري (١٤٣/٧)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م.

(٣) انظر: الحكمة الخامسة والتسعون والسادسة والتسعون، من الحكم العطائية صـ ٦٢.

QaradawiBooks.com

والتخلص من مرض الدَّعْوى، والكبر والعُجب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرأس، خاشع الطرْف، منكسر القلب؛ أنفع له، وخير من صَوْلة طاعتك، وتكثُّرك بها والاعتداد بهـا، والمِنَّة على الله وخلقه بها، فما أقرب هذا العاصي من رحمة الله! وما أقرب هذا المُدِلَّ من مقت الله، فذنب تذلُّ به لديه، أحب إليه من طاعة تُدِلُّ بها عليه، وإنَّك أنْ تبيت نائمًا وتصبح نادمًـا، خيرٌ من أن تبيـت قائمًا وتصبـح مُعْجَبًا، فإنَّ المُعجَب لا يصعد له عمل، وإنك إن تضحك وأنت معترف، خير من أن تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله من زَجَل المسبِّحين المُدِلِّين، ولعل الله أسقاه بهذا الذنب دواءً اسـتخرج به داءً قاتلًا هو فيك ولا تشعر[1].

خوف الرجل الإسرائيلي المسرف من ذنوبه:

وفي صحيحـي البخـاري ومسـلم، والرواية للبخـاري عـن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**كان** (أي: في بني إسرائيل) **رجلٌ يُسْرف على نفسـه** (يبالغ في المعاصي ويتجاوز الحد)، **فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مـتُّ فأحرقوني، ثـم اطْحَنُونِي، ثم ذرُّوني** ـ انثروني وفرِّقونـي ـ **في الريح، فوالله لئن قَدَر علـيَّ ربي ليعذِّبنِّي عذابًا ما عذَّبه أحدًا.**

فلمَّا مات فعل به ذلك، فأمر الله الأرض، فقال: اجمعي ما فيك منه. ففعلتْ، فإذا هو قائم، فقـال: ما حملك على ما صنعـت؟ قال: يا ربِّ خشيتك. فغفر له». وفي رواية: «**مخافتك يا رب**»[2].

(١) مدارج السالكين (١/١٩٥).

(٢) سبق تخريجه صـ٢٥٠.

QaradawiBooks.com

كيف يغفر الله للمتشكك في قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى؟

قال الخطَّابي: قد يُستشكل، فيقال: كيف يغفر الله له، وهو منكر للبعث والقدرة على إحياء الموتى؟

والجواب: أنه لم ينكر البعث، وإنَّما جهل، فظنَّ أنه إذا فعل ذلك به لا يعاد فلا يعذَّب، وقد ظهر إيمانه باعترافه بأنَّه فعل ذلك من خشية الله تعالى.

ويجاب عن شأن ذاك الرجل أيضًا: بأنه كان يُسْرِفُ على نفسه، ولكن عنده خوف من الله تعالى، فلمَّا حضرته الوفاة اشتدَّ عليه الخوف، وكبُر وعظم، فشدَّة الخوف أدهشته، اختلَّ تفكيره، فأوصى بذلك، والله تعالى أعلم(١).

الباعث الثالث: حُسْن الظَّنِّ بالله تعالى:

من أعظم البواعث على الرجاء في الله تعالى: أن يكون المؤمن حَسَن الظَّنِّ بالله تعالى في أمور دينه ودنياه، وأمور أُولاه وأُخْراه، ولا يجوز لمسلم أن يُسيءَ الظنَّ بالله تعالى، فإنَّ ذلك من صفات المنافقين والكافرين كما ذكر الله تعالى عنهم.

قال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [الفتح: ٦].

(١) انظر: أعلام الحديث للخطابي (١٥٦٥/٣)، تحقيق د. محمد بن سعد بن عبد الرحمٰن آل سعود، نشر جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

وقال تعالى مخاطبًا المنافقين: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢].

وروى البخاري، ومسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقول الله عز وجل: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني**»[١].

وروى أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «**حُسْنُ الظنِّ من حُسن العبادة**»[٢].

وعن جابر أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول قبل موته ﷺ بثلاثة أيام: «**لا يموتنَّ أحدكم إلَّا وهو يُحسن الظنَّ بالله عز وجل**»[٣].

وروى أحمد وابن حبان أنَّ وَاثِلَة بن الأَسْقَع الصحابي دخل إلى يزيد بن الأسود يعوده، فأقبل واثلة حتى جلس، فأخذ يزيد بكفيْ واثلة، فجعلهما على وجهه. فقال له واثلةُ: كيف ظنُّك بالله تعالى؟ فقال: ظنِّي بالله تعالى واللهِ حسنٌ. فقال واثلة: فأبشر، فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قال الله عز وجل: أنا عند ظنِّ عبدي بي، إنْ ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًّا فله**»[٤].

---

(١) سبق تخريجه صـ٢٩٥.

(٢) رواه أحمد (٧٩٥٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأدب (٤٩٩٣)، وابن حبان في الرقائق (٦٣١)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٣١٥٠).

(٣) رواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٧٧)، وأحمد (١٤١٢٥).

(٤) رواه أحمد (١٦٠١٦)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان الرقائق (٦٤١)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٨٥٣).

QaradawiBooks.com

الباعث الرابع: تذكر نعم الله سبحانه:

ومن بواعث الرجاء: تذكُّر نعم الله تعالى عليك؛ فهي لا تُعَدُّ ولا تُحْصى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨]، وما أكثر النِّعم التي تحيط بنا ولا نذكرها، لإلفنا لها، فلا نشعر بها إلَّا حين نفقدها!

وما أكثر النعم التي تنَزَّلت علينا بدون سؤال منا ولا حاجة، وتتابعَتْ علينا في نهارنا وليلنا، وفي صحتنا وعافيتنا، وقيامنا وقعودنا، وفي حركاتنا وسكناتنا، كلها تدعونا وتحثُّنا على دوام الرجاء والطَّمع فيما عنده سبحانه.

وقد ذكرنا بعض هذه النعم في بداية حديثنا عن الرجاء، لكن نذكر هنا أثرًا إلٰهيًّا ورد في كتب الرقائق، وإن لم يكن له سند، ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام ابن القيم، ولكن معناه صحيح، ويعبِّر عن معانٍ عظيمة، ثابتة كلها بالقرآن والسُّنَّة، تعبِّر عن فضل الله تبارك وتعالى على عباده، وعن كفران العباد لجميل الله تعالى ونعمه عليهم، وفضله إليهم، وإحسانه بهم يقول: «إني والإنس والجن في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري، وأرزق ويشكر سواي، خيري إلى العباد نازل، وشرُّهم إليّ صاعد، أتحبَّب إليهم بنعمي وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شيء إليّ، من أقبل عليّ منهم تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب، آل ذكري أهل مجالستي، وآل طاعتي آل محبتي، وآل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي، إنْ تابوا إليَّ فأنا حبيبهم، فأنا أحبُّ التوابين وأُحبُّ المتطهرين، وإنْ أبوا فأنا طبيبهم، أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعايب، الحسنة عندي بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف أو أزيد، والسيئة عندي بواحدة أو أعفو، رحمتي سبقت

QaradawiBooks.com

غضبي، وحلمي سبق مؤاخذتي، وعفوي سبق عقوبتي، وأنا أرحم بعبادي من الوالدة بولدها»[(١)].

الباعث الخامس: تذكُّر ثواب الله في جنته:

تذكُّر ما أعد الله سبحانه للمؤمنين من الثَّواب الجزيل، والجود والعطاء الوفير، ففي جنَّة الخلد ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطرَ على قلب بشر.

إنَّها جنة عرضها كعرض السماء والأرض، أُعِدَّت للذين آمنوا بالله ورسله، «فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى: ﴿ **فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ** ﴾ [السجدة: ١٧]»[(٢)].

أتعلمون كم مساحة هذه الجنة؟

ذكر القرآن عرضها فقال: ﴿ **وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وإذا كان عرض الجنة عرض السماوات والأرض، والعرضُ أقل من الطول، فكم يكون طول الجنة؟!

وكم يكون ملك الشخص من أهل الجنة؟ كم تكون المساحة التي له؟ قَدِّر ثم قدِّر، ثم قدِّر، سيكون نصيبُه أضعاف ما تُقَدِّر.

لتعرف الحقيقة: اقرأ هذا الحديث وما بعده في فضل الجنة وما فيها.

---

(١) مدارج السالكين (١/٢١٢).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٤)، ومسلم في الجنة (٢٨٢٤)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

ذكر ما لأدنى أهل الجنة فيها:

تأمل هذين الحديثين اللذين رواهما مسلم، فيما لأدنى أهل الجنة فيها:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال: رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة، فيقال له: ادخل الجنة.

فيقول: رب، كيفَ وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أَخَذَاتِهم؟

فيقال له: أترْضَى أن يكون لك مثل مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟

فيقول: رضيتُ ربِّ.

فيقول له: لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله.

فقال في الخامسة: رضيتُ ربِّ.

فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهتْ نفسُك، ولذَّتْ عينُك. فيقول: رضيتُ ربِّ.

قال (موسى عليه السلام): ربِّ، فأعلاهم منزلة؟ قال: أولئك الذين أردتُ، غرسْتُ كرامتهم بيدي، وخَتَمْتُ عليها، فلم تَرَ عَيْنٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشر[1].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة: رجل صَرَف الله وجهَه عن النار، قِبَل الجنة، ومَثَّل له**

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٨٩)، والترمذي في التفسير (٣١٩٨).

QaradawiBooks.com

شـــجرةً ذات ظِلٍّ، فقال: أيْ ربِّ، قرِّبني إلى هذه الشجرة، أكون في ظِلِّها..». فذكر الحديث في دخوله الجنة وتمنِّيه إلى أن قال في آخره: «**حتى إذا انقطعتْ به الأمانيُّ قال الله: هو لك وعشـــرة أمثاله**». قال: «**ثم يدخـــل بيته، فتدخل عليـــه زوجتاه من الحـــور العين، فتقولان: الحمد لله الذي أحْياكَ لنـــا، وأحيانا لك**». قال: «**فيقول: ما أُعْطي أحد مثلَ ما أعْطِيتُ!**»[1].

وصف درجات الجنة وغرفها وأنهارها:

وانظر هذه الأحاديث في درجات الجنة، وغرفها وخيامها وأنهارها:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أنَّ رســـول الله ﷺ قال: «**إنَّ أهل الجنة لَيَتَرَاءَوْن أهل الغُرَف من فوقهم، كما يَتَرَاءَوْن الكوكب الدُّرِّيَّ الغابر من الأفق من المشـــرق أو المغرب، لِتفَاضُلِ ما بينهم**». قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغهـــا غيرهم! قال: «**بلى، والذي نفســـي بيده، رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين**»[2].

وعن أبي مالك عن النبي ﷺ: «**إنَّ في الجنـــة غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها، أعدَّها الله لمن أَطْعَم الطعام، وأَفْشَى السلام، وصَلَّى بالليل والناسُ نيام**»[3].

---

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٨٨)، وأحمد (١١٢١٦).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٥٦)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣١).

(٣) رواه أحمد (٢٢٩٠٥)، وقال مخرِّجوه: إســـناده حســـن. وابن خزيمة في الصيام (٢١٣٧)، وابن حبان في البر والإحسان (٥٠٩)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥١٦٢): رواه أحمد ورجاله ثقات.

QaradawiBooks.com

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ في الجنة مائةَ درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض**»(١).

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إنَّ للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضًا**»(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الكوثر نهَر في الجنة، حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج**»(٣).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك. قال: فضرب المَلَك بيده، فإذا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ**»(٤).

وعن حكيم بن معاوية القُشَيْري، عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**في الجنة بحر للماء، وبحر للبن، وبحر للعسل، وبحر للخمر، ثم تشقق الأنهار بعدُ**»(٥).

---

(١) رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٧٩٠).

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٣)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٣٨).

(٣) رواه أحمد (٥٩١٣) وقال مخرِّجوه: حديث قوي. والترمذي في التفسير (٣٣٦١) وقال: حسن صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٣٣٤).

(٤) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٨١).

(٥) رواه أحمد (٢٠٠٥٢) وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. والترمذي في صفة الجنة (٢٥٧١) وقال: حسن صحيح. وابن حبان في المناقب (٧٤٠٩). وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٢٢).

QaradawiBooks.com

وفي القرآن الكريم: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ [محمد: ١٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، إنْ شئتم فاقرؤوا: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾** [الواقعة: ٣٠، ٣١]»(١).

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري في التفسير (٤٨٨١).

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مَوسُوعَةُ الأعمالِ الكامِلَةِ
لِسَماحَةِ الإمامِ
يُوسُف القَرَضَاوي

الفهارس العامة

- فهــرس الآيات القرآنيــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشــريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	١	٢٦٦
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	٢	١٥٢
﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾	٥	٣٤
سورة البقرة		
﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾	٤٥	٣٥
﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ﴾	٥٤	٢٧١
﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ﴾	١١١، ١١٢	١٩٧، ٢٥٦، ٢٥٩
﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم﴾	١٢٦	٢٦٥
﴿وَتُبۡ عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	١٢٨	٢٧١
﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا﴾	١٥١	١٢٢، ١٤٥
﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾	١٥٢	٤، ١٢، ١٢٣، ١٣٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾	١٥٣	٣٥، ٣٩

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ﴾	١٥٥	٣٦، ٦٩، ٩٢، ٢٠٣، ٢٠٩
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	١٥٦	٦٩، ٧٠، ٩٢
﴿أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾	١٥٧	٦٩، ٧٠، ٩٢
﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	١٥٨	١٢٨، ٢٧١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾	١٧٢	٤، ١٣٠
﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾	١٧٧	٣٥، ٤٥
﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾	١٨٢	٢٠٤
﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾	١٩٤	٤١
﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾	١٩٩	٢٣٩
﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا﴾	٢١٤	١٠٩، ١١٥
﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا﴾	٢١٦	١٥١
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢١٨	٢٦٠، ٢٧٥
﴿إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾	٢٢٩	٢٠٤
﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾	٢٤٣	١٣٣
﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٢٤٩	٣٥
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن﴾	٢٦٠	٢٧٨
﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ﴾	٢٦١	٢٧٣، ٢٧٤
﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾	٢٦٤	٦٣
﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾	٢٦٨	٦٠

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾	٨	٦٦، ٢٢٢، ٢٤٠
﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾	١٥، ١٦	٣١
﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ ﴾	١٧	٣١، ٣٥
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾	٣٠	١٨٦
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾	٣١	٦٠
﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾	١٠٣	١٤٦
﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾	١٠٧	٢٧٠
﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا ﴾	١٢٠	٣٤
﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾	١٢٠	٣٣
﴿ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم ﴾	١٢٥	٣٣، ٣٤، ٣٦
﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ ﴾	١٣٣	١٧٩، ٣٠٣
﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ ﴾	١٣٤، ١٣٥	١٧٩
﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾	١٣٦	١٧٩، ٢٥٩
﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا ﴾	١٣٩	٣٥، ٣٩
﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ ﴾	١٤٠	١٠٠
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ ﴾	١٤٢	١١١
﴿ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾	١٤٤	١٢٣، ١٣٧، ١٦٥
﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾	١٤٥	١٦٥

QaradawiBooks.com

الآيــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ ﴾	١٤٦	٣٥، ١١٠، ١١٦
﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾	١٤٧	١١٠
﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	١٤٥
﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ ﴾	١٧٥	٢٠٩
﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ ﴾	١٨٦	٣٠، ١٠٨، ١١١
﴿ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى ﴾	١٩٥	٢٦٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ ﴾	٢٠٠	٣٥، ٣٩، ٤٧، ١١٨
سورة النساء		
﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾	٣	٢٠٤
﴿ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ ﴾	١٨	٢٢٣
﴿ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾	١٩	١٥١
﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ﴾	٢٥	٣٥، ٤١
﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾	٣١	٢٩٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا ﴾	٤٠	٢٧٣، ٢٧٥
﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾	٤١	٢٣٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾	٤٨	٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٢، ٢٩٣
﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ ﴾	٦٤	٢٧١
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ ﴾	٨٣	٢٠٣

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾	٩٧	٤٣
﴿وَلَا تَهِنُواْ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ﴾	١٠٤	٢٧٥
﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا﴾	١٢٣، ١٢٤	١٩٧، ٢٥٦، ٢٥٩
﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾	١٤٧	٤، ١٢٢، ١٢٨، ١٦٤، ١٨٤، ٢٧١، ٢٧٢
﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ۝ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾	١٥٦ ـ ١٥٨	١١٤
سورة المائدة		
﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾	٣	١٤٦
﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾	١٣	٥٤
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾	١٥، ١٦	١٤٦
﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾	٢٤، ٢٥	١١٤
﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	٢٠٨
﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعْدِ ظُلْمِهِۦ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾	٣٩	٢٧١
﴿فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾	٤٤	٢٠٩، ٢٢٩
﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٩٨	١٨٤، ١٩٠
﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	١١٨	٢٤٤
سورة الأنعام		
﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	١٥، ١٦	٢١٠
﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾	١٧	٢٤١

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟﴾	٣٤	١٠٢، ١٠٨
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٤٥	١٤٧
﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ﴾	٥٤	٢٧١
﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ ۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ﴾	٨٠، ٨١	٢٠٩
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾	٩٩	١٤٣، ١٤٥
﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	١١٠	٥٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ﴾	١٤١	١٤٣
﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾	١٤٢	١٤١
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ﴾	١٥٣	١٨٢
﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾	١٦٠	٢٧٣
﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾	١٦٥	١٨٦
سورة الأعراف		
﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	١٦	٥٠، ١٣٢
﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ﴾	١٧	١٩، ٥٠، ١٢٩، ١٣٢
﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾	٢٦	١٤٢
﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾	٣١	١٤٤
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾	٤٣	١٥٢
﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	٥٦	١٨٣، ٢٧٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾	٥٩	٢١١
﴿وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا﴾	٧٤	١٤٢
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ﴾	٨٦	١٤٧
﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	٩٩	١٨٤، ١٨٨، ١٩٥
﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾	١٢٣، ١٢٤	١٠٨
﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ۝ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا﴾	١٢٥، ١٢٦	١٠٨
﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾	١٢٧	١١٣
﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟﴾	١٢٨	٩٩، ١١٣
﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾	١٢٩	١١٣
﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾	١٣٧	٤، ٢٩
﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٥١	٢٦٧
﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾	١٥٦	٢٦٤، ٢٨٨، ٢٩٠
﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١٥٧	٧، ٥١، ١٧٧
﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾	١٧٥، ١٧٦	٢١٩
سورة الأنفال		
﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾	١٥	٣٥، ٣٩
﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾	٢٤	٢٣٢
﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ﴾	٢٦	٢١، ١٤٧
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾	٣٨	٢٧٠، ٢٨١، ٢٩٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٤٦	٣٥، ٨٩، ٩٩
﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾	٥٣	٢١٩
﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ﴾	٦٣	١٤٦
سورة التوبة		
﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ﴾	٢١	٢٦٢
﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا﴾	٣٤	١٣٣
﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾	٧٢	١٦٤
﴿وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾	١٠٢	٢٨٠
﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾	١٠٤	٢٧٠
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾	١١١	٢٦٠
﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾	١٢٨	٢٤٤
سورة يونس		
﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾	٩	٧
﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾	١٠	٧، ١٥٣
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ﴾	٥٧، ٥٨	١٧٩
﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾	٦١	٥٣
﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾	١٠٧	٢٤١
سورة هود		
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ﴾	٩	٨٩
﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ﴾	١٠	٨٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة تجريبية

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾	١١	٣٤، ٦٢، ٨٩
﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾	٤٠	١١١
﴿يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ وَمَا نَحۡنُ بِتَارِكِيٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوۡلِكَ﴾	٥٣	١٠٧
﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾	٨٤	٢١١
﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطۡغَوۡاْۚ﴾	١١٢، ١١٣	٢٣٤
﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ﴾	١٢٠	١٠٢
سورة يوسف		
﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾	١٨	٨٥
﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾	٢٣	٤٩، ٥٣
﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٞ كَرِيمٞ﴾	٣١، ٣٢	٤٩
﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ﴾	٣٣	٤٩، ٨٧
﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾	٣٩	٢٦٦
﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٦٤	٢٦٧
﴿تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾	٨٥، ٨٦	٨٥
﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ﴾	٨٧	١٨٤، ١٨٨، ١٩٥، ١٩٩
﴿يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٩٢	٢٦٧
﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾	٩٨	٢٧٩
﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾	١٠٠	٩٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾	١٠١	٢١
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾	١١٠	١٠٩
سورة الرعد		
﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾	٤	١٤٣
﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾	٦	١٨٦، ١٩٠، ٢٨٠، ٢٨١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾	١١	٥٤
﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ﴾	١٦	٢٦٦
﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً﴾	١٧	١١٧
﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾	٢٠	٣٢
﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾	٢١	٢٧، ٢٠٧
﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾	٢٢	٢٧، ٣٢، ٤٣
﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾	٢٣	٣٧، ٤٦
﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾	٢٤	٣١، ٣٧، ٤٦
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾	٣٥	١٢٨
سورة إبراهيم		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾	٥	١١، ١٧، ٣٦، ١٢٣
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	١٢٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٧، ١٥٩، ١٦٠
﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾	١٢	١٠٠، ١٠٨، ١١٠
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ﴾	١٣ ـ ١٥	٢١٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا ﴾	٢١ ـ ٢٣	١٨٧
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾	٢٨	١٥٨
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾	٣٢	١٣٩، ١٤٤
﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾	٣٣	١٣٩، ١٤١
﴿ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾	٣٤	١٨، ١٣٤، ١٣٧
﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ﴾	٣٦	٢٤٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾	٤٧	١٨٥
﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾	٤٨	٢٦٦
سورة الحجر		
﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴾	١٦	١٤٥
﴿ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	٤٩	١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠
﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾	٥٠	١٨٣، ١٨٤، ١٩٠، ٢٦٨
﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾	٥٦	١٩٩
﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾	٩٩	٦٥
سورة النحل		
﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾	٥	١٤٠، ١٤٤
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	٦	١٤٥
﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	٨	١٤٥
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ﴾	١٤	١٤٤

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ ﴾	١٨	٣٠٢
﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗۖ ﴾	٤١	٣٢
﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	٤٢	٣٢، ١٠٠
﴿ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ ﴾	٤٧	٢٠٤
﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾	٥٠	٢٢٧، ٢٣٠
﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ﴾	٥٣	٧٠، ١٣٤، ١٤٩
﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ ﴾	٦٦	١٤٤
﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ ﴾	٦٧	١٤٤
﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعۡرِشُونَ ﴾	٦٨	١٤٠
﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ ﴾	٦٩	١٤٠، ١٤٤
﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم ﴾	٧٢	١٤٢
﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾	٧٨	٤، ١٢٣، ١٣٨، ٢٦٤
﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٧٩	١٤٠
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾	٩٠	٦٣
﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ ﴾	٩٦	٣٦، ٩٢
﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ ﴾	٩٧	٢٨٤
﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا ﴾	١١٢	١٦١
﴿ فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾	١١٤	١٢٣، ١٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ ﴾	١١٩	٢٧١
﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	١٢٠	١٢٣
﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٢١	٢٠، ١٢٣، ١٢٩
﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ﴾	١٢٦	٣٥، ٤٠
﴿ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ﴾	١٢٧	٣٥، ٣٩، ١٠٧
سورة الإسراء		
﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	٣	٢٠، ١٢٣، ١٢٩
﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ﴾	٨	٢٨٠
﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	١٣ ـ ١٤	٥٧
﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾	٢٨	٢٨٥
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾	٥٧	١٨٨، ٢١٠، ٢٧٧
﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾	٦٠	٢٠٨
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم ﴾	٧٠	١٣٧
﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾	٨١	١١٧
﴿ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴾	٨٣	٨٩، ٢٨٣
﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ﴾	٨٤	٢٨٣
﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴾	١٠٠	١٣٥
سورة الكهف		
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	٦	٢٤٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾	٢٨	٢٥
﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾	٣٣	١٦١
﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ﴾	٣٤ ـ ٣٦	١٦١
﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ﴾	٤٢، ٤٣	١٦٢
﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾	٥٤	١٣٥
﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾	١١٠	٢٦٠
سورة مريم		
﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾	٣١	٦٦
﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾	٤٤، ٤٥	٢١١
﴿رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾	٦٥	٦٠
﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾	٨١، ٨٢	٢٥٨
سورة طه		
﴿طه ۞ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾	١، ٢	٢٤٧
﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾	٤٥	٢٠٩
﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾	٤٨	٢٨١
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾	٦٧	٢٠٩
﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾	١٠٨	١٨٦
﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾	١٢٤	٢١٩
﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾	١٣٢	٦١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأنبياء		
﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾	١٠	١٤٦
﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾	٣٠	١٤٤
﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ﴾	٤٧	٥٧
﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۞ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾	٦٢، ٦٣	١١٣
﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾	٦٨	١١٣
﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾	٦٩	١١٣
﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ﴾	٨٠	١٤٢
﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	٨٣	٨٥، ٢٦٧
﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم﴾	٨٤	٨٥
﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾	٩٠	١٨٨، ١٩٥، ٢٣٠، ٢٧٧
سورة المؤمنون		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ۞ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً﴾	١٢، ١٣	١٣٨
﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	٢٨	١٤٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾	٥٧ ـ ٦٠	٢٢١
﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١٠٩	٢٦٧
﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾	١١١	٣٠
﴿وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾	١١٨	٢٦٧

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النور		
﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	٢٢	٢٧٩
﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣١	٩
﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾	٣٧	٢١٠
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم﴾	٥٥	٢١٠
سورة الفرقان		
﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾	٢٦	١٨٦
﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾	٤٢	١١٨
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا﴾	٤٧	١٤١
﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾	٤٨	١٤٤
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾	٦٢	١٤١
﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾	٧٠	٢٩٣
﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾	٧٤	٤، ٣٠
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً﴾	٧٥	٤، ٣٠، ٤٥، ٢١٣
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾	٧٦	٤، ٣٠، ٢١٣
سورة الشعراء		
﴿طسٓمٓ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝ لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾	١ ـ ٣	٢٤٧
﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	١٣١	٢١١

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾	١٣٢	١٤٢، ٢١١
﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴾	١٣٣	١٤٢، ٢١١
﴿ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	١٣٤	١٤٢، ٢١١
﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	١٣٥	٢١١
سورة النمل		
﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٥	١٦٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ ﴾	١٨	١٣٠
﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾	١٩	٢١، ١٣٠، ١٦٣
﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ ﴾	٣٦	١٦٣
﴿ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ ﴾	٤٠	١٣٠، ١٦٣، ١٧٢
﴿ فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ﴾	٦٠	١٤٥
﴿ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾	٨٨	١٤٥
سورة القصص		
﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾	٧١ ـ ٧٣	١٤١
﴿ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾	٧٨	١١٣، ١٦٢
سورة العنكبوت		
﴿ الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	١ ـ ٣	١٠٣، ١١٠، ١١٥
﴿ فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	١٧	١٢٣، ١٣١

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾	٤٥	١٣٠
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾	٥٨، ٥٩	٣٢، ٦٣، ٩٢
سورة الروم		
﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾	٢١	١٤٢
﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾	٤١	٢١٥
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾	٤٧	١١٢
﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾	٦٠	٣٤
سورة لقمان		
﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾	١٠، ١١	١٤٣
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ﴾	١٢	١٣٠
﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾	١٤	١٣١، ١٦٥
﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾	١٧	١٠٦
﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾	٢٠	١٧، ٢٦٣
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ﴾	٣١	٤، ١١
سورة السجدة		
﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾	٧	١٤٥
﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾	١٦	١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٦، ٢٠٤
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	١٧	١٩٦، ٣٠٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّا مِنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾	٢٢	١٨٥
﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ﴾	٢٤	٣٢، ٣٧
سورة الأحزاب		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ﴾	٩	١٤٧
﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ﴾	١٩	٢٠٤
﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾	٢١	٢٨٥، ٢٧٦
﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ﴾	٣٥	٣١، ١٢٩، ٢٧٢
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ﴾	٣٩	٢٠٩
﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾	٧٢	١٣٥
سورة سبأ		
﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾	١٣	٢١، ١٩، ١٢٤، ١٢٩، ١٣٢، ١٥٩
﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ﴾	١٥ ـ ١٧	١٦١
﴿سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾	١٨	١٤٢
﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾	١٩	١١، ٣٦
﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُ﴾	٢٤	١٣٩
﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾	٥٤	٢٢٣
سورة فاطر		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم﴾	٣	١٣٩

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾	٨	٢٤٧
﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾	٢٨	٥٧، ٢٠٧، ٢٢٧، ٢٣٠
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ﴾	٢٩	٢٦١، ٢٧٦
﴿لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾	٣٠	١٢٨، ٢٧٢، ٢٧٦
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾	٣٤	١٢٩
﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ﴾	٤٥	٢١٥
سورة يس		
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ﴾	١١	٢١٤
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا﴾	٣٣ ـ ٣٥	١٤٠
﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ﴾	٧١ ـ ٧٣	١٤٠
سورة الصافات		
﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾	١٠٢ ـ ١٠٦	٦١
سورة ص		
﴿وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ﴾	٦	١١٨
﴿إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾	٣٠	١٢٩، ٢٧٣
سورة الزمر		
﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ﴾	٧	٤، ١٢٢، ١٢٤
﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾	٩	١٨٣، ١٨٨، ٢١٠، ٢٧٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾	١٠	٣١، ٣٦، ٩٢، ٢٧٥
﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾	١٥	٢٠٨
﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾	١٦	٢٠٦، ٢٠٨
﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾	٣٣ ـ ٣٥	٢٨٣
﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾	٥٣	١٩٩، ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٢
﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾	٦٦	١٣٠
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ﴾	٧٤	١٥٣
سورة غافر		
﴿حمٓ ۞ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾	١ ـ ٢	٢٨٢
﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ﴾	٣	١٩٠، ٢٧٠، ٢٨٢
﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾	٧	٢٦٤، ٢٨٨
﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ﴾	٨ ـ ١١	٢٦٤
﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾	١٦	٢٦٦
﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾	١٩	٥٣
﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾	٢٦ ـ ٢٨	١١٣
﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ۞ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ﴾	٣٠ ـ ٣٣	٢١١
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ﴾	٦١	١٣٣

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٦٤	١٤٥
﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾	٨٤	٢٢٣
سورة فصلت		
﴿حمٓ ۞ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا﴾	١ ـ ٥	١٠٧
﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾	٢٣	١٩٨، ٢٦١
﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾	٣٥	٣٦
﴿وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾	٤٩	٨٩
سورة الشورى		
﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾	٢٥	٢٧٠
﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾	٣٠	٢١٥، ٢١٩
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾	٣٢	٣٧
﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾	٣٣	٤، ١١، ٣٧
﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ﴾	٤١، ٤٢	٤٠
﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	٤٣	٣٦، ٤٠
﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٥٣	٧
سورة الزخرف		
﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	٥٣
سورة الدخان		
﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ۞ طَعَامُ الْأَثِيمِ ۞ كَالْمُهْلِ يَغْلِي﴾	٤٣ ـ ٥٧	١٨٧

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الجاثية		
﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾	١٢، ١٣	١٣٩، ٢٦٣
سورة الأحقاف		
﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾	١٦	٢٨٤
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾	٣٥	٣٥، ٣٩، ١١١، ٢٨٠
سورة محمد		
﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ﴾	١٥	٣٠٧
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾	٣١	١١١
﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾	٣٣	٣٥، ٣٩، ٦٣
سورة الفتح		
﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ﴾	٦	٣٠٠
﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾	١٢	٣٠١
سورة الحجرات		
﴿وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾	٧، ٨	١٤٦
﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ﴾	١٧	١٤٦
سورة ق		
﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا﴾	٦	١٤٥
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ﴾	١٦ ـ ١٨	٥٢
﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۞ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ﴾	٣١، ٣٢	٢١٤

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾	٣٣	١٨٨، ٢١٤
﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ۞ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾	٣٤، ٣٥	٢١٤
سورة الذاريات		
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴾	١٥	٢٢٠
﴿ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴾	١٦	٢٢٠
﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۞ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴾	١٧، ١٨	٢٢٠، ٢٣٩
﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ۞ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ ﴾	٢٢، ٢٣	١٣٩
﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾	٥٠	١٨٣، ٢٠٦
سورة الطور		
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَعِيمٖ ۞ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ ﴾	١٧ ـ ٢٨	٢١٢
﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا ﴾	٤٨	٩٩
سورة النجم		
﴿ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ ﴾	٣٢	٢٩٠
سورة القمر		
﴿ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ فَكَذَّبُواْ عَبۡدَنَا وَقَالُواْ مَجۡنُونٞ وَٱزۡدُجِرَ ﴾	٩ ـ ١٤	٨٥، ١١٢
سورة الرحمن		
﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۞ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۞ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۞ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾	١ ـ ٤	١٣٩
﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾	٤٦	٢١٣، ٢٤٨

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الواقعة		
﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ﴾	٣٠، ٣١	٣٠٧
﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ۝ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾	٦٣ ـ ٦٥	١٤٠
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾	٦٨ ـ ٧٠	١٤٠
﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾	٧١ ـ ٧٤	١٤٠
سورة الحديد		
﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾	٢٠	١٨٦، ١٩٠
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾	٢٢، ٢٣	٩٨
﴿وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾	٢٥	١٤٢
سورة الحشر		
﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾	١٩	٢١٨
سورة الممتحنة		
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ﴾	٤ ـ ٦	٢٧٦
سورة الصف		
﴿تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ﴾	١١ ـ ١٢	٢٦٢
سورة التغابن		
﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾	٣	١٣٨
﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ﴾	١٧	١٢٨، ٢٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطلاق		
﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾	٣	٩٦
سورة الملك		
﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ﴾	١٥	١٤٣
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ﴾	١٩	١٤٠
سورة القلم		
﴿نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	١٣٩
سورة الحاقة		
﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾	٢٤	١٢٨، ٢٧٢
﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾	٣٨ ـ ٤٣	٨
سورة المعارج		
﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾	٥	٨٢، ١٠٩
﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾	١٩ ـ ٢٢	٨٩
﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ﴾	٢٣	٦٦
سورة نوح		
﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا﴾	٥ ـ ٩	١٠٦، ١١٢
﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾	١٢	١٤٢
﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ۝ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾	١٩، ٢٠	١٤٣
﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾	٢٦، ٢٧	١١٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المزمل		
﴿ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴾	١٠	١٠٨
سورة المدثر		
﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾	٤٨	٢٥٨
سورة الإنسان		
﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾	١	١٣٧، ٢٥٢، ٢٦٣
﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾	٢	١٠، ١٨، ١٣٧
﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۞ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ﴾	٧ ـ ١٠	٢١٠
﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾	١٢	٣٠، ٤٥
﴿ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴾	٢٢	١٢٤
سورة النازعات		
﴿ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾	٢٤	٦١
﴿ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴾	٣٠	١٤٣
﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴾	٣١	١٤٣، ١٤٤
﴿ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴾	٣٢	١٤٣
﴿ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴾	٣٣	١٤٣، ١٤١
﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴾	٤٠، ٤١	٢١٣، ٢٤٨
سورة عبس		
﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ۞ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ۞ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴾	٢٤ ـ ٣٢	١٤١، ١٤٣

QaradawiBooks.com

الآيــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة التكوير		
﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾	١	٢٣٣
سورة الانفطار		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾	٧، ٨	١٣٨، ١٤٥
﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۞ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾	١٣، ١٤	١٨٧
سورة المطففين		
﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾	١٤	٥٥
سورة الأعلى		
﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۞ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾	١٤ ـ ١٥	١٧٨
سورة الفجر		
﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ۞ ٱرۡجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً﴾	٢٧ ـ ٣٠	١٨٠
سورة البلد		
﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾	٤	١٨، ١٠٠
﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۞ وَلِسَانًا وَشَفَتَيۡنِ﴾	٨، ٩	١٣٩
سورة الشمس		
﴿وَنَفۡسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۞ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۞ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾	٧ ـ ١٠	١٧٨
سورة الضحى		
﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾	٥	٢٨٤، ٢٨٧

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴾	٨	٢١
﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾	١١	٢١، ١٦٨
سورة الشرح		
﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾	٥، ٦	٩٥
سورة التين		
﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾	٤	١٣٨
سورة العلق		
﴿ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۞ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۞ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾	٣ ـ ٥	١٣٩
سورة البينة		
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾	٥	٦٢
سورة العاديات		
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾	٦	١٣٥
سورة العصر		
﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۞ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢، ٣	١٠٦
سورة قريش		
﴿ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾	٤	١٤٢

❊ ❊ ❊

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
أترون هذه المرأة طارحةً وَلَدَها في النار؟. قلنا: لا	٢٨٩
اتقي الله واصبري قالت: إليك عني، فإنك لم تصب بمصيبتي!	٧٨
أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي	٢٣٦
أحبُّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلَّ. وفي لفظ: ما داوم عليه صاحبه	٦٦
إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه ثم صبر عوَّضتُه عنهما الجنة	٧٦
إذا زنى العبد خرج منه الإيمان فكان فوق رأسه كالظلة	٥٦
إذا سبقت للعبد من الله منزلة لم يبلغها بعمله، ابتلاه الله في جسده	٩٠
إذا مات ولد العبد، قال الله لملائكته: قبضتم ولد عبدي؟	٧٦
أشهد أن لا إلٰه إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله	٢٣٩
أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لا شريك له، لا إلٰه إلَّا هو، وإليه النشور	١٥٥
أعوذ بعزتك أن تُضلَّني، أنت الحيُّ الذي لا يموت	٢٤١
أفلا أكون عبدًا شكورًا	١٢٢، ١٢٤، ١٥٩
اقرأ عليَّ قلتُ: آقرأ عليك وعليك أنزل؟	٢٣٦
ألا إنَّ سِلْعة الله غالية، ألا إنَّ سِلْعة الله الجنة	٢٦٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ألا وإنَّ في الجسد مُضغة: إذا صلحت صلح الجسد كله	١٧٨
الله أكبر، ما ولدت؟ قلت: غلامًا. قال: الحمد لله	٧٤
اللهمَّ آت نفسي تقواها، وزكِّها أنت خير من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها	٢٤٢
اللهمَّ اؤجرني في مصيبتي، وأخلف لي خيرًا منها	٧١
اللهمَّ اجعل خير عمري آخره، وخير عملي خواتمه، وخير أيامي يوم ألقاك	٢٢٢
اللهمَّ أطعمتَ وأسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيتَ، وهديتَ وأحييتَ	١٥٣
اللهمَّ أعنِّي ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ	١٢٤
اللهمَّ اقسم لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك	٨٦
اللهمَّ ألهمني رشدي، وقِني شرَّ نفسي	٢٤٢
اللهمَّ أمتي أمتي	٢٤٤
اللهمَّ أنت السلام ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام	٢٣٩
اللهمَّ إنِّي أسألك من خيره، وخير ما هو له	١٥٤
اللهمَّ، إنِّي أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى	١٩
اللهمَّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك	٢٤١
اللهمَّ، إني أعوذ بك من الجوع، فإنه بئس الضجيع	٢٠
اللهمَّ، إني أعوذ بك من الفقر، والقلَّة، والذِّلَّة، وأعوذ بك من أن أَظْلِمَ أو أُظْلَمَ	١٩
اللهمَّ، إني أعوذ بك من الفقر، والكفر، والفسوق، والشقاق، والنفاق	١٩
اللهمَّ لا تجعل مصيبتنا في ديننا	٨٦
اللهمَّ لك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن	١٥٦
اللهمَّ ما أَصْبَحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقك فمنك وحدك	١٥٥
اللهمَّ مصرِّف القلوب، صرِّف قلوبنا على طاعتك	٢٤١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا	٢٣٣
إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي الأئمة المضلُّون	٢٤٤
إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي عمل قوم لوط	٢٤٥
إنَّ أخوف ما أخاف على أمَّتي كل منافق عليم اللسان	٢٤٥
إنَّ أخوف ما أخاف عليكم الشِّرك الأصغر؛ الرياء	٢٤٥
إنَّ أدنى أهل الجنة منزلة: رجل صَرَف الله وجهَه عن النار	٣٠٤
إنَّ الله إذا أنعم على عبدٍ بنعمة أحبَّ أن يرى أثر نعمتِه على عبده	١٢٧
إنَّ الله تعالى لو عذَّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذَّبهم وهو غير ظالم لهم	٢٣٧
إنَّ الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة، فأمسك عنده تسعةً وتسعين	٢٨٨
إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بيَّن ذلك	٢٧٤
إنَّ الله لا يعذِّب بدمع العين، ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا	٨٠
إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأَكْلة فيحمده عليها	١٣١، ١٦٤
إن الله يحبُّ العبد التقي الغني الخفي	٢٠
إنَّ أهل الجنة لَيَتَرَاءَوْن أهل الغُرَف من فوقهم، كما يَتَرَاءَوْن الكوكب	٣٠٥
إنَّ رحمتي سبقت غضبي	٢٦٥، ٢٩٠
إنْ شئتِ صبرتِ ولك الجنة، وإنْ شئتِ دعوتُ الله أن يعافيك	٣٨
إنَّ العبد ليعمل فيما يرى الناس عمل أهل الجنة، وإنَّه لمن أهل النار	٢٢٢
إنَّ العين لتدمع، وإنَّ القلب ليحزن، ولا نقول إلَّا ما يرضي ربَّنا	٧٢
إنَّ في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها	٣٠٧
إنَّ في الجنة غُرَفًا يُرى ظاهرُها من باطنها، وباطنُها من ظاهرها	٣٠٥
إنَّ في الجنة مائةَ درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله	٣٠٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إنَّ قلوب بني آدم كلها بين إصبعين من أصابع الرحمٰن ﷻ كقلب واحد	٢٢٦
إنَّ للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة، طولها ستون ميلًا	٣٠٦
إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمًّى، فلتصبر، ولتحتسب	٧٢، ٧٩
أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟	٣٠٤
إنَّ المؤمن إذا أذنب ذنبًا كانت نكتة سوداء في قلبه	٥٥
أن الناس يأتون إلى آدم عليه السلام	٢١٧
أنا أَعْلَمُكُم بالله، وأشدُّكم له خشية	٢٢٧
الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسَب دينه	٩٠، ١١٠
إنكم لتعملون أعمالًا هي أدقُّ في أعينكم	٥٨، ٢١٤
إنَّما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى	٦٢
إنَّما مثل العبد المؤمن حين يصيبه الوعك والحمى	٩٤
إنَّما مثلي ومثل الناس، كمثل رجل استوقد نارًا، فلما أضاءت ما حوله	٢٤٧
إنِّي أتقاكم لله، وأشدكم له خشية	٢٠٧
إنِّي أخوفكم لله وأعلمكم بما أتَّقي	٢٣٠
إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون	٢٢٨، ٢٥٢
إنِّي أعلمكم بالله، وأشدكم له خشية	٢٣٠، ٢٣٧
إنِّي لأوعك كما يوعك رجلان منكم	٨٣
أوصيك أن تستحي من الله كما تستحي من الرجل الصالح من قومك	٥٢
إيَّاكم والشح، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا	٢٤٥
إيَّاكم والظن، فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسوا، ولا تحسَّسوا	٢٤٦

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
إياكم والغلو في الدين، فإنَّما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين	٢٤٦
الإيمان: الصبر والسماحة	١٥
ب	
برئ الرسول ﷺ من الصالقة والحالقة والشاقة	٧٣
بشّروا ولا تنفّروا	١٨٩
بل أنا وارأساه	٨٣
بَيْنا رجل يمشي فاشتدَّ عليه العطش، فنزل بئرًا، فشرب منها، ثم خرج	٢٩٥
بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حَافَّتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ	٣٠٦
بينما رجلٌ يمشي بطريق، وَجَد غُصْنَ شَوْكٍ على الطريق، فأخَّره	٢٩٦
ث	
ثلاثة لا تُرَدّ دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر ـ أو حتى يفطر ـ	٨٥
ثلاثةٌ لا يدخلون الجنَّةَ أبدًا	٤٢
ج	
جنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما	٢١٣
ح	
حتى إن الدواب (يعني: آكلة اللحوم كالسباع) لتَشْكَر شَكَرًا من لحومهم	١٢١
حُسْنُ الظنِّ من حُسن العبادة	٣٠١
حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات	٣١
الحمد رأس الشكر، فمن لم يحمد الله لم يشكره	١٦٧
الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور	١٥٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
الحمد لله الذي أذهب عنِّي الأذى وعافاني	١٥٤
الحمد لله الذي أطعم من الطعام	١٥٣
الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا، فكم ممَّن لا كافي له ولا مؤوي	١٥٤
الحمد لله الذي أطعمني هذا، ورزقنيه من غير حول منِّي، ولا قوَّة	١٥٣
الحمدُ لله الذي أطعمَ وسقى، وسوَّغه وجعل له مخْرجًا	١٥٣
الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات	١٥١، ١٥٥
الحمد لله الذي جعله عذبًا فراتًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجاجًا بذنوبنا	١٥٣
الحمد لله الذي عافانا ممَّا ابتلى به كثيرًا من خلقه	١٥٥
الحمد لله الذي عافاني في جسدي، وردَّ عليّ رُوحي، وأذن لي بذكره	١٥٤
الحمد لله الذي عافاني ممَّا ابتلاك به، وفضَّلني على كثير ممَّن خلق تفضيلًا	١٥٥
الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول منِّي ولا قوَّة	١٥٤
الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزَّ جنده، وهزم الأحزاب وحده	١٥٦
ذ	
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء	٢٠
ذهب أهل الدثور بالدرجات العُلَى	٢٠
ر	
الراحمون يرحمهم الرحمٰن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء	٢٩٠
ربِّ أعني ولا تُعِنْ عليَّ، وانصرني ولا تنصر عليَّ	٥
س	
سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ إلَّا ظله	٢٤٨
سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد ملء السماوات وملء الأرض	١٥٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ش	
شيَّبتْني هود، والواقعة، والمرسلات، وعمَّ يتساءلون، و﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾	٢٣٣
ص	
الصبر نصف الإيمان	١٥
ط	
الطاعم الشاكر له مثل أجر الصائم الصابر	١٣٢
الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان	١٥٢
ع	
عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمرَه كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن	٥، ١٧، ٩، ٣٨، ٩٩
عُرضت عليَّ الجنة والنار، فلم أرَ كاليوم في الخير والشر	٢٥٣
ف	
في الجنة بحر للماء، وبحر للبن، وبحر للعسل، وبحر للخمر	٣٠٦
فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت	٣٠٣
ق	
قال الله ﷻ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، إنْ ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًّا فله	٣٠١
قال الله ﷻ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني	٢٩٥
قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا متُّ فحرِّقوه	٢٥٠
قد كان من قبلكم، يؤخذ الرجل، فيحفر له في الأرض	١٠٣
قل: اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظُلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت	٢٣٨
قل: اللهمَّ مغفرتُك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي	٢٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
ك	
كان (أي: في بني إسرائيل) رجلٌ يُسْرف على نفسه	٢٥٠، ٢٩٩
كان رجلان في بني إسرائيل متآخِيَيْن	٢٩٧
كان رسول الله ﷺ إذا عَمِلَ عملا أثبته	٦٦
كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا	٢٩٤
كان الكِفْل من بني إسرائيل، وكان لا يتورَّع من ذنب عمله	٢٤٨، ٢٩٦
كل عمل ابن آدم يضاعف له، الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف	٢٧٤
الكوثر نهَر في الجنة، حافَّتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت	٣٠٦
الكيِّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت	١٩٦
كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه	٢٣٥
كيف تجدُك؟ فقال: أرجو الله تعالى وأخاف ذنوبي	٢١٥
ل	
لا تنس أن تقول في دُبُر كل صلاة: اللهمَّ أعنِّي على ذكرك وشكرك	١٣١
لا ومقلِّب القلوب	٢٣٢
لا يا بنت أبي بكر، يا بنت الصديق، ولكنَّه الذي يصلِّي ويصوم ويتصدَّق	٢٢١
لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمن بالله واليوم الآخر أن تُحِدَّ على ميت فوق ثلاثة	٧٢
لا يرضى الله لعبده المؤمن إذا ذهب بصفيِّه من أهل الأرض	٧٦
لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن	٤٨، ٥٦
لا يشكر اللهَ من لا يشكر الناس	١٤٨، ١٦٥
لا يموتنَّ أحدكم إلَّا وهو يُحسن الظنَّ بالله ﷻ	٣٠١
لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضلَّه بأرض فلاة	٢٩٤

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
لمَّا قضى الله الخلق ـ وعند مسلم: لمَّا خلق الله الخلق ـ كَتَبَ في كتابه	٢٨٩
لن ينجي أحدًا منكم عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟	٢٣٩، ٢٦١
لو أنَّ رجلًا يُجرُّ على وجهه من يوم وُلِدَ إلى يوم يموت هَرَمًا	٢٢١
لو تعلمون ما أعلم، لبكيتم كثيرًا، ولضحكتم قليلًا	٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣
لو لم تُذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يُذْنِبُون، فيستغفرون الله فيغفر لهم	٢٨٥
لو يعلم المؤمنُ ما عند الله من العقوبة، ما طمع بجنَّته أحد	٢٥٢، ٢٨٥
لولا أن أشقَّ على المؤمنين لأمرتهم بتأخير العشاء وبالسواك عند كل صلاة	٢٤٦
لولا خشية القود يوم القيامة، لأوجعتُك بهذا السواك	٢٣٥
ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار	٢٨٨
ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة مؤمنة	٥، ١٣١، ١٣٣
ليس منَّا من لطم الخدود وشقَّ الجيوب، ودعا بدعوى الجاهلية	٧٢
لئن قدر الله علي ليعذبنِّي عذابًا ما عذبه أحدًا	٢٥٠
م	
ما أُعطيَ أحد عطاءً خيرًا له وأوسع من الصبر	٣٨
ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إنِّي لأعلمهم بالله	٢٣٣
ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده	٢٣٥
ما من عبدٍ تصيبه مصيبة، فيقول: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون	٧٠
ما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن ﷻ	٢٣٢
ما من مصيبة تصيب المسلم إلَّا كفَّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها	٧٧، ٨٩
ما يصيب المسلم، من نصب ولا وصب، ولا هم ولا حزن ولا أذى	٩٠، ٩٥

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
مُثَبِّتَ القلوب، ثبِّت قلوبنا على دينك	٢٤١
مثل المؤمن تصيبه الوعكة من البلاء، كمثل الحديدة تدخل النار	٩٤
مُرها فلتصبر ولتحتسب	٣٣
من أتى إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئوه، فادعوا له	١٦٦
من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا	١٦٤
من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية	٢٥١
من صُنع إليه معروفٌ فقال لصاحبه: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء	١٦٦
من صُنع إليه معروف فليجزِه، فإن لم يجد ما يجزيه، فليُثن عليه	١٦٦
من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير	١٦٨
من لم يشكر الناس لم يشكر الله	١٥٩
من يتصبر يصبِّرْه الله	٣٧
المؤمن يرى ذنبه فوقه كالجبل يخاف أن يقع عليه	٢١٤
ن	
نعم، ما من خلق الله من بني آدم من بَشَر إلَّا أن قلبه بين إصبعين	٢٢٦
هـ	
هذه بتلك	١٩١
هيهِ، فبتُّما عروسين وهو إلى جنبكما؟ قال: نعم يا رسول الله	٧٤
و	
واعلم أنَّ في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا، وأنَّ النصر مع الصبر	٩٦
واعلم أنَّ النصر مع الصبر	٣٠، ٣٦
وأعوذ بك من الخيانة فإنها بئست البطانة	٢٠

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
والصبر ضياء	٣٧، ١٠٥
والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تُبسط عليكم الدنيا	٢٤٥
والله يا معاذ، إني لأحبُّك. فلا تنسَ أن تقول في دُبُر كل صلاة	١٢٤
وأنا أغفر الذنوب جميعًا	٢٩٣
وعزَّتي لا أجمع على عبدي خَوْفين وأمنين	٢٥١
ومن يتصبر يُصبِّره الله	٣٨
ي	
يا ابن عوف، إنَّها رحمة. ثم أتبعها بأخرى	٨٠
يا حي يا قيوم، برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله	٢١٨
يا عائشة، ما يؤمِّنُني أن يكون فيه عذاب؟ قد عُذِّب قوم بالريح	٢٣٤
يا عبادي، إنَّكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعًا	٢٩٢
يا عمرو؛ نعم المال الصالح للمرء الصالح	٢٠
يا مصرِّف القلوب ثبِّت قلبي على طاعتك	٦٦
يا معاذ إنِّي لأحبك. فقال له معاذ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله	٥
يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك	٢٢٦
يحقر أحدكم صلاته إلى صلاتهم، وصيامه إلى صيامهم، وقراءته إلى قراءتهم	٦٨
يحمل هذا العلم من كل خلف عُدُوله، ينفون عنه تحريف الغالين	١٨٢
يرحم الله أخي موسى، لقد أُوذي بأكثر من هذا فصبر!	١١٤
يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا	٢٧٩
يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان!	٦٨
يقول الله تبارك وتعالى: يا ابنَ آدم، إنَّك ما دعوتَني ورجَوْتَني غفرتُ لك	٢٩١

QaradawiBooks.com

الحديث	رقم الصفحة
يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من ذكرني يومًا، أو خافني في مقام	٢٩٠
يقول الله تعالى: من تقرَّب منِّي شبرًا تقرَّبت منه ذراعًا	٢٩١
يقول الله ﷻ: أخرجوا من النار من ذكرني يومًا، أو خافني في مقام	٢٥١
يقول الله ﷻ: إذا أراد عبدي أن يعمل سيئة	٢٥١
يقول الله ﷻ: أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني	٣٠١
يقول الله ﷻ من أذهبت حبيتيه فصبر واحتسب، لم أرضَ له ثوابًا دون الجنة	٧٦
يود ناس يوم القيامة أنَّ جلودهم كانت تقرض بالمقاريض في الدنيا	٩٣

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية

فهرس الموضوعات

الصبر والشكر

❖ من الدستور الإلهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• مقدمة ٧

• تمهيد ١٣

الصبر والشكر ١٣

اقتران الصبر بالشكر ١٦

دلالة صيغَتَي المبالغة في قوله سبحانه: ﴿صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ١٧

سِرُّ تَقْديم الصَّبْر على الشكر ١٧

أيهما أفضل الصبر أم الشكر ١٩

• أولًا: الصبر ٢٣

❖ في معنى الصبر وفضله ٢٥

الصبر لغة واصطلاحًا ٢٥

الصبر عبادة ربانيَّة ٢٦

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

من معاني الصبر عند أئمة التصوف ٢٧
الصبر فضيلة دينية، وضرورة دنيوية ٢٨
الصبر من صفات المؤمنين ٣١
الصبر الممدوح هو صبر أهل الإيمان والتقوى واليقين ٣٣
القرآن يؤكد على أهمية الصبر وفضله ٣٤
حكم الصبر ٣٩
مجالات الصبر وأنواعه ٤٣
الغزالي يقسم الصبر إلى صبر بدني وصبر نفسي ٤٣
الصبر النفسي يحمل في طياته كل شعب الإيمان ٤٤
درجات الصبر عند الإمام الهروي ٤٦
أولًا: الصبر عن المعصية ٤٧
يوسف الصِّدِّيق وصبره عن المعصية ٤٩
ما يعين على الصبر عن المعصية ٥٠
١ ـ علم العبد بقبح المعصية ٥١
٢ ـ الحياء من الله ٥٢
٣ ـ مراعاة نعم الله أن تزول ٥٣
٤ ـ خشية الله ٥٧
٥ ـ محبة الله المقرونة بإجلاله ٥٨
٦ ـ الأنفة من أن ينحط قدره بالمعصية ٦٠
ثانيًا: الصبر على طاعة الله عَزَّوَجَلَّ ٦٠
الصبر على الطاعة قبل الطاعة وفي أثنائها وبعدها ٦٢
الصبر على الطاعة محتاج إليه في الفرض والنفل جميعًا ٦٣

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

هل فعل الطاعة آكد أم ترك المعصية؟ ٦٣
كيف يكون الصبر على الطاعة؟ ٦٥
١ ـ دوام الطاعة ٦٥
٢ ـ الإخلاص فيها ٦٧
٣ ـ وقوعها على مقتضى العلم، وهو تحسينها علمًا ٦٨
فوات الطاعة بفوات أركان الصبر عليها ٦٩
الصبر على البلاء ومُرِّ القضاء ٦٩
إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ٧٠
قصة أم سليم ٧٣
الجنة جزاء الصبر على المصيبة ٧٦
الصبر عند الصدمة الأولى ٧٧
البكاء والحزن لا يضاد الصبر ٧٩
هل الشكوى إلى الخلق تنافي الصبر؟ ٨١
الشكوى إلى الله لا تنافي الصبر ٨٤
الخير في قضاء الله ٨٦
كيف نصبر على البلاء؟ ٩١
١ ـ ملاحظة حسن الجزاء ٩١
٢ ـ انتظار رَوْحُ الفرج ٩٥
٣ ـ تهوين البلية بتذكر النعم ٩٧
٤ ـ رؤية المبتلِي وهو الله ٩٧
٥ ـ الإيمان بقضاء الله وقدره ٩٨
٦ ـ الاستعانة بالله ٩٩
٧ ـ معرفة طبيعة الحياة الدنيا ١٠٠

QaradawiBooks.com

٨ ـ الاقتداء بأهل الصبر والعزائم ١٠٢
الصبر على الطاعة وعن المعصية يتَّحد فيهما الشكر والصبر ١٠٣
الصبر على مشاق الدعوة إلى الله ١٠٤
أنواع مشاقِّ الدعوة إلى الله ١٠٦
تعرُّض أصحاب الرسالات للبلاء ١١٠
صبر أولي العزم من الرسل ١١١
أمة النبي وصبرها على طريق الدعوة ١١٥
الأمر بالمصابرة ١١٨

• **ثانيًا: الشكر ١١٩**
الشكر في اللغة وفي الاصطلاح ١٢١
منزلة الشكر ١٢٢
قواعد الشكر وأسسه ١٢٥
حدُّ الشكر ١٢٥
الشكر بين رؤية المنعم ورؤية النعمة ١٢٦
شكر العامة وشكر الخاصة ١٢٦
من أسماء الله تعالى الشكور والشاكر ١٢٨
الثناء على المرسلين بصفة الشكر ١٢٩
الأمر بالشكر في القرآن والسُّنَّة ١٣٠
الشكر من أخصِّ أوصاف عباد الله الصالحين ١٣٢
أركان الشكر ١٣٣
شُكر القلب ١٣٣
وما بكم من نعمة فمن الله ١٣٣

QaradawiBooks.com

نعم الله لا تعد، وإنْ عدت فلا تحصى ١٣٤
طبيعة الإنسان ١٣٤
أنواع النعم ١٣٧
نعم خاصة ١٤٢
١ ـ نعمة الأمن ١٤٢
٢ ـ نعمة الزوجية ١٤٢
٣ ـ نعمة الأولاد والأحفاد ١٤٢
٤ ـ نعمة المال والغنى ١٤٢
٥ ـ نعمة تهيئة المواد الخام ١٤٢
٦ ـ نعمة تعليم الصناعات ١٤٢
٧ ـ نعمة تذليل الأرض وإرسائها بالجبال للانتفاع ١٤٣
٨ ـ نعمة الطعام ١٤٣
أنواع المأكولات في سورة النحل وحدها ١٤٤
٩ ـ نعمة الشراب ١٤٤
١٠ ـ نعمة الجمال المبثوث في الكون ١٤٥
نعم الله الدينية على المسلمين ١٤٥
١ ـ نعمة إرسال الرسول إليهم ليهديهم ويعلِّمهم ١٤٥
٢ ـ إنزال القرآن عليهم مفصَّلًا ١٤٦
٣ ـ نعمة الإيمان والهداية إلى صراط الله المستقيم ١٤٦
أعظم النعم ١٤٦
٤ ـ نعمة الأخوة والمحبة ١٤٦
٥ ـ نعمة النصر والتمكين ١٤٧
٦ ـ نعمة الكثرة ١٤٧

QaradawiBooks.com

٧ ـ نعمة الانتقام من الظالمين ١٤٧
٨ ـ نعمة النجاة من الأعداء ١٤٧
معرفة قدر النعم ١٤٧
شكر القلب هو رُوح الشكر ١٤٩
شكر اللسان ١٥١
حَمْد الله في كل حال ١٥٢
استخدام نعم الله في طاعته ١٥٦
كيف نحفظ النعم وكيف تزول؟ ١٥٩
جزاء كفران النعم ١٦٠
شكر سليمان بن داود عليه السلام ١٦٣
أثر الشكر في الدنيا والآخرة ١٦٣
شكر الإنسان لمن يُقدِّم إليه معروفًا ١٦٥
كلام الإمام ابن القيم عن الفرق بين الحمد والشكر ١٦٧
ابن القيم ينتقد الهروي في حديثه عن الشكر ١٦٩

الخوف والرجاء

• **مقدمة** **١٧٧**

• **تمهيد** **١٨١**

الخوف والرجاء جناحا السير إلى الله ١٨٣
دعاء الله سبحانه خوفًا وطمعًا ١٨٣
الله سبحانه شديد العقاب وغفورٌ رحيم ١٨٤
منهج القرآن في ذكر الوعد والوعيد ١٨٦

QaradawiBooks.com

المبالغة في التخويف ١٨٩
أصلح الأمور الاعتدال ١٩٠
أهمية استشعار الخوف والرجاء معًا في السير إلى الله ١٩١
لزوم الخوف من الله مطلوب ١٩٢
لزوم الرجاء في رحمة الله مطلوب ١٩٢
العبادة تدور على أمرين ١٩٤
طريق الخوف والرجاء طريق عدل بين طريقَين جائرين ١٩٥
التوازن بين الخوف والرجاء هو المطلوب ١٩٦

❖ الخـــوف ٢٠٣

معنى الخوف ٢٠٣
معاني كلمة الخوف في القرآن ٢٠٣
الخوف في أقوال الصالحين ٢٠٤
الفرق بين الخوف والخشية ٢٠٧
الخوف من الله في القرآن ٢٠٨
خوف الآخرة ٢١٠
خوف الأنبياء على أقوامهم من عذاب الله ٢١١
جزاء الخوف من الله ٢١٢
أسباب الخوف من الله سبحانه ٢١٤
١ ـ الخوف من ذنوبه السابقة ٢١٤
الخوف بعد التوبة ٢١٦
الخوف من إعراض الله تعالى ٢١٧
الخوف من تغيُّر النعم ٢١٩
٢ ـ الخوف حذر التقصير في الواجبات ٢٢٠

QaradawiBooks.com

٣ ـ الخوف من السابقة أن تكون على ما يكره ٢٢٢
٤ ـ خوف الإجلال والتعظيم ٢٢٧
كلام قيم لابن القيم ٢٢٩
الخوف والخشية على قدر المعرفة بالله ٢٣٠
خوف المستقيم على أمر الله ٢٣٢
خوف النبي ﷺ ٢٣٣
لماذا يخاف النبي مع عصمته؟ ٢٣٦
الخوف على حسب قرب المنزلة ٢٣٦
الذي لله علينا أضعاف أضعاف ما نقدر عليه ٢٤٠
علمه بأن الله يقلِّب القلوب ويحول بين المرء وقلبه ٢٤٠
افتقار العبد إلى هداية الله يجعلها في قلبه ٢٤٢
توجيه الإمام أحمد والإمام الغزالي لخوف النبي ﷺ ٢٤٣
خوف النبي ﷺ على أمته ٢٤٤
خوف النبي شمل أمة الدعوة أيضًا ٢٤٧
فضل الخوف من الله في السُّنَّة النبوية ٢٤٨
الترغيب في الخوف وفضله ٢٤٨

❖ **الرجاء** **٢٥٥**
معنى الرجاء ٢٥٥
الفرق بين الرجاء والتمنِّي ٢٥٦
الرجاء المحمود والرجاء المذموم ٢٥٧
دخول الجنة ليس بالأماني ٢٥٨
الرجاء الصحيح ٢٦٠
استطراد لا بدَّ منه ٢٦١

QaradawiBooks.com

الله الذي نرجوه ٢٦٢
الرحمة عامَّة والعذاب خاصٌّ ٢٦٤
رحمة الله واسعة ٢٦٥
الرحمٰن الرحيم ٢٦٦
أرحم الراحمين خير الراحمين ٢٦٦
جميع الخلق عباد الله: الطائعون والعصاة ٢٦٨
الله غفور رحيم ٢٦٩
وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ٢٧٠
الله شكور ٢٧١
مضاعفة الحسنات ٢٧٣
الرجاء في القرآن ٢٧٥
أشدُّ الآيات رجاءً ٢٧٧
وقد اختلف العلماء في أعظم الآيات رجاء، أو أرجى آية في كتاب الله ٢٧٧
رجاء الرسول ﷺ ٢٨٥
حثُّه ﷺ أمته على الرجاء ٢٨٥
رجاء النبيِّ ﷺ لنفسه ولأمته ٢٨٦
٢ ـ رجاؤه أن تكون أمَّتُه أكثر الأمم ٢٨٦
٣ ـ رجاؤه لأمته أن تكون نصف أهل الجنة ٢٨٦
بواعث الرجاء في الله عَزَّ وَجَلَّ ومعوقاته ٢٨٨
الباعث الأول: الإيمان بسَعَة رحمة الله تعالى ٢٨٨
رحمة الله واسعةٌ قضى بها لمن يستحقُّها ٢٩٠
الباعث الثاني: الإيمان بسَعَة مغفرة الله تعالى ٢٩٠
من أسباب المغفرة ٢٩٣

QaradawiBooks.com

التوبة تَجُبُّ ما قبلها ٢٩٣
في كل كبدٍ رطْبة أجر ٢٩٥
إيصال الخير ودفع الشر ٢٩٦
مغفرة الله للكفْل من بني إسرائيل ٢٩٦
لا تَحَكُّم للمخلوقِ في مغفرة الله عَزَّ وَجَلَّ ٢٩٧
الرجلان المتآخيان: المذنب والطائع من بني إسرائيل ٢٩٧
خوف الرجل الإسرائيلي المسرف من ذنوبه ٢٩٩
كيف يغفر الله للمتشكك في قدرة الله سبحانه على إحياء الموتى؟ ٣٠٠
الباعث الثالث: حُسْن الظَّنِّ بالله تعالى ٣٠٠
الباعث الرابع: تذكر نعم الله سبحانه ٣٠٢
الباعث الخامس: تذكُّر ثواب الله في جنته ٣٠٣
ذكر ما لأدنى أهل الجنة فيها ٣٠٤
وصف درجات الجنة وغرفها وأنهارها ٣٠٥

- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ٣١١
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ٣٤١
- **فهرس الموضوعات** ٣٥٣

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com